الدكتور كاظم حبيب

الأيزيدية ديانة قديمة تقاوم نوائب الزمن!

طبعة ثالثة منقحة ومزيدة
السليمانية – مؤسسة حمدي للطباعة والنشر
كردستان العراق 2006

المحتويات

الأيزيدية ديانة قديمة تقاوم نوائب الزمان! 1
المحتويات..... 2
الإهداء 4
شكر وتقدير..... 6
المقدمة بقلم: الدكتور خليل الجندي 10
المدخل 14
الفصل الأول.....28
أصل الديانة الأيزيدية 28
الفرضية الأولى 32
الفرضية الثانية 38
الفرضية الثالثة 40
الفصل الثاني.....58
الديانة الأيزيدية.....58
أعياد الأيزيدية.....84
الفصل الثالث 89
أوضاع الأيزيديين في العهود الإسلامية 89
المبحث الأول: في العهد العباسي 89
المبحث الثاني: الأيزيديون في العهد العثماني 94
الفصل الرابع 107
الأيزيديون في العراق الحديث.....107
المبحث الأول: الأيزيديون في العهد الملكي 107

المبحث الثاني: الأيزيديون في العهد الجمهوري 117
المبحث الثالث 122
أوضاع المرأة في المجتمع الكردي الأيزيدي..... 122
الخاتمة 127
الملاحق..... 132
ملحق رقم 1: التمييز ضد أتباع الأديان الأخرى في العراق..... 132
ملحق رقم 2 : حول الشعب وما نسب للشيخ آدي بن مسافر 136
ملحق رقم 3: قائمة بأسماء شهداء أتباع الديانة الأيزيدية في كردستان العراق أثناء حملات الأنفال ومجازرها ضد الإنسانية في العام 1988 138
جدول يظهر الفئات العمرية لضحايا الأنفال الواردة أسمائهم أعلاه 150
الملحق رقم 4: مع كاظم حبيب في جولته بين الأيزيدية بقلم صباح كنجي..... 151
المصادر 170
أ . المصادر العربية والمترجمة على العربية 170
ب . الصحف والمجلات 172
ج . المصادر بلغات أجنبية 172
ملحق الصور 173

الإهداء

إلى أصدقائي الكُرد الأيزيديين الذين يعشقون قمم الجبال ونور الشمس وضوء القمر, ويجدون في العناصر الأربعة, الماء والهواء والتراب والنار, أصل الكون والحياة أو أصل الخليقة,

إلى أولئك الذين يحبون الحياة والإنسان ويناضلون بحنان ودفء كبيرين من أجلهما باعتبارهما من صنع الخالق الواحد الأحد, ومن أجل أن يعيش الأيزيدي مع بقية الناس في أجواء الحرية والمساواة التامة والمواطنة الواحدة والمشتركة والمودة والاطمئنان والسلام,

إلى الإنسان الأيزيدي الذي يحترم كل شيء على هذه الأرض الطيبة باعتبارها نعمة من نعم الطبيعة على الإنسان, ويحترم كل الأديان والمذاهب والأنبياء والمصلحين في كل الأزمان,

إلى أولئك الذين رافقتهم في المسيرة النضالية الطويلة وغير سهلة في جبال وسهول كردستان الشماء من أجل أن تسود في ربوع كردستان والبلاد عموماً مبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق القوميات, ومنها حق تقرير المصير للشعب الكُردي والفيدرالية في عراق ديمقراطي متحرر من الاستبداد والعنصرية والإرهاب وخال من منظمي حملات الأنفال الدموية وجرائم الكيماوي في حلبجة وفي بقية أنحاء كردستان والعراق ...,

إلى كل الذين يشاركون الأيزيدي عشقه للحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والحياة الكريمة ويدافعون عنه وعن تلك لمبادئ كما يدافعون عن حدقات عيونهم,

إلى كل الذين يدافعون عن حق الإنسان بالعيش في ظل الحرية والكرامة والعدالة والديمقراطية والسلام,

إلى كل الذين يعملون من أجل أن يتمتع كل الناس في هذا العالم الفسيح بحقهم الكامل قي تبني الأديان والمذاهب والعقائد والأفكار والآراء السياسية المختلفة وحق الجميع في ممارسة طقوسهم وتقاليدهم بحرية ودون أن يتعرضوا إلى التمييز أو الاضطهاد أو الحط من كرامة الإنسان, وأن يعطى الإنسان حرية اختيار الدين او المذهب الذي يختاره بنفسه ديون قيد أو عقاب,

وإلى كل المناضلين ضد الاستبداد والاستغلال والجور والتخلف والفقر والحرب والإرهاب في كل مكان

أهدي هذا الكتاب

برلين/2007 **كاظم حبيب**

شكر وتقدير

برز اهتمامي بالجماعة الدينية الأيزيدية الكُردية عندما كنت في كردستان العراق وقضيت فيها ما يقرب من خمس سنوات من سني العقد التاسع من القرن العشرين, حيث شاركت في حركة الأنصار المناهضة للحكم الدكتاتوري في العراق, التي ساهم بها إضافة إلى الأحزاب والقوى الوطنية والقومية الكُردية, الحزب الشيوعي العراقي وبعض فصائل المعارضة العراقية الأخرى. وخلال هذه الفترة التقيت بعدد غير قليل من الكُرد الأيزيديين الأنصار المناضلين في صفوف الحركة. وتسنى لي أن أستفسر عن, وأحاور حول, بعض جوانب هذا الدين, محاولا فهم حقيقته ومقارنا ما أسمعه منهم بما قرأته عنهم من كتابات لمحررين مسلمين بالدرجة الأساسية. وزاد اهتمامي بهم عندما قررت أن أبدأ بمحاولة إنجاز كتاب تحت عنوان "لمحات من عراق القرن العشرين", الذي سيستغرق بعض سنوات العمر القادمة. وفي المهجر القسري التقيت بالعديد من الأخوة والأصدقاء الأيزيديين المؤسسين والعاملين في المركز الأيزيدي خارج الوطن, ومنهم السيد الدكتور خليل الجندي والسيد الدكتور ممو عثمان. ثم دعيت لحضور المؤتمر العلمي الأول الذي عقد في الفترة الواقعة بين 28-30 كانون الثاني/يناير من عام 2000 في مدينة هانوفر بألمانيا حيث تسنى لي الاحتكاك بعدد كبير من الأيزيديين. وخلال السنوات المنصرمة تسنى لي أن أنشر مسودة بحث في مجلة روژ التي يصدرها المركز الأيزيدي خارج الوطن, كما اطلعت على مصادر كثيرة حول الديانة الأيزيدية ساعدت على إنجاز هذه الدراسة التي أضعها بين أيدي القراء.

إن الدراسة التي نشرت في طبعتين متتاليتين سوف ما كانت بالنسبة لي خاتمة المطاف في البحث في هذا الموضوع, بل هي محاولة على هذا الطريق. وحين طرح عليَّ مشروع الطبعة الثالثة من قبل الأستاذ الصديق فؤاد مجيد ميسري, كنت قد بدأت بإعادة النظر بالكتاب من أجل تنقيحه فكرياً وإضافة فقرة عن المرأة الإيزيدية, ثم استكمال بعض النواقص التي شعرت بضرورة تطويرها. فاتصلت بعدد من الأخوة الكُرد المختصين أو العارفين بالشأن الأيزيدي لكي استكمل معلوماتي بهذا الصدد لتحسين مادة الكتاب.

لقد صدرت العديد من الدراسات القيمة, سواء باللغة العربية أم الإنجليزية التي تشكل مصدراً مهماً للبحث في الأيزيدي, وخاصة الكتاب الصادر في ألمانيا وباللغة الإنجليزية,

للأستاذين فيليب كرينبروك وخليل جندي رشو الموسوم "الكمال لله وللشيخ آدي ". كما أن كتاب "طاؤوس ملك" للكاتب الأستاذ زهير كاظم عبود ومقالات وكتب أخرى عديدة تشير إلى تقدم ملموس في الدراسات الخاصة بالأيزيدية.

إن الدراسة التي أضعها بين يدي القارئة والقارئ هي محاولة للتيقن من صحة الفرضية أو الموضوعة التي طرحتها في هذه الدراسة حول أصل الديانة الأيزيدية. وسيكون مهماً جداً توسيع البحث لاحقاً ليشمل بعض الأديان الأخرى التي كانت وما تزال قائمة في العراق.

وشد من عزمي على الكتابة في هذا الموضوع الحيوي حيازتي ومطالعتي لكتاب "دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960" الذي أعد من مجموعة خبراء ومتخصصين لها اعتبارها في الثقافة العراقية والمجتمع العراقي, وفي مقدمتهم الأستاذ الفاضل والراحل العلامة الدكتور مصطفى جواد, حيث ورد فيه بشأن أصل الكُرد الأيزيدية ما يلي:

"أصلهم وتسميتهم – لا يُعلم عن أصل اليزيديين شيء, ويقول البارون مكس فون أوبنهيم الألماني "أنهم أفراداً أشداء البنية سكنوا جبل سنجار منذ أكثر من قرنين" ويجوز أنهم هاجروا إلى العراق مع الكُرد من الشمال وانفردوا عن بني جلدتهم بالجبال خوفاً ممن يجاورهم فاحتفظوا بدينهم القديم وشيدوا أكثر معابدهم في قضائي الشيخان وسنجار (لواء الموصل) وهم إنما يسمون أنفسهم باليزيدية نسبة إلى يزيد بن معاوية ثاني الخلفاء الأمويين. ويقول المستر لوك (أن هذه القبائل كانت تدعى بالأصل "داسناي" أما اليزيدية فهو أسم أطلقه عليهم جيرانهم) . . الخ"[1].

هل من غرابة في هذا الطرح من عالم فاضل في التاريخ العراقي ولغوي كبير؟ الغريب فيه هو أن الأستاذ الدكتور مصطفى جواد, المتخصص بعلوم اللغة والتاريخ العراقي, يشارك كاتباً آخر بالقول بأن الأيزيديين سكنوا هذه المنطقة منذ قرنين لا أكثر. وهي مغالطة كبيرة, إذ أن كتب التاريخ العربية والكتب الأخرى التي تتحدث عن الأيزيدية تشير إلى وجودهم في هذه المنطقة, التي أصبحت جزءاً من العراق الحديث, منذ عهود ما قبل الأمويين والعباسيين على الأقل. ثم يقول أنه لا يعلم عن أصلهم شيئاً في وقت

---

[1] دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960. يصدر بقرار من مجلس الوزراء تحت إشراف وزارة الإرشاد. ط 1.مطبعة التمدن. بغداد. 1961. ص 431.

يؤكد فيه أنهم أكراداً وأنهم قد انفردوا عن بني جلدتهم بالجبال وحافظوا على ديانتهم القديمة. والغريب فيه أيضاً أنه يلتقط أبعد الاحتمالات وأكثرها تعسفاً في تفسير أسم الجماعة الدينية في العراق على أنه نسبتهم وتسميتهم تعود إلى يزيد بن معاوية, ثاني خلفاء الأمويين. وهو أمر باطل. هناك الكثير من الغرائب الأخرى, إذ لم أقتطف منها سوى هذا القليل, كما أن ما ينشر من تشويه لهذا الدين وأتباعه يفوق التصور. ولهذا أيضاً كان عليَّ كناشط في مجال حقوق الإنسان أن أتحرى عن الحقيقة وأن أشارك في الكشف عنها, وفي رد التهم البائسة عن هذه الجماعة الدينية التي يفترض أن نعتز بمواطنتهم لنا ضمن القومية الكُردية وفي إطار العراق الديمقراطي الاتحادي التعددي. لقد عانى الكُرد عموماً, والكُرد اليزيدية على نحو خاص, من التمييز والنظرة السلبية وعرفوا المواطنة الناقصة والمواطنة من الدرجة الثالثة بعد الكُرد المسلمين. إنه لأمر محزن أن يعيش الإنسان في وطنه وعلى أرض أبهائه وأجداده ثم يعامل بعيدة عن روح الإخاء والمحبة, بل يشعر بالحيف ويحس الضيم والتعسف والقهر الاجتماعي. إن الدفاع عن حقوق الإنسان تعني أيضاً رد الاعتبار لمن عانوا الأمرين على أيدي النظم التي حكمت العراق وعاثت فيه فساداً وتمييزا بين الناس, ويفترض بالحكام العرب أن يعتذروا للكرد, ومنهم الكُرد الأيزيدية, لما أصابهم من حيف وقهر وتمييز لأسباب قومية شوفينية أو دينية متعصبة أو مذهبية مقيتة باسم العرب والعروبة ودفاعاً عن القومية العربية, وكأن الكُرد كانوا يريدون القضاء على القومية العربية وليسوا قومية مشاركة في الوطن ويعيشون على أرض وطنهم كردستان.

أرجو أن يشارك هذا الكتاب في توضيح بعض الأمور عن الكُرد الأيزيديين الذين ينتمون إلى هذه المنطقة منذ قرون طويلة وأنهم يشكلون جزءاً من الشعب الكُردي أو الأمة الكُردية الموزعة على دول عديدة منها العراق وتركيا وإيران وسوريا.

يطيب لي أن أقدم شكري الجزيل إلى السيد الدكتور ممو عثمان, الذي طالع المسودة الأولى وقدم مشكورا بعض الملاحظات المفيدة, كما أقدم شكري الجزيل للصديق الدكتور خليل الجندي, الذي مدني بالكثير من المصادر والمعلومات, كما أن كتاباته كانت مفيدة لي في هذا الصدد, إضافة إلى مطالعته للمسودة وتقديمه الملاحظات النافعة, وكتابته المقدمة. وأشكر أيضاً الصديق المهندس صبيح الحمداني الذي طالع المسودة الأولى وأبدى ملاحظاته باعتباره من المهتمين بقضايا الأديان عموما والقديمة منها على وجه الخصوص. كما أشكر الأستاذ حسو أمريكو على ملاحظاته المفيدة التي قدمها على مسودة الكتاب الأولى. الشكر يتوجه إلى المجموعة العاملة في المركز الأيزيدي خارج الوطن وإلى كل الذين حاورتهم بشأن هذا الموضوع, كذلك أتوجه بالشكر إلى أولئك

السادة سدنة المعبد الذين التقيت بهم في معبد لالش في ربيع عام 2002 أثناء زيارة لي إلى كردستان العراق للمشاركة في أعمال المؤتمر الأكاديمي حول مجازر الأنفال وجريمة حلبجة التي خطط لها ونظمها ونفذها قادة النظام العراقي وعلى رأسهم الدكتاتور صدام حسين والذين تفضلوا مشكورين بمرافقتي للإطلاع على المعبد ومحتوياته وتاريخه.

برلين في 2007 كاظم حبيب

المقدمة

بقلم: الدكتور خليل الجندي

حاول كتاب من قوميات متعددة وأديان مختلفة إصدار كتب أو تحرير مقالات في جرائد ومجلات حول بعض جوانب الديانة الأيزيدية, وقد انطلق كل واحد من أرضية محددة, إما دينية متعصبة أو قومية متزمتة أو موقف فكري أو منهجية استشراقية شبه جامدة تعتمد على المصادر وكأنها مسلمات.

ولا أنكر بأن أولئك الكتاب ألقوا الضوء على هذا الجانب أو ذاك من جوانب الديانة الأيزيدية سلباً أو إيجاباً. ولربما يبرئ الإنسان ذمة أولئك الذين شوهوا حقيقة هذه الديانة عن غير عمد لأنهم لم يحاولوا دراسته إلا من وجهها الخارجي, وبقيت هذه العقيدة لغزاً ليس لمعتنقي الأديان الأخرى فحسب, بل وحتى لأبناء الأيزيدية أنفسهم بسبب تقوقع هذا الدين على نفسه لأسباب تأتي على ذكر العديد منها في متن هذه الدراسة, وكذلك لندرة المصادر والمراجع العلمية عنه وعدم وقوع أدبه الديني في متناول اليد.

إذا وضعنا محاولات بعض الشباب الأيزيدي الذي بدأ يكتب عن "المناطق المحرمة في ديانته منذ بداية السبعينات وما زال مستمراً عليها بشكل أكثر عمقاً واتساعاً, فأن مؤلف الأستاذ الطيب الذكر جورج حبيب, المنتمي إلى الديانة المسيحية والموسوم: "اليزيدية بقايا دين قديم" بغداد 1978, كان فاتحة الدراسات العلمية المقارنة والجريئة حول الأيزيدية. أقول الجريئة لأن نظام البعث الحاكم في العراق كان وما يزال, يعمل من أجل محو الهوية الدينية للأيزيديين وسلخها من انتمائها القومي الكُردي. فجاء إصدار ذلك البحث العلمي القيم ومن قلب العاصمة بغداد تحدياً علمياً بوجه الفكر الشوفيني لذلك النظام. ويجب أن لا ننسى بعض

الكتابات القيمة التي نشرت عن الأيزيدية من قبل باحثين عرب نهاية التسعينات في أوربا, على سبيل المثال د. رشيد البندر في جريدة الحياة.

وبعد مرور 22 عاماً على صدور مؤلف": "اليزيدية بقايا دين قديم", والذي أضاء زاوية من زوايا المكتبة العربية والإسلامية, فإننا نقف اليوم أمام بحث أكثر رصانة وشموخاً من عالم عربي معروف ليس في على الساحة العربية فحسب, بل وعلى الساحة الدولية هو البروفيسور دكتور كاظم حبيب.

لقد أسس دكتور حبيب بحثه على منهجية جديدة, منهجية علمية-تاريخية واجتماعية مضافاً إليها بعداً إنسانياً. وإذا كانت الجرأة الفكرية التي عبّر عنها جورج حبيب -خلد الله ذكره- في بحثه المذكور أنفاً في وجه النظام الشوفيني الحاكم في العراق, فإن بحث الأخ الدكتور كاظم حبيب هو موقف عربي إنساني في غاية الأهمية, خاصة وأنه يتزامن مع تصاعد المد الأصولي الديني على المستوى الإقليمي والدولي.

يلقي د. حبيب في بحثه الذي بين أيدينا الضوء على مساحات واسعة من الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية للأيزيدية, وكباحث وناقد ثاقب البصيرة يطرح فرضيات ثلاث حول أصل الأيزيدية, وبسبب احتكاكه بهم وإطلاعه عن قرب على بعض طقوسهم وعاداتهم يسجل ميله إلى الفرضية الأولى والقسم الأول من الفرضية الثانية مع إبعاد أو نفي الفرضية الثالثة القائلة بكون الأيزيدية "فرقة إسلامية مرتدة", أو مجموعة تنتمي إلى القومية العربية. لا يعني هذا أننا ننتقص من الإسلام أو من القومية العربية, لا بالعكس, إذ نكن لكليهما الاحترام. إلا أننا نسجل موقفاً مخالفاً ومعاتباً لأولئك الكتاب الذين "تحدثوا" عن الديانة الأيزيدية ولم يبحثوا فيها. ونعتقد بأن عدم إطلاعهم على النصوص الدينية الأيزيدية وعدم التعمق في معرفة أسباب طقوسهم وعاداتهم, وكذلك انطلاقهم من موقف ديني وقومي بحت, قادهم إلى تلك الأحكام المسبقة وإلى عدم علمية كتاباتهم, وبالتالي, الإسهام في خلق وعي ديني وقومي مناهض للأيزيدية.

وهنا يدخل د. حبيب الميدان ليس كباحث مقتدر وحسب, وإنما كمرب وعالم اجتماع وداعية سلام ومدافع عن حقوق الإنسان وعن الهوية القومية والدينية لكافة المجموعات البشرية كبيرها وصغيرها, ويرى في عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم ثراءً حضارياً متشابكاً وملكاً

للجميع. ومن هذا المنطلق يحمل د. حبيب رسالة إنسانية إلى الأديان المسيطرة عالمياً مفادها: أنه ليس هناك دين يستطيع أن يدعي ويقول أنه يملك الحقيقة المطلقة.

وتوافقاً مع آراء د. حبيب وما جاء في بحثه القيم فأنه لا يجوز النظر إلى الدين كبناء فوقي مجرد, بل لا بد من دراسته بالارتباط مع الواقع الاقتصادي وتطور الوعي الفكري للبشر في مرحلة تاريخية محددة, فكل دين أثر وتأثر بالأديان الأخرى.

وإذا كان النظر للدين في عصرنا الحاضر كعامل معرقل للتطور, فأنه لم يكن كذلك في قديم الزمان. فقد كان الدين دافعاً وملهماً لعمل الإنسان, وبسبب إيمانه بقوى الطبيعة وضع آلهة لها وبدأ يصنع لها التماثيل ويبني لها المعابد والبيوت والمدن ويقيم لها الاحتفالات والطقوس, أي أن بذور الحضارة بمعناها الاستيطاني العمراني والروحي كان أساسها الدافع الديني إذ اعتبر وعاءا اجتمعت عنده أفكار الإنسان عبر التاريخ ومرآة لتطور تلك الأفكار, فهو الذي عكس نشاط الإنسان الروحي والفكري والفلسفي وكذلك القيم الأخلاقية والتصورات البدائية حول كيفية خلق الكون والبشر والأشياء.

ولمن يبغي معرفة جذور الديانة الأيزيدية عن حق, عليه التوقف عند معرفة وتحليل الظواهر الرئيسية التالية:

أولاً: ظاهرة طاووس ؤوس ملك؛ ما هو الوجه السراني لتلك الظاهرة وما هي امتداداتها الفكرية والميثولوجية في القصص والأساطير التاريخية؟ وكيف ينظر الفكر الأيزيدي إلى مفهوم الخير والشر؟

ثانياً: الأعياد الأيزيدية؛ مفهومها, دلالاتها, أسسها الفكرية والروحية, علاقاتها بدورة الطبيعة والإنسان.

ثالثاً: من أجل توثيق الظاهرتين الرئيسيتين في أعلاه لا بد من الإطلاع على ذلك الكم الهائل من الأدب الديني الأيزيدي (الشفاهي في أغلبه) والاستعانة بتلك الرموز والإشارات المبعثرة هنا وهناك في ثنايا الأساطير والحكايات والأدب الديني.

رابعاً: ميدانياً وتاريخياً, فأن دراسة أصول العشائر الأيزيدية سيساعدنا في فك رموز الكثير من الألغاز في العقيدة ارتباطاً بحركة الشعوب والقبائل في التاريخ القديم والتداخل الحضاري والفكري والديني, وبالتالي, منشأ الأديان في المنطقة.

وما دام البشر هم حملة الفكر الديني ومنفذو أوامره وأدوات انتشاره, فأن من المنطق أيضاً إفساح المجال للعقل (الفكر) أن يحقق رسالته ويعالج الأمور بنظرة شمولية يحاول الإفادة من كل معطيات العلم, وأن يقيم ما يمكن إقامته من علاقات وروابط بينهما وبين عالم الواقع, بمعنى أن يكون باب الاجتهاد مفتوحاً أمام كل الأديان كي يتسنى لها مواكبة العصر, وتأدية رسالتها التي تنادي بها في محاربة الاستغلال والظلم والدعوة إلى المحبة والتسامح الديني والاعتراف المتبادل والعدالة ونبذ العنف والقتل والهيمنة وفرض الرأي ...الخ.

ولا عجب أن يلجأ الإنسان أحياناً إلى المثل الأعلى القديم ليجد راحته النفسية أو بسبب قيم تربى عليها, إلا أن فرض تلك المثل القديمة بالإكراه ما هو إلا نتيجة خلل في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي المهيمن وهروب من الواقع المعاصر وأمر باعتقال العقل كي لا يؤدي وظيفته ورسالته الفكرية الإبداعية.

إن الدين آمنوا بالمعرفة الإنسانية وحدها وجعلوا من الطبيعة ميداناً لمصدر معرفتهم المبنية على التجربة والاستقصاء والنظرة النقدية ضمن مناهج علمية, هم الذين تطوروا وساهموا ببناء الفكر الحضاري.

يؤسس العقل معرفته على التجربة ويرفض الكثير من المسلمات السابقة ولا يقر بوجود مناطق محرمة لا يجوز الدخول إليها لإنجاز رسالته الفكرية. وكَشَفَ العقل بواسطة التجربة عن سطحية, بل وزيف الكثير من المعطيات التي كانت تعتبر مقدسة بنظر العديد من الشعوب. هكذا قرأت هذا الكتاب, وكانت مهمة تكليفي من قبل البروفيسور كاظم حبيب بكتابة مقدمة لبحثه باعتباري أحد أبناء الأيزيدية والمهتمين بشأنه حقاً مهمة صعبة, فمهما قلت من كلام هو قليل بحق بحثه الرصين وموقفه الإنساني, وهو بعمله هذا يغني المكتبة العربية والإسلامية بمصدر هام لا يمكن الاستغناء عنه. ولا يسعني في النهاية إلا أن أقدم تمنياتي وتمنيات جميع أبناء الأيزيدية إلى الأستاذ العزيز كاظم حبيب بالصحة والعمر المديد والإنتاج الغزير في الميدان العلمي والإنساني.

أينبيك - ألمانيا في 2002/11/7 خليل جندي

المدخل

كانت المنطقتان اللتان تسميان اليوم بمنطقتي الشرق الأدنى والأوسط ثم صعودا باتجاه أفغانستان وشبه القارة الهندية أو وادي حوض السند والصين تعتبران من أهم مراكز الحضارة البشرية القديمة ومن أغنى الثقافات وأمهِدةً للكثير من التصورات والديانات والفلسفات والأساطير والحكايات والخرافات في آن واحد. وكانت تلك الثقافات, والديانات كجزء أساسي منها, تتفاعل في ما بينها ويتأثر بعضها بالبعض الآخر بل وتتلاقح في ما بينها, وتبدو في الكثير من قيمها وتقاليدها وعاداتها والطقوس التي تمارسها متقاربة جدا ومتوارثة أحيانا كثيرة, مع وجود بعض الاختلافات, رغم بعد المسافات التي كانت تفصل بين تلك الجماعات البشرية في مناطقها المختلفة في تلك الأزمان الغابرة. وكان الرسول محمد بن عبد الله على حق, كما نقل عنه, حين قال "أطلب العلم ولو في الصين", إذ أن كلمة "ولو" لا تمس طبيعة الثقافة الصينية ولا تعبر عن موقف سلبي منها ومن ثقافتها, بل إشارة واضحة إلى ضرورة طلب العلم حتى لو كانت المسافة الفأصلة بين الجزيرة العربية والصين شاسعة جداً في إطار موأصلات ذاك الزمان. أي أن بعد المسافة يفترض أن لا يكون عائقا في سبيل طلب العلم.

والدراسات الحديثة تشير إلى أن جملة من تلك الديانات القديمة قد انقرضت وحلّت محلها ديانات أو معتقدات أخرى, في حين أن ديانات قديمة أخرى ما زالت قائمة, أو ربما طرأت عليها بعض التغييرات والتطورات والتحويرات غير القليلة لأسباب كثيرة سنأتي عليها لاحقاً, ولكنها حافظت من حيث المبدأ على قاعدتها الأساسية, بغض النظر عن حجم المجموعات البشرية المؤمنة بتلك الديانات. كما أن الكثير من الطقوس والعادات والتقاليد التي كانت قد رافقت الديانات القديمة يجدها الإنسان اليوم أيضا في ممارسات بعض شعوب المنطقة, رغم التغيرات التي طرأت أو حتى التحولات التي حصلت لدى بعض الشعوب بالنسبة إلى دياناتها. ولا شك في أن الديانات والآلهة والطقوس السومرية والأكدية أو البابلية

والآشورية والكلدانية, وكذلك الديانة الفرعونية, والديانات الأيزيدية والزروانية[2], والمثرائية[3], والمزدكية (الزرادشتية)[4], والمانوية[5] والمندائية, ثم الفلسفات والديانات الكونفشيوسية والتاوية والبوذية والهندوسية وتفرعاتها المختلفة, أو غيرها من الديانات وانشطاراتها, أو الطوائف والفرق التي تفرعت عنها, قد لعبت كلها دورا كبيرا في هذه

---

2 زرفان إله إحدى الجماعات الدينية الفارسية القديمة. وهي من الجماعات التي ترى الثنائية في الواحد, أي الخير والشر في الإله الواحد, "وهو الإله ذو "الوجوه الأربعة" وتمثل هذه الأوجه أو الصفات : الإنجاب والميلاد, والشيخوخة والعودة إلى اللامتناهي, كما تمثل عصور العالم". وفي ضوء ذلك ترى هذه الجماعة داخل الإله الواحد جميع مظاهر الحياة الرئيسية "النور , والظلمة, والحرارة والبرودة". راجع في هذا الصدد: بارندر, جفري. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام. سلسلة "عالم المعرفة". رقم 173. الكويت 1993. ص 123-125.

3 ميثرا إله فارسي قديم سبق الإله مزدك, ويشار إلى أنه إله آري الأصل, كما أن إلها بنفس الاسم عُبد في الهند أيضا. وكلمة ميثرا تعني العقد أو الاتفاق, وهو إله يحفظ الحق والنظام. كما إنه إله الضوء والشمس, وحامي القسم والحقيقة في العالم. تمتع هذا الإله بالتمجيد والشعبية الواسعة لدى الفرس وانتشر في عهدهم على مناطق كثيرة بما في ذلك بلاد ما بين النهرين ووصل إلى روما, حيث مورست طقوسه هناك بكل تعبد. وكان انتشار هذا الدين في ظل الإمبراطورية الرومانية بشكل واسع في القرن الأول الميلادي. راجع في هذا الصدد: بارندر, جفري. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. مصدر سابق. ص 125-130. وكتاب: توكاريف, سيرغي أ. . الأديان في تاريخ شعوب العالم. دار الأهالي. دمشق. 1998. ص 364-365.

4 المزدكية أو الزرادشتية ديانة فارسية قديمة تلت الديانة الميثرائية من حيث الفترة الزمنية ورافقتها. ومزدك هو إله الديانة الفارسية والتي تسمى باسمه أو باسم نبي الديانة المزدكية, زرادشت, إذ أنها تسمى باسمه في غالب الأحيان, إذ يعتبر المؤسس الفعلي للديانة وصاحب كتابها الموسوم (أفستيا). ويدعى هذا الدين أحياناً بالدين الأفستي.

5 المانوية ديانة قديمة تلت الديانة المزدكية (الزرادشتية) ورافقتها, وهي منسوبة إلى ماني المولود في أسرة بارثية ملكية (216-274 م), والذي أعلن على أنه المتمم لدين زرادشت, وكان متأثراً بالديانات البابلية القديمة إذ قضى جل شبابه في بلاد ما بين النهرين. اضطهده أتباع الديانة المزدكية ومات في السجن مقيدا بالأغلال. راجع في هذا الصدد: بارندر, جفري. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. مصدر سابق. ص 129.

المناطق الشاسعة من العالم وتركت وراءها آثارا بارزة وثقافات متميزة ومعالم حضارة إنسانية خالدة ومتفاعلة في ما بينها.

اتخذت تلك الديانات القديمة من الكثير من الظواهر في الطبيعة أو مكونات الطبيعة أو الكون عموما, أو من أفعال الطبيعة ذات النتائج الإيجابية أو العواقب السلبية على البشر رموزا لعباداتها كالسماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والماء والهواء والنار أو الحجارة والجبال والأنهار أو مختلف أنواع الأشجار والحيوانات والأصنام أو العواصف والرياح والأمطار أو الأمراض والآفات وما إلى ذلك. ولم تكن تلك الديانات متقاطعة, بل كانت متقاربة جدا وأحيانا منسلخ بعضها عن البعض الآخر أو منشق عليه, أو في أحيان أخرى تشكلت ديانات أو معتقدات جديدة بعد أن حذفت منها طقوس وتقاليد وعادات أو أضيفت إليها جملة من الطقوس والتقاليد الجديدة. ومن يعود إلى حوض وادي السند أو الصين أو إلى بلاد فارس أو إلى بلاد الرافدين (ما بين النهرين), سيجد أمامه تشابكاً وتفاعلاً واقعياً مقبولا من سكان تلك الحقب الزمنية بين الديانة السومرية والديانات الأكدية والبابلية والآشورية والكلدانية والميدية والگوتية ودخول أسماء الآلهة المشتركة بلغات تلك الشعوب والحضارات, كما هو الحال بالنسبة لآلهة السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين والكلدان6. لقد كانت تلك الظواهر اليومية تشكل جزءاً أساسيا وعضويا من حياة الإنسان

6 ملاحظة: لا شك في وجود بعض التمايز بين الآلهة السومرية من جهة, والآلهة الأكدية والبابلية والآشورية من جهة أخرى, فالأولى تنطلق, وفق تقديرات تستند إلى جملة من حقائق وما وصل إلينا من تلك الفترة, من أرض العراق ذاته, وبالتالي, من التقاليد والعادات والطقوس التي ورثتها عن حضارات سابقة لها نشأت على أرض العراق أو البلد المجاور للعراق إيران, في حين يرى البعض الآخر أن السومريين ينحدرون من أصل آري وأنهم نزحوا إلى العراق من مناطق الهند عبر فارس وسلسلة جبال زاگروس, في حين أن الآلهة الأكدية والبابلية والآشورية مثلا هي آلهة جاءت بها تلك القبائل البدوية المتنقلة من مناطق السهول العمورية, شمال سوريا ووادي الفرات الأوسط, والتي جاءت قبل ذاك من شبه الجزيرة. ففي ملاحظة على مسودة البحث قدمها الأستاذ حسو أمريكو يشير فيها إلى الفارق القائم بين مفهوم الآلهة عند السومريين من جهة, ومفهوم الآلهة عند الأكديين والبابليين والآشوريين من جهة أخرى, إلى أن الإدارة الإلهية كانت عند السومريين لامركزية حيث يتجسد في الإله الواحد الخير والشر, في حين أن المركزية هي التي تميز الآلهة السامية, وأن الإله الأكبر عند الأكديين والبابليين والآشوريين, بغض النظر عن الاسم الذي يتخذه, هو إله قومي ومحارب. ويرى أن ذلك التباين

والمجتمع اليومية, من همومهما ومشاكلهما, من مراقباتهما وملاحظاتهما وصراعاتهما مع ظواهر الطبيعة مثل العواصف والرياح والأمطار والرعود والبروق والفيضانات والبحار والأنهار والجبال والحجارة والتربة والأشجار والنباتات, وحالات الخسوف والكسوف وحركة الليل والنهار ومسار الشمس والقمر والكواكب والنيازك, مع الخوف من الحيوانات المفترسة والاستفادة من الحيوانات الأليفة والمنتجة للمواد الغذائية, مع الصيد والحرب, مع المرض والموت والخلود, مع الجنس والإنجاب والنمو, مع الآخرين أو مع المجتمعات الأخرى, كانت تلعب دورا كبيرا في وجود الإنسان والمجتمع واستمرار ذلك الوجود وتطوره, وفي مدى حصولهما على مستلزمات معيشة الفرد والمجتمع وعن طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة. وكانت هذه الحقائق اليومية تتخذ صيغا حسية وعملية دون الحاجة إلى تجريدات فكرية, إذ كانت تتجلى في النقش على الحجر والتماثيل والأساطير والملاحم وغيرها التي كان بها وعبرها يستعيد الإنسان علاقته بتلك الأشياء وبالظواهر, سواء كان ذلك باتجاه استمالتها (أو) والسيطرة عليها والاستفادة منها لصالحه أو الخلاص من عواقب أفعالها وشرورها أو حتى محاولة خداعها ومخاتلتها بهدف التغلب عليها. ويبدو هذا واضحا في التعامل مع الأمراض. علما بأن الإنسان بدأ منذ فترة متأخرة يمارس الرسم بأشكال تجريدية أو تصورات وأفكار ذات أساس واقعي محرف, إذ ما يزال يتم العثور عليها في الكثير من الحضارات القديمة وفي الرسوم في الكهوف وفي أعالي الجبال. وكان بعضها يعبر عما كان يراه في أحلامه بسبب الإضافات التي كانت تلحق بتلك الصور والتي كانت تبتعد عن واقعها الفعلي. وتشير الأبحاث والدراسات التطبيقية على شعوب كثيرة في بعض

ناشئ عن الاختلاف بين المفهوم السومري والمفهوم السامي, أو المأخوذ عنهم, للدين والحضارة, وهي مرتبطة, كما يراها السيد حسو أمريكو, بالبيئة, أي البيئة السومرية الغنية القائمة على التنوع والتعدد, في حين بيئة الساميين صحراء جرداء .. .

يبدو لي بأن هناك فوارق مهمة بطبيعة الحال بين طبيعة ووظائف الآلهة, ولكن علينا أن لا نخضعها لمعاييرنا الراهنة وتفسيراتنا التي ربما تتجاوز كثيراً رؤية تلك الشعوب إلى آلهتها, كما أن الجانب البارز في آلهة حضارة وادي الرافدين السومرية أو الأكدية والبابلية والآشورية, إلى جانب تعددها وتنوعها وكثرتها, وجود إله يعبد على مستوى القبيلة كلها أو دولة المدينة حينذاك, وبالتالي الدولة المركزية فيما بعد, والذي يسميه السيد حسو أمريكو بالإله القومي, أي لكل المجتمع.

مناطق أفريقيا وجنوب شرقي آسيا إلى أن الإنسان فيها, الذي يعيش وفق الأسس والقواعد القديمة والذي لم يعرف الحضارة الجديدة, ما يزال حتى يومنا هذا يمارس ذات الأساليب والأدوات أو الصيغ, سواء أمس ذلك قضايا الصيد أو التعامل في ما بين أفراد المجتمع أو الرسم على الجدران أو علاقة الإنسان بالطبيعة ...الخ.

ورغم الاختلافات التي ظهرت في النظريات التي قامت بدراسة وتفسير الأديان ودورها وأهميتها ومحاولة معرفة تطورها التاريخي منذ بدايات بروز هذه الظاهرة الإنسانية, فأن الواقع يشير إلى أن الأديان كانت وما تزال تجسد في حقيقة الأمر صورة محرفة للوعي وللواقع أو للوعي بالواقع في آن, إذ كان الإنسان القديم يحتاجها في حياته اليومية وفي مواجهة المشكلات والمصاعب التي كان يعجز عن السيطرة عليها بمفرده أو ردّ أذاها عنه أو تقليل آثارها السلبية عليه. كما إنها تعتبر صورة محرفة ومقاربة لتاريخ تطور المجتمعات البشرية نفسها[7], إذ أن الأديان لا تجسد الواقع القائم بحذافيره وليست انعكاسا دقيقا له, بل تطرح صورة جديدة, صورة تجسد في مضمونها وأشكال التعبير عنها تفاعلا وتشابكا بين الواقع ووعي الإنسان لهذا الواقع, هذا الوعي الذي لا ينفصل عن انفعالات وصراعات ومشكلات وتخيلات الإنسان. فالدين كما يرى إنجلز "يحتفظ دائما باحتياط معين من التخيلات الموروثة عن الأزمنة السابقة, لأن التقليد في جميع الميادين الفكرية, بوجه عام, هو قوة محافظة كبرى, ولكن التغيرات التي تحدث في احتياط التخيلات هذا, تحددها العلاقات الطبقية, أي العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الناس الذين يقومون بهذه التغيرات"[8]. ومن هنا يمكن أن تفسر أيضا ظاهرة تعدد وتنوع الآلهة والأشكال والصيغ المختلفة التي كان يجري التعبير عنها, سواء كان ذلك في المدينة الواحدة أو المدن المتقاربة.

---

[7] Tokarew, S.A. Die Religion in der Geschichte der Voelker. Berlin. Dietz Verlag. 1978, S.17/18.

K. Marx. Zur Kritik der Hegelschen Rechtsphilosophie. Einleitung. In: Marx/Engels: Bwerke. Bd. 1. Berlin 1961. S. 26/27.

[8] أنجلز, فردريك. لودفيخ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية, المختارات . ج 4 . موسكو. دار التقدم. ص 60.

إن علم الأديان, رغم كونه علما مستقلا بذاته, لكنه غير منفصل بأي حال عن علم الاجتماع وعلم النفس, وعن علم التاريخ وعن وقائع تطور المجتمعات البشرية. فدراسة الأديان القديمة يفترض أن لا تغفل بأي حال العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والأوضاع النفسية وهموم ومشكلات وطموحات ومشاعر الناس والمجتمعات التي خلقت تلك الأديان أو التي تبنتها وسارت عليها. فظروف ومستلزمات الحياة والمعيشة اليومية الملموسة للبشر في كل منطقة من مناطق العالم والصراعات في ما بين القبائل كانت وما تزال تلعب دورها البارز في البنية الدينية, وفي الرموز التي يقدسها أو التي يعبدها الناس أو الطقوس التي يمارسونها كأفراد أو جماعات, وفي سبل وأدوات وأشكال وصيغ التعبير عن ذلك. لقد أصبح الدين أداة فعالة وحيوية من أجل تعبئة الجماعة للدفاع عن نفسها في مواجهة الآخرين وأحياناً في مهاجمة الآخرين واحتلال أراضي الشعوب الأخرى. ومن يحاول الغوص أو التوسع والتعمق في دراسة الأديان سيجد أمامه تنوعا في الآلهة يقترب كثيرا من واقع حياة ومعيشة هذه المجموعة أو تلك الفئة الاجتماعية من السكان. وإذا كانت هناك آلهة غاضبة ومتعالية وقاسية على البشر, فكانت هناك أيضا آلهة حانية على البشر ورحيمة بهم وقريبة منهم. والآلهة في حقيقتهم تجسيد لأخلاقيات وطباع وسلوكيات البشر خلقها البشر أنفسهم ليتفاعلوا معها سواء بالاستفادة منها, باعتبارها قوى الخير والنور والمودة, أم في دفع الشر والضرر عنهم, بعتبها قوى الشر والظلام والكراهية. وتجد هذه الفكرة واقعها وتجلياتها في الأسلوب والطريقة والطبيعة التي صورها الإنسان أو الجماعة آلهتهم مثل الإلهين آنو وإنليل من جهة, وإلههم الآخر أنكي من جهة أخرى في ما يخص بلاد ما بين النهرين.

فعند دراسة الديانات القديمة في هذه المنطقة من العالم يجد الإنسان أمامه بعض الأسس المشتركة كما يجد بعض الفوارق المهمة. فالديانة الفرعونية في مصر, التي استندت إلى ما أوجدته حياة وظروف عمل ومحيط وخصوبة خيال وتصورات الإنسان الفرعوني والمجتمع في ظل دولة مركزية واحدة يقودها الملك أو الفرعون, حيث لم تعرف مصر حينذاك تلك الموجات البشرية العديدة ولا الدويلات المتعددة المتجاورة التي عرفها وادي الرافدين أو ميسوبوتاميا, وبالتالي, كانت للفراعنة ديانة واحدة متميزة بذاتها ولها خصائص معينة بالارتباط مع وجود دولة مركزية واحدة وملك واحد, كانت تختلف عن الديانات العديدة في وادي الرافدين, تلك الديانات الميسوبوتامية (ما بين النهرين) المتداخلة والمتفاعلة والمتلاقحة في ما بينها بحيث كان يصعب التمييز بينها, إذ كان فيها ما هو مشترك أكثر بكثير مما هو

مختلف فيها, إضافة إلى اعتماد الأكديين والبابليين على ذات الآلهة الأساسية السومرية مع منحهم أسماء إضافية محلية أو أسماء مزدوجة أو أن بعضها قد اعتبر أبنا أو أبا أو زوجا أو زوجة للبعض الآخر. وفي هذا الصدد يشير أكثر من باحث في أوضاع وحضارات وأديان تلك الشعوب إلى التفاعل والتشابك بين الديانة السومرية "غير السامية", أو "الهندو-آرية", كما يراها البعض من الباحثين دون أن تكون هناك أدلة كافية تثبت أن السومريين ليسوا من أصل بلاد ما بين النهرين, أو أن هذا التقسيم إلى ساميين وآريين مقبول أصلاً, وبين الديانات "السامية" كالأكدية أو البابلية والآشورية والكلدانية. والفارق الآخر الذي جرى تشخيصه من قبل الباحثين في هذه الديانات يبرز في أن آلهة الفراعنة كانت ذات نمط إيجابي في الغالب الأعم, ولكن لم يكن يعني هذا أنها لم تمتلك في حينها آلهة أخرى مثل آلهة الحرب والموت والأمراض ..الخ. ونقصد هنا آلهة النمط الإيجابي التي يقترن اسمها بأفعال الخير والدفء والحنو على الإنسان مثل إله الشمس المشرقة دوما, وآلهة الخصب والنماء والخير, إنها الآلهة التي تجسد الظروف الطبيعية المناسبة, ومنها المناخ الجيد, التي كانت وما تزال تتميز به تلك المنطقة, بالرغم من الرياح الخماسية. وفي ضوء ذلك فأن القرابين أو الضحايا التي كانت تقدم للآلهة كان يراد من خلالها الحصول على المزيد من ذلك الخصب والنماء والخير. وكلما كان المجتمع يبتغي غلة أوفر وغنى أكبر وسعادة أكثر كان عليه أن يُزيد من القرابين التي يقدمها للآلهة. في حين كانت آلهة منطقة وادي الرافدين تمثل قوى الطبيعة المتنوعة المتعارضة والمتناقضة في أفعالها والمتصارعة, والتي تمثل القوى الخيرة والقوى الشريرة في آن واحد, بسبب خصائص الطبيعة والمناخ والفيضانات التي كانت تواجهها شعوب منطقة ميسوبوتاميا وما جاورها[9]. وكانت القرابين أو الضحايا التي تقدم للآلهة في هذه المنطقة ذات اتجاهين, أحداهما تستهدف الحصول على المزيد من الخير والنماء والصحة والسعادة, والآخر يطمح إلى إيقاف الشر أو الجدب والبؤس أو الأمراض أو مختلف الآفات. فالرؤية للآلهة كانت متباينة والعبادة كانت للقوتين, لقوة الخير من اجل المزيد من العطاء والخصب والنماء, ولقوة الشر من أجل إيقاف أو تخفيف وتقليل أفعال الطبيعة وعواقبها المدمرة والمهلكة للبشر. لقد كان الحب والخوف متلاحمان مع بعضهما في تصورات وأحلام وانفعالات وسلوكيات الإنسان وفي التصرفات اليومية للفرد والمجتمع

9 Hahn, Istvan Dr. Goetter und Voelker. Budapest. Corvina Buecher. 1977. S. 108/109

الميسوبوتامي. فحب الشمس بضيائها ودفئها والروعة التي تسبغها على مكونات الطبيعة الأخرى من جهة مثلا, والخوف من العواصف والرياح والفيضانات والزلازل وانحباس الأمطار وما ينجم عنه من جدب في المحاصيل وما يرتبط بذلك من عواقب وخيمة كالموت والمرض أو الخراب وخسارة المزروعات أو القحط العام من جهة أخرى, كانا يشكلان قاعدة أساسية من قواعد العبادة وأسباب التقديس والاحترام من جانب الشعوب في تلك العصور, وهي ما تزال قائمة حتى الآن, رغم وجود بعض الاختلاف في الرؤية للآلهة وفي نوع التصرف لنسبة غير قليلة من البشر في أرجاء العالم. ومن يلتقي بالشعوب التي ما تزال تعيش في ظروف بدائية مشابهة لتلك العصور, كما هو الحال في بعض مناطق إندونيسيا أو في مناطق نائية في أفريقيا, سيجد ذات الآلهة بتنوعاتها القديمة وذات الأساليب والطرق القديمة في العبادة التي سادت بلاد وادي الرافدين أو غيرها من المناطق. أي أن الآلهة القديمة لدى السومريين والأكديين والبابليين وكذلك لدى الآشوريين والكلديين لم تكن آلهة لجاب الخير فقط, بل آلهة تجلب الشر معها ولا بد من كسب رضاها, وبالتالي فقد كان على الرعية تقديم آيات التقديس والاحترام والقرابين لا إلى آلهة الخير فحسب, بل وإلى آلهة الشر أيضا. فالقرابين التي كانت تقدم لإلهة الخصب والنماء, عشتار (إنانا), كانت تعني في الوقت نفسه قربانا لمنع الجدب عن الناس بمساعدة الإلهة عشتار. وتعبر ملحمة گلگامش البابلية عن ذلك التلاحم في طبيعة الآلهة أيضا وفي سلوك گلگامش المتعالي والاستبدادي ذاته. ويبدو الاختلاف أكثر وضوحا بين الديانة الفرعونية والديانات الإيرانية القديمة, وخاصة الزرادشتية في عهد الاخمينيين قبل الميلاد أو الساسانيين قبل وبعد الميلاد. فالديانة الإيرانية ميزت بشكل حاد وصارم بين آلهة النور وآلهة الظلام وفصلت بينهما ودعت إلى عبادة إله الخير أهورا مازدا (Ahura Mazda), باعتباره إله الخير والحقيقة والحكمة, ورفض عبادة إله الشر أهريمان (Ahriman) ولفظه ورفضه أصلا واستنكار أفعاله10. وكانت الرؤية الإيرانية أكثر حدة في التمييز والفصل بين قوى الخير وقوى الشر, وبالتالي, بين آلهة الخير وآلهة الشر, أو بين قوى الخير وقوى الشر, من الرؤية في ميسوبوتاميا كلها, ولكنها كانت أكثر بعدا وأشد تمايزا عن الرؤية الفرعونية للآلهة ودورها ومهماتها مثلا. إلا أن إيران

10 بارندر, جيفري (Parrinder, Geoffrey). المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام. سلسلة عالم المعرفة 173. تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت. 1993.ص 115.

عرفت أيضاً آلهة كانت تجمع الاثنين في الواحد. وفي ما عدا ذلك فقد كانت الديانة المصرية ذات مادة جنائزية اهتمت بإقامة القبور والأهرامات والموميات, أي الاهتمام بالحياة الأخرى والصعود إلى السماء. وفي ضوء ذلك أقيمت بمواد أخرى اختلفت عن مواد بناء دور السكن الاعتيادية, وبضخامة غير اعتيادية قادرة على الصمود لعوادي الزمن11. وهذا هو أحد الأسباب المهمة التي حافظت على استمرار وجود تلك الإهرامات والمقابر والموميات المدفونة فيها. في حين لم تبرز مثل هذه الظاهرة في حضارة وادي الرافدين بشكل مستمر, رغم إنها قد اهتمت بإقامة المعابد والزقورات العالية التي ربما كانت ترمز إلى موقع مميز ينسجم مع سمو الآلهة وحسن استقبالها في الحياة الدنيا ذاتها, إضافة إلى أنها تجسد محاولة للتقرب من الآلهة وهي في الأعالي. وجدير بالإشارة إلى أن الملوك السومريين كانوا يدفنون بعد موتهم مع أسلحتهم وجنودهم (الحرس الخاص) وخيولهم وأغلى ما يملكون في مقبرة جماعية, كما تشير إلى ذلك الحفريات الاركيولوجية في أور, أو كما يمكن أن تدلل على ذلك المقابر الجديدة التي اكتشفت في (أم العقارب) جنوب العراق حيث كانت موطن السومريين12.

واستنادا إلى واقع التفاعل بين الشعوب "السامية" و "الهندو-آرية" في الجانب الحضاري العام وفي الديانة بشكل خاص يمكن مسك بعض خيوط التماثل والتقارب الواقعي بين الديانة الأيزيدية من جهة, والديانات السومرية والبابلية والأكدية والآشورية والكلدانية من جهة أخرى, أو بين الأيزيدية والزروانية, أو فيما بعد بين المزدكية والمانوية, أو بين المانوية والمثرائية القديمة, أو بين الأيزيدية والمثرائية, أو بين الأيزيدية والمانوية أو غيرها من الديانات القديمة كالديانات الهندية والديانة الفرعونية التي كانت قائمة في المجتمعات الرعوية ومن ثم الزراعية من جهة أخرى13. إذ إن هذه الديانات كانت تمتلك من حيث المبدأ نفس

---

11 بنفس المصدر السابق. ص 39.

12 بغداد. صحيفة حركة الوفاق الوطني العراقي. جريدة شهرية. العدد 435. تشرين الثاني/نوفمبر 2000.
ص 13.

13 Taufiq Wahby: The Remnants of Mihraism in Hara and Iraqi Kurdistan and its Tracces in Yazidism, The Yazidis are not Devil Worshippers, London, 1962

الأسس المادية التي اعتمدت ظواهر الطبيعة مشفوعة بجملة كبيرة من نتائج وعواقب وآثار فعل الطبيعة التي كانت تخدم الإنسان أو تتسبب في هلاكه وفي تدمير ما حوله, إضافة إلى الأساطير والملاحم أو الحكايات والخرافات التي كانت تتناقلها الشعوب مكتوبة أو مسموعة أو محفوظة في الصدر عبر الأجيال, وكذلك الحكايات عن الخوارق والمعجزات من أعمال الأولياء الصالحين والأبطال المحليين. وهي حكايات نشأت واغتنت بصور ومضامين جديدة مع تطور تلك الشعوب والأديان, ونتيجة احتكاك جديد مع أديان أخرى سبقت أو أعقبت ظهورها وتناقلتها تلك الشعوب دون التمحيص بحقيقة تلك المعجزات والكرامات. وهذه الظاهرة المهمة لا تقتصر على الأديان القديمة وآلهتها وما سجل في مقدمات الشرائع والقوانين التي سطرت حينذاك وفي بعض بنودها, بل نجدها أيضاً في الحكايات والأساطير المروية والمسجلة التي تتحدث عن معجزات الأنبياء والأولياء والتي ثبتت في ما يطلق عليه بالكتب "السماوية" أو الأديان الكتابية ابتداءً من العهد القديم ومرورا بالإنجيل وانتهاءً بالقرآن, فهي من حيث المبدأ ذات أساس واحد وغايات واحدة ورؤية فلسفية واحدة, كما إنها كانت وما تزال تعبر عن حاجات معينة لدى الإنسان والمجتمع, إضافة إلى هدف الفئات الحاكمة لتنظيم المجتمع وعلاقاته الداخلية ومع المجتمعات الأخرى وفق مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي في كل منها. وكان النور والظلام, والليل والنهار, والشمس والقمر, والخير والشر, والصالح والطالح من أبرز رموز العبادة حينذاك. ونظرة سريعة في "كتاب الملل والنحل" للإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني, مثلا, أو عند العودة إلى الكتب الدينية المقدسة لتلك الديانات, سنعثر على ضالتنا التي تبين الدور الكبير لظواهر الطبيعة مثل النور والظلام أو القيم الأخلاقية مثل الخير والشر أو مفاهيم مثل الصالح والطالح في أديان تلك العهود[14], والتي تتجلى أيضا في الوصايا العشر المعروفة, وهي ما تزال سارية حتى الآن وستبقى طويلا أيضا, إذ أن تغيير العقائد أو تطوره بطيء للغاية ويستغرق وقتاً طويلاً. ويكفي أن نقرأ أسطورة الطوفان السومرية (أو) والبابلية سنتيقن من انتقالها إلى شعوب أخرى وإعادة روايتها وكتابتها وفق أسلوب وصياغات أخرى وشخوص مقاربة, ولكنها تنسجم مع واقع وتراث وحاجات تلك الشعوب. فالطوفان أسطورة شعبية تناقلتها الشعوب,

---

توفيق وهبي

14 محمد عبد الكريم الشهرستاني: كتاب الملل والنحل, 1-2, تخريج: محمد بن فتح الله بدران, مكتبة الأنجلو المصرية , منشورات الشريف الرضي

ولكنها لم تكن مجرد خيال, إذ أنها لا تخلو من واقعية معينة. فلا بد من أن شعبا أو أكثر من شعب من شعوب الأرض قد تعرض لفيضانات هائلة ومدمرة أتت على الأخضر واليابس وقتلت أعدادا كبيرة من البشر والحيوانات بحيث رسخت في ذاكرة ووجدان سكان ذلك الزمان فسجلوها وتناقلوها وأضافوا إليها من خيالهم ما يزيد من وقعها وتأثيرها على الناس وما يساعد على ربطها مع قيم الخير والشر مثلا15, خاصة في عهود كانت هناك دولة المدينة ذات النفوس المحدودة جدا والتي كانت لا تزيد في أقصاها عن عدة آلاف فقط. وإذا ما قرأ الإنسان عن هذا الطوفان في الكتب "السماوية" أو الجماعات الكتابية لوجد أنها تؤكد

---

15 وسجل القس بولص في كتابه عن "الديانة اليزيدية" عن هذه الظاهرة حين طرح على نفسه سؤالا وأجاب عنه وفق ما جمعه من معلومات عن آراء الأيزيدية حول البعض من تلك القضايا. ويعود عمر هذا الكتاب إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. يطرح القس بولص سؤالا وكأنه يخاطب أيزيديا, ويجيب بنفسه عنه كما يلي:

"خبرني رجاء : س : أين صنع نوح السفينة؟

ج: صنعها في قرية عين سفني قبل الطوفان بسنتين وقد ضحك منه أول الأمر أولاد حواء حتى جاء الطوفان وأبادهم مع باقي المخلوقات. لقد طفت السفينة على الماء حتى اصطدمت بجبل سنجار وخرقت فتلوت الحية وسدت الخرق". راجع في هذا الصدد: حبيب, جورج. اليزيدية بقايا دين قديم. بغداد. 1977.

وفي كتاب مصحف ره ش المقدس لدى الأيزيديين جاء بصدد الطوفان ما يلي:

"وأعلموا أن الطوفان الذي صار في وقت نوح صار طوفان آخر بهذا العالم. وأمتنا اليزيدية تناسلت من نعمي لوجه الملك المكرم للسلام الذي يدعى عندنا ملك ميران. وباقي الطوائف تناسلوا من حام الذي أهان أبيه. أما السفينة فقامت في عين سفني , تبعد عن الموصل خمسة فراسخ. وسبب الطوفان الأول هو من أجل استهزاء الجنس البشري الخارجي كاليهود والنصارى والإسلام وغيرهم الذين تناسلوا من آدم وحواء, لا مثلنا نحن الذين تناسلنا من آدم فقط. كما عرفناكم. أما الطوفان الثاني, فجاء على أمتنا اليزيدية أيضا, فلما تعالت المياه وطافت السفينة فوق الماء صارت فوق جبل سنجار , فصدمت بحجر, فنقبت فتكعوكت الحية وسدت الثقب. فمضت السفينة وأتكت على جبل جودي , (...) ومن الطوفان للان سبعة آلاف سنة , وبكل ألف سنة ينزل إلها واحدا من السبعة آلهة , يصنع لنا آيات وقوانين وشرائع ثم يصعد إلى مكانه. نزوله يصير عندنا , لأن جميع المكانات المقدسة هي عندنا. وفي هذا الزمان نزل الله عندنا أكثر من الزمان الماضي, وثبت لنا الأولياء وكان يكلمنا بلسان كردي". راجع فيه الصدد: الأحمد, سامي سعيد د. اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم. مصدر سابق. ص 268/267.

حصول الطوفان وتسعى إلى تكريسه باعتباره حالة وقعت فعلا, ولكنها تختلف في طريقة عرضها للطوفان وفي الشخوص والمواقع وتفاصيل الوقائع وبعض النتائج التي نشأت عنه. فهي تختلف عن الطوفان الذي تتحدث عنه ملحمة گلگامش[16], كما تختلف بهذا القدر أو ذاك عن الرواية المتكررة له في القرآن أو حتى قبل ذاك في العهد القديم على نحو خاص, إذ أن

16جاء في العمود الثالث والعمود الرابع من اللوح الحادي عشر من النص الكامل لملحمة گلگامش"هو الذي رأى:

" وما أن لاحت تباشير الصباح, حت علت الأفق غيمة كبيرة سوداء, يجلجل في وسطها صوت "حدد" يسبقها شوللات وخانيش, نذيران عبر السهول والبطاح. اقتلع إريجال الدعائم. ثم أتى ننورتا وفتح السدود. رفع الأنوناكي مشاعلهم, حتى أضاء وهجها الأرض. بلغت ثورة حدد تخوم السماء, أحالت كل نور إلى ظلمة, والأرض الفسيحة قد تحطمت كما الجرة. ثارت العاصفة يوما كاملا. تزايدت سرعاتها حتى حجبت الجبال. أتت على الناس, حصدتهم كما الحرب. عميَّ الأخ عن أخيه, وبات أهل السماء لا يرون أهل الأرض. هرب جميعهم صعدا نحو سماء آنو. ناحت سيدة الألهة, ذات الصوت العذب "لقد آلت إلى طين تلك الأيام القديمة, لأني نطقت بالشر في مجمع الآلهة . فكيف نطقت بالشر في مجمع الآلهة؟ كيف أمرت بالحرب تحصد شعبي, تدمر من أعطيتهم, أنا, الميلاد؟ وها هم يملأون البحر كصغار السمك". بكى معها آلهة الأنوناكي. تهالكوا وانحنوا يبكون, وقد حجبوا أفواههم بأيديهم. ستة أيام وست ليال, الرياح تهب, والعاصفة وسيول المطر تطغي على الأرض. ومع حلول اليوم السابع. العاصفة والطوفان التي داهمت كجيش, خفت شدتها, هدأ البحر وسكنت العاصفة وتراجع الطوفان. فتحت النافذة, فسقط النور على وجهي. نظرت إلى البحر, كان الهدوء شاملا. لقد آل البشر إلى طين. كان ال... بمحاذاة السقف. تهالكت, أنحنيت أبكي, وقد أغرقت الدموع وجهي. ثم تطلعت في كل الاتجاهات, مستطلعا حدود البحر.على بعد اثنتي عشر ساعة مضاعفة, انبثقت قطع من اليابسة. واستقرت السفينة على جبل نصير. جبل نصير, أمسك بالسفينة, منع حركتها. أمسك الجبل بالسفينة, منع حركتها, يوما, وثانيا. أمسك الجبل بالسفينة, منع حركتها, يوما ثالثا, ورابعا, أمسك الجبل بالسفينة, منع حركتها, يوما خامسا وسادسا. وعندما حل اليوم السابع, أتيت بحمامة وأطلقتها. طارت الحمامة بعيدا ثم عادت إلي لم تجد مستقرا فعادت, ثم أتيت بسنونو وأطلقته, طار السنونو بعيدا ثم عاد إلي. لم يجد مستقرا فعاد, أتيت بغراب وأطلقته. طار بعيدا. فلما رأى الماء قد أنحسر ,حام وحط وأكل, ولم يعد. فاطلقت الجميع للجهات الأربعة, وقدمت أضحية. سكبت خمر القربان على قمة الجبل...." راجع بهذا الصدد: السواح, فراس. كنوز الأعماق قراءة في ملحمة گلگامش. ط 1. دمشق. نيقوسيا - قبرص. سومر للدراسات والنشر. 1987. ص 210-215.

من المؤكد أن أسرى اليهود في بابل قد نقلوا تلك الأسطورة من بابل إلى أورشليم (القدس) والمدن الفلسطينية الأخرى, وبالتالي وجدت صياغتها الجديدة في التوراة, ومن ثم في الإنجيل فيما بعد (أي في العهدين القديم والجديد)[17], سواء انتقلت شفاها أم كانت مسجلة بطريقة ما لم يكشف عنها حتى الآن, في ما عدا الرقم المسمارية التي أشرنا إليها في الهامش. وما لدينا من معلومات يشير إلى أن أول من سجل أسطورة الطوفان هم السومريون, ولكن هذا لا يعني أنهم لم يأخذوها عن من سبقهم من شعوب المنطقة التي لا نعرف عنها شيئاً حتى الآن. ولكن لم تكتشف حتى الآن معلومات تشير إلى أن هذه الأسطورة قد انتقلت إلى السومريين من حضارة العُبيد في بلاد فارس وبلاد الرافدين. وبتعبير آخر تعتبر أسطورة الطوفان حتى الآن سومرية الأصل. والمعلومات الأركيولوجية تشير إلى احتمال حصول هذا الفيضان (الطوفان) في جنوب العراق (أور), ومنها تلك التي حدثت في الألف الرابعة قبل الميلاد[18], خاصة وأن المنطقة قد عرفت الكثير من الفيضانات, والتي ربما لم تكن بحجم التدمير الذي عرفه الطوفان الوارد في الكتابات السومرية والبابلية القديمة.

ولكن هذا التوافق أو التماثل في الأديان في مختلف المناطق لا ينفي, كما أشرنا إلى ذلك, وجود اختلافات في ما بينها, سواء أكان ذلك الاختلاف يمس طبيعة وأدوار ومهمات الآلهة

---

17 علي, فاضل عبد الواحد د. من سومر إلى التوراة. القاهرة. سنا للنشر. 1996. ص 171.

18 يرد الطوفان لأول مرة في الأساطير السومرية والبابلية في بلاد ما بين النهرين. وفي عام 1872 اكتشف رقم مكتوبة بالخط المسماري في نينوى. وجاء الحديث عن الطوفان عند السومريين في قائمة أو ثبت الملوك حيث ميزت بين ملوك فترة ما قبل الطوفان وملوك ما بعده. ونجد عن الطوفان في الميثولوجيا الهندية بحدود 1000-800 قبل الميلاد, وكذلك في الميثولوجيا الصينية. إن ما ورد في الميثولوجيا السومرية والبابلية يعتبر أقدم مما ورد في الميثولوجيا الهندية والصينية. والبعض يشير إلى وجود ارتباط بين هذه الميثولوجيات, أي انتقالها من السومريين والبابليين وعبر التوراة وغيرها إلى الهند والصين, والبعض الآخر لا يرى ضرورة وجود مثل هذا الارتباط, إذ أن الطوفان كان يحصل في مناطق عديدة من العالم حتى يومنا هذا. راجع في هذا الصدد:

Freydank. Reineke. Schetelich. Thilo. Der Alte Orient in Stichworten. Koechler & Amelang. Leipzig. 1978. S. 401-402.

أو الموقف من الموت والدفن ودنيا الآخرة وغيرها, إذ أن تلك الاختلافات في موقف هذا المجتمع أو ذاك إزاء الأديان والطقوس والتقاليد المرتبطة بها, تعبر عن الاختلافات في مستويات التطور وفي صورة المجتمع عن نفسه, وبالتالي, انعكاسات ذلك على آلهته وطقوسه وتقاليده وعاداته وتصرفاته اليومية. حتى أن تلك الاختلافات الجزئية أو الأساسية كانت سببا في وقوع صراعات دموية وإلى ممارسة سياسات وأساليب تعسفية شديدة الوطأة على الناس من جانب الحكام ومصادرتهم لحرية الناس وحقهم في المساواة والعدالة. والديانة الأيزيدية, كما تبدو لي من خلال الدراسة والإطلاع على الأديان, واحدة من تلك الديانات العريقة في القدم, كما هو حال بعض الديانات ذات النكهة الميسوبوتامية أو العراقية, مثل المانوية أو المندائية, والتي يمكن من خلال التعرف عليها, الحصول على صورة واقعية عن حياة الجماعة الدينية الأيزيدية, إلى جانب حياة الجماعات الدينية الأخرى في المجتمع الكُردي, يمكن أن تضيف أهمية أكبر إلى هذه المنطقة الحيوية والحساسة من العالم واهتماماً بها, رغم التغيرات غير القليلة التي طرأت على حياة ومعيشة وتقاليد وعادات هذه الجماعة الدينية. فالرابطةالعضوية القائمة بين الديانة الأيزيدية والمجتمع الأيزيدي الكُردي, بين الطقوس والتقاليد الدينية الأيزيدية وحياة وهموم ومشاكل وتطلعات الأيزيديين اليومية, بين واقع تطور هذه الديانة وتطور المجتمع الأيزيدي, تساعدنا في فهم طبيعة الأديان القديمة والتحولات التي طرأت عليها والظروف التي عاشتها وفرضت عليها بعض تلك التحولات أو الأصلاحات ثم اتجاهات تطورها لاحقاً. إلا أن هذا التوجه يستوجب تكثيف الجهود باتجاه النبش غي المناطق التي عاش وما زال يعيش فيها الأيزيديون في العراق وفي المناطق المجاورة لنتمكن من اكتشاف ما هو مخفي عنا من أسس هذه الديانة القديمة وعلاقتها بالأديان العراقية القديمة الأخرى أو الديانات الفارسية القديمة, سواء أكان ذلك توافقاً معها أم تعارضاً وما عاناه المؤمنون من بنات وأبناء هذه الديانة عبر الزمن من تنكيل واضطهاد وعذابات مريرة. إن التعرف على تاريخ الأيزيديين وثقافتهم في إطار الشعب الكُردي وتاريخه وحضارته أو في علاقاته مع العرب على امتداد الفترات المنصرمة لا يصب في مصلحة الأيزيديين فحسب, بل في مصلحة سكان المنطقة بأسرها, ومنهم بقية الكُرد والعرب والفرس, وحضارتهم وتاريخهم الطويل.

الفصل الأول

أصل الديانة الأيزيدية

" لا يكفي لطالب الحقيقة أن يكون مخلصاً في قصده بل عليه أن يترصد إخلاصه ويقف موقف المشكك فيه لأن عاشق الحقيقة إنما يحبها لا لنفسه مجاراة لأهوائه بل يهيم بها لذاتها ولو كان ذلك مخالفاً لعقيدته, فإذا ما اعترضته فكرة ناقضت مبدأه وجب عليه أن يقف عندها فلا يتردد أن يأخذ بها. إياك أن تقف بين فكرتك وبين ما ينافيها, فلا يبلغ أول درجة من الحكمة من لا يعمل بهذه الوصية من المفكرين. عليك أن تَصلي نفسك حرباً".

فريدريك نيتشه[19]

تواجه الباحث العلمي في أصل وطقوس وتقاليد الديانة الأيزيدية مصاعب جمة ناجمة عن عدة عوامل رئيسية هي:

- إن هذه الديانة اعتمدت ولقرون طويلة على توارث الطقوس والتقاليد من جيل إلى جيل دون أن يتم تسجيل تلك الطقوس وأصل الديانة والسبل والتغيرات التي طرأت عليها عبر السنين. ونحن ندرك بأن دراسة هذه الطقوس والتقاليد والعادات الجارية على أهميتها, وهي آخر ما وصل إلينا من هذه الديانة وليس بدايتها والأسس التي اعتمدتها والفلسفة الحياتية التي عبّرت عنها والتغيرات العديدة المحتملة التي طرأت عليها.
- قلة التحريات الأركيولوجية في مناطق توطن وعيش الأيزيديين, أو المناطق التي اضطروا للهجرة إليها, إضافة إلى تعرض مناطق الأيزيديين إلى الكثير من الحروب

[19] نيتشه, فريدريك. هكذا تكلم زرادشت. ترجمة فليكس فارس. بيروت. دار القلم. ص 6.

والكوارث أو التدمير والحرق المتعمد لتلك الآثار التي ربما كان في مقدورها, لو كان قد عثر عليها, أن تساعد البحث والباحثين للتعرف بشكل أدق وأقرب إلى الواقع حول أصل الديانة الأيزيدية وطقوسها الأولى. ولا شك في أن باب البحث في هذا الصدد سيبقى مفتوحاً, إذ ما تزال هناك إمكانيات إجراء المزيد من التنقيب والتحري عن هذه الديانة العريقة في القدم لتأمين فهم أفضل لها ولأصولها التاريخية وتشابك علاقاتها مع الأديان والمعتقدات الأخرى.

- ولا شك في أن عدم وجود كتب دينية قديمة, سواء عدم وجودها فعلا, أي عدم تسجيلها, أو ضياعها أو عدم الرغبة في تسجيلها أصلا خشية وقوعها بأيدي الآخرين واستخدامها ضد الديانة أو الكهنة أو حتى ضد أتباعها, قد لعب دورا متميزا في هذا الواقع الصعب الذي يواجهه الباحث في دراسة مختلف جوانب الديانة الأيزيدية.

- كما أن غياب الاعتراف المتبادل بالأديان وضعف التسامح الديني بشكل عام ورفض القبول بوجود أديان أخرى أو عدم اعتراف بعض الأديان الواسعة الانتشار بحق الجماعات الدينية الصغيرة في ممارسة طقوسها وتقاليدها بحرية تامة, ساهم بقسط كبير في تشويه سمعة الأديان المختلفة أو المخالفة لدين الأكثرية أو الدين الرسمي في الدولة أو في هذه المنطقة المعنية أو تلك. ويجد الإنسان هذا الواقع بوضوح كبير في كتب من حاول البحث في طبيعة وتاريخ وطقوس وعادات وتقاليد وعلاقات أتباع هذه الأديان, حيث يلتقي الإنسان بالكثير من التشويهات والإساءات التي كانت أو ما تزال تحاول الحط من شأن هذه الديانة أو تلك بهدف تصفيتها وتحويل أتباعها إلى الديانات الأخرى. ونجد هذا الاتجاه صارخا حقا في الموقف من الديانة الأيزيدية. ويبدو للمتتبع أن كثرة من الكتّاب المسلمين والمسيحيين, من العرب أو من غير العرب, ساهمت بقسط كبير في تشويه حقيقة الديانة الأيزيدية وطقوسها, إذ أنها بذلت الكثير من أجل إبعاد هذه الجماعة الدينية عن دينها ووضعها في خانة المسيحيين أو المسلمين باعتبارها مرتدة عن ديانتها الأصلية, أو محاولة إبعادها عن دينها وكسبها إلى الديانات التي ظهرت لاحقا. ويفترض أن يشار هنا إلى أن الديانات القديمة في بلاد ما بين النهرين أو في أعالي الفرات كانت أكثر اعترافا ببعضها وأكثر تسامحا في ما بينها أو حتى أكثر قربا لبعضها, في حين تغيرت هذه الحالة فيما بعد وأصبحت في القرون الأخيرة, وبشكل خاص بعد سقوط الدولة الكلدانية (539 ق.م) واحتلال بابل من قبل الفرس

الأخمينيين في عهد كورش, حيث برزت محاولات تريد فرض ديانة بعينها على جماعات من ديانات أخرى, ومنها مثلا محاولة فرض الديانة الفارسية الزرادشتية (المزدكية) على سكان هذه المناطق والتي قوبلت بالمقاومة والرفض, ولكن لا يعني هذا إنها لم تحقق بعض النتائج التي كانت تسعى إليها. وفي هذا الصراع الذي ارتبط بالموت أو الحياة وضِع الكثير من الأيزيديين أمام أحد أمرين, إما الموت أو تبديل الديانة والانتقال إلى ديانة الحاكم. وكان الهروب من المنطقة والعيش في أماكن أخرى إلى حين هو الدرب الثالث للخلاص من الأمرين المرَّين السابقين.

- الدور الذي لعبته الجماعة الدينية الأيزيدية ذاتها في هذا المجال من خلال عدم كشفها عن أسرار الديانة الأيزيدية واتجاهها العام ومواقفها المختلفة وطقوسها بغض النظر عن مدى تعارضها مع الأديان والطقوس الأخرى. وكانت وراء هذه الظاهرة السلبية عوامل كثيرة بما فيها التقاليد القديمة في عدم كشف الأسرار الدينية وحصرها في طائفة الكهنة فقط, كما هو الحال في الأديان القديمة في ميسوبوتاميا, أو الخشية من القمع والإرهاب الديني الذي سلطته مجموعات غير قليلة من رجال دين الديانات المختلفة وأتباعها على الأقليات الدينية في مختلف العصور, ومنها ما تعرضت له الديانة الأيزيدية وأتباعها.

- إن استمرار وجود الديانة الأيزيدية لمئات السنين بالرغم من كل المحن والمصائب والاضطهاد والقهر الاجتماعي والإرهاب التي تعرض لها أتباعها يعبر عن ثلاث حقائق مهمة, إذ لولاها لمات هذا الدين أيضا كما ماتت أديان كثيرة قديمة أخرى في هذه المنطقة من العالم وخاصة بعد دخول اليهودية والمسيحية والإسلام على التوالي إليها, وهي:

1. امتلاك الديانة الأيزيدية قدرة فعلية, أو ديناميكية ذاتية, ودائرة مغلقة على نفسها, ساعدتها على البقاء والتوأصل عبر الأجيال المؤمنة بهذه الديانة والتي تتجلى في استعدادها النسبي على التكيف وإجراء التعديلات الضرورية التي تسمح بها مبادئ الديانة ذاتها من جهة, والقبول النسبي بما يفرض عليها من قبل المناهضين لتلك الديانة وما لا يؤثر على جوهر الدين ذاته من جهة أخرى. والديانة الأيزيدية قابلة للتجديد والأصلاح والتطور بدلالة ما فعله الشيخ أدي بن مسافر من تجديد وقبول الأيزيديين لهذا التجديد في الدين مع الاحتفاظ بالأسس والقواعد المركزية للديانة ذاتها.

2. ويدلل على ذلك أيضا وجود أدعية وطقوس تشير بهذا القدر أو ذاك إلى إنها ليست قديمة حقا, وأن رجال الدين الكبار أدخلوها ضمن الطقوس والأدعية الأيزيدية في فترات مختلفة لحاجات وضرورات المجتمع الأيزيدي نفسه. ويمكن معرفة ذلك من خلال اللغة التي كتبت بها والمواقع التي تذكر في تلك الأدعية والتي لم تكن معروفة بهذه الأسماء قديما, أو تماثلها الواضح مع أدعية أخرى لديانات أخرى.

3. قبول الديانة ورجال الدين والباحثين من مثقفي الأيزيديين بتسجيل جديد لكامل التراث الديني الأيزيدي الذل لم يسجل قبل ذاك, أو ظهر على شكل كتب شككت فيها الغالبية العظمى من الأيزيديين, وخاصة المتبحرين في اللاهوت الأيزيدي, باعتبار تلك الكتب غير صحيحة وكتبت في فترات قريبة ومن جماعات غير أيزيدية, مثل كتاب الجلوة ومصحف رش.

لم يكن التشوش الكبير الذي أحيطت به أصل الديانة الأيزيدية وطقوسها وتقاليدها وبنيتها الداخلية وفلسفتها وعادات الناس المؤمنين بها, سببه الجماعة الأيزيدية وحدها, بل شارك في ذلك جميع مناهضي هذه الديانة. ونجم عن ذلك بروز وتبلور العدد من الفرضيات المتباينة حول أصل هذه الديانة ومبادئها الأساسية وطقوسها. وفيما يلي محاولة لصياغة ثلاث من تلك الفرضيات كما يراها الباحث والحوار بشأنها.

الفرضية الأولى

تطرح هذه الفرضية على بساط البحث وجود علاقة متعددة الجوانب بين الديانات "العراقية" القديمة في العهود السومرية والأكدية والبابلية والآشورية والكلدانية من جهة, وبين الديانة الأيزيدية الكُردية من جهة أخرى, باعتبار أن الديانة الأيزيدية واحدة من أقدم الديانات في هذا المنطقة الخصبة والمتميزة جدا في إنتاج الديانات بسبب خصوبة خيال هذا الإنسان وحاجاته اليومية ومشكلاته مع الطبيعة والحياة, رغم التغيرات والتطورات التي شهدتها هذه الديانة على امتداد القرون والعهود المنصرمة, وبشكل خاص منذ الفتح الإسلامي للعراق. فالدراسات الخاصة بالديانات والطقوس والاحتفالات والأعياد القديمة, بالأساطير والملاحم والتراتيل والصلوات والتعاويذ والاحجيات, بالأمثال والأقوال والرقى والتعاليم الدينية وأسماء الآلهة, وخاصة في الديانة السومرية, تشير إلى وجود مثل هذه الصلة مع الديانة الأيزيدية في بعض طقوسها واحتفالاتها وبعض أعيادها الأيزيدية أو بعض مقاطع من تعاويذها وأدعيتها20. وهو أمر ليس بالغريب بسبب وجود

---

20 كتب الدكتور خليل جندي في كتابه الموسوم "نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية" بشأن أصل كلمة أيزيدي يقول: "اكتشف مؤخراً أحد خبراء الآثار واللغات القديمة (السومرية, البابلية والآشورية) بأن كلمة [أيزيدي] - هكذا مكتوب بالخط المسماري في العهد السومري- وهي تعني: [الروح الخيرة والغير متلوثين والذين يمشون على الطريق الصحيح]. وحسب اعتقاده فأن تاريخ أيزيدية يرجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد, وهم من بقايا أقدم ديانة كردية من منطقة الحضارات العظمى في الشرق. أي المعتقدات السومرية-البابلية القديمة. ويشير الباحث إلى ثلاثة من أكبر آلهة الأيزيدية بل الأركان الأساسية في هذا الدين, جاء ذكرهم في تاريخ تلك الحضارات القديمة. الأول: هو (الشيخ شمس) إله الشمس, ويكتب بالسومرية [دينكر أوتو] ويدعى باللغة البابلية [شماس]... والثاني هو: (الشيخ سن) إله القمر. وهو إله ميسوبوتامي يسمى [نانا] بالسومري و [سين] بالبابلي, وهو إله الخصوبة عند النساء. الثالث: هو (الشيخ آدي) إله المطر والخير والبركة. يكتب [إيم] باللغة السومرية ويلفظ بصورة مختلفة في الشرق الأوسط مثل [آدد, آدي, اودنوخ, حدد, حداد]. وكون الآشوريين كانت لهم محبة خاصة ل [الشيخ آدي] فأنهم لم يصوروه في نقوشهم الحجرية وحسب, بل ورد عنه الكثير في كتاباتهم. ولهذا بالذات تواجد معبده في قلب آشور في لالش". راجع في هذا الصدد: جندي, خليل د. نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية. رابوون. السويد. 1998. ص 21/20.

الجماعة البشرية الأيزيدية منذ قرون كثيرة في ذات المنطقة التي وجدت فيها بعض تلك الحضارات أو في منطقة وادي الرافدين عموما. فطاووس ملك, الإله الواحد, ذو الثنائية في الواحد, هو الرمز الأعلى المقدس لدى الأيزيديين أينما وجدوا[21]. وهذا الإله والمعبود الواحد لا يختلف كثيرا عن الإله والمعبود الرئيسي لدى السومريين آن أو آنو (An, Anu) أو الإله نابو (Nabu) أو الإله مردوخ المقدس لدى البابليين أو الإله آشور المقدس لدى الآشوريين. كما إن احتفال الأيزيديين بأول يوم أربعاء من شهر نيسان/إبريل وفق التقويم الشرقي, باعتباره عيد رأس السنة الأيزيدية يذكرنا باحتفالات البابليين بالأول من نيسان/إبريل باعتباره عيد رأس السنة البابلية. ويختلف هذا التاريخ عن موعد عيد رأس السنة لدى الفرس أو لدى الغالبية العظمى من الكُرد حيث يعتبر 21 آذار/مارت عيد رأس السنة لدى الفرس والكُرد معا. ويوم الأربعاء من كل أسبوع هو اليوم المقدس لدى الأيزيديين مثلما هو الحال عند البابليين [22]. ويحرم الأيزيديون على أنفسهم الزواج والنكاح في يوم الأربعاء, كما هو الحال عند البابليين, باعتباره يوم زواج الأنبياء والأولياء عند الأيزيديين حاليا, وربما عند آلهتهم القديمة أيضا وقبل التوحيد, ويوم زواج الآلهة والملوك عند البابليين[23]. ويشير الباحث جورج حبيب إلى "أن عيد رأس السنة البابلي هذا تقليد لأعياد قديمة سبقته تعود جذورها إلى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد, أي أيام حكم الأمير السومري كوديا حاكم لگش حيث كانت هذه الاحتفالات تقوم في مدينة گرسو في بداية السنة وحيث كانت البلاد تحتفل بزواج الإله ننگرسو بالإلهة (باو)"[24]. ولا بد من الإشارة إلى أن شهر آذار ونيسان هما من الأشهر التي تحتفل بها

---

21 تجدر الإشارة إلى أن الطاووس طير غير معروف في المنطقة التي يعيش فيها الأيزيديون. ومثل هذا الواقع لا يعني أنهم لم يسمعوا به أو أنه لم ينتقل إليهم من الهند, خاصة وأن الكثير من الشعوب قد اتخذت من طيور وحيوانات الطبيعة طماطم لها في دياناتها القديمة, وأن حركة القبائل الرحل حينذاك كانت مستمرة. كما أن المنطقة التي وجد فيها على بن أبي طالب لم تعرف هذا الطير, ومع ذلك فقد سجل وصفاً بديعاً له, كما ورد في مكان آخر من هذا البحث, وفق ما هو منسوب إليه.

22Ilhan Kizilhan: Die Yeziden, Verlag medico international, Frankfurt/M, 1997, S. 18.

23حبيب, جورج. اليزيدية بقايا ديانة قديمة. بغداد. 1977. ص 13/12.

24نفس المصدر . ص 14.

الكثير من القبائل الرحل وتلك المعتمدة على الزراعة بسبب كونهما بداية الربيع وما يرتبط بهما من خير وبركة على الناس.

وعند البحث في السمات التي تميز الإله آنو السومري والإله نابو البابلي وطاووس ملك سنجد التقارب الكبير بينهم في عدة خصاظص< منها:

■ الرمز الذي يمثله كل من هؤلاء الآلهة الثلاثة بالارتباط مع قضايا التنجيم والفلك: عطارد.25

■ يوم الأربعاء حيث هو يوم مقدس لدى البابليين ولدى الأيزيديين في آن واحد ويرمز لكوكب عطارد الذي يرمز بدوره لطاووس ملك.

■ الرمز الذي يعبر عنه عطارد "وهو شاب راكب طاووسا بيمناه حية وبيسراه لوح يقرأه, وصورته الأخرى رجل جالس على كرسي بيده مصحف يقرأه, وعلى رأسه تاج وعليه ثياب خضر وصفر.26" ومن يعود إلى الرمز المنقوش على باب **لالش** سيجد ما يؤكد هذه العلاقة الرمزية القديمة, خاصة وجود اللوح المحفوظ عند طاووس ملك وهو المنفذ لأوامر الله, وهو الوسيط الشفيع, وهو الذي يتصرف وفق حكمة الله على الأرض27, إضافة إلى وجود نحت الحية على أحد جوانب البوابة الأساسية لمدخل معبد

25يطرح التنجيم العلاقات التالية بين الأيام والكواكب: زحل -السبت, الشمس-الأحد, القمر-الأثنين, المريخ-الثلاثاء,عطارد-الأربعاء, المشتري-الخميس, الزهرة-الجمعة. راجع في هذا الصدد: حبيب, جورج. اليزيدية بقايا ديانة قديمة. مصدر سابق.
ص 16/14.

26 نفس المصدر السابق. ص 16.

27 كانت وما تزال الحية تلعب دورا كبيرا في ميثولوجيا القبائل والشعوب المختلفة, بمن فيهم العرب, كما تعطى أدوارا مختلفة. فهي التي تعبر عن الحكمة والدهاء, أو عن أرتباط الحياة بالموت أو عن الخير والشر في آن واحد. وجملة من الحكايات المكتوبة او التي تتناقلها الشعوب شفاها حتى الآن تتحدث عن الحية بنوع من التهيب والأحترام والخوف معا. وفي الميثولوجيا الأيزيدية يتجلى في الحية, كما في طاووس ملك, القوتان. يذكر الدكتور خليل جندي إلى أن الحية "منقوشة في مراقدهم (الأيزيدية) المقدسة وخاصة على الباب الرئيسي لمرقد "الشيخ آدي" في جبل لالش. وتقول الأيزيدية بوجود صورتين على باب الجنة احداهما لطير طاووس والثانية للحية". راجع: جندي, خليل د. نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية. ألمانيا. طبعة خاصة. 1997.

لالش. وعلى البوابة نجد نحت للشمس أيضاً, التي هي رمز الآلهة حيث يتسلم حمورابي مثلاً شريعته من إله الشمس, وهي رمز الدفء والضوء وإشراقة الحياة.

■ كما أن آنو ونابو وطاووس ملك تتجسد فيهما الثنائية في الواحد, أي تتجسد في الإله الواحد قوى النور والظلام, قوى الخير والشر في آن واحد.

■ كما أن آنو هو إله السماء حيث تشرق منها الشمس المضيئة والدافئة والباعثة للحياة, هي ذات الشمس التي يتوجه نحوها الأيزيديون عند الصلاة في شروقها وغروبها.

تؤكد الدراسات التاريخية إلى أن عين سفني الواقعة في الشيخان, حيث يقع معبد الشيخ آدي بن مسافر في وادي لالش المقدس (Lalish) عند الأيزيديين والقريب من باعذرة في قضاء الشيخان التابع لمحافظة نينوى حاليا, هو نفس المكان الذي صنعت فيه السفينة لمواجهة الطوفان وفق الميثولوجيا الأيزيدية, كما إنها ذات البقعة اليابسة التي ظهرت في أعقاب الطوفان أو بعد انحسار الماء. وهذا المكان المقدس عند الأيزيديين لا يبعد كثيرا عن موقع مدينة نمرود القريبة من الموصل حيث أقيم فيها معبد الإله نابو. وبلغت الجماعة الدينية التي أقترن أسمها بنابو في القرن التاسع قبل الميلاد ذروتها حينذاك, وأطلق على معبد نابو أسم أيزيدي, أي عباد الله[28], وهو الاسم الذي أطلق ويطلق على الأيزيديين حتى الآن. ومن الجدير بالإشارة إلى أن الإله نابو كان يحظى باحترام وتكريم الآشوريين أيضا, باعتباره أبناً لمردوخ وينبوعا للحكمة, إضافة إلى أن موقف الآشوريين الإيجابي من الإله نابو يجسد مراعاة لشعور البابليين[29], ويمكن أن يحمل معه ويعبر عن روح التسامح الديني بين السكان حينذاك. ويفترض أن نحتفظ بهذه الملاحظة في الذاكرة عند البحث في موقف الأيزيديين من إبليس أيضا ورفضهم المساس به أو الإساءة

ص 46. ونشير أيضا إلى إن الحية لعبت دورا مهما في سد الثقب الذي حصل في سفينة نوح بعد أصطدامها بجبل سنجار ومنعت تسرب المياه إليها, إذ لولاها لغرقت سفينة نوح. راجع في هذا الصدد المصدر السابق, ص 46, وكذلك كتاب حبيب, جورج: اليزيدية بقايا ديانة قديمة. مصدر سابق. ص 77.

28 نفس المصدر السابق, ص 19

29نفس المصدر السابق. ص 21.

إليه بأي حال من جهة[30], واعتباره مكملاً لصورة الإله ذاته (الثنائية في الواحد) من جهة أخرى. فصورة الإله تحمل الخير والشر في آن. وهى التى تنقل جزءاً من روحها, بجانبيها الإيجابي والسلبي أو الخير والشر, إلى مخلوقها, أي الإنسان ذاته, فالإنسان يحمل الخاصيتين معاً. ولكن الله منحه العقل القادر على التفكير والتمييز بين الخير والشر, بين النور والظلام, بين الصالح والطالح, وعليه أن يتصرف وفق ما يمليه عقله. فسلوك طريق الخير أو ممارسة الشر هي من مسؤولية المخلوق وليست من مسؤولية الخالق.

وإذا عدنا إلى الميثولوجيا والتراث السومري لوجدنا أن إنليل (Inlil), إله الأرض والهواء, وهو ابن آنو أو آن إله السماء, الذي ولد من اتحاد آنو وكي, إله المياه المحيطة بالأرض (Enki), وفصل بينهما. وكانت نينليل (Ninlil), إلهة الحبوب, قرينة أنليل وابنهما كان نانا (Nanna) أو (سِن Sin) إله القمر[31]. وفي هذا تلتقي جماعة الأيزيديين

---

30 كتب الدكتور رشيد البندر حول موضوع إبليس والأيزيدية يقول: "أما تسميتهم بعبدة (أ) فتعود إلى سنة 1791م وأطلقها عليهم الوزير العثماني في العراق أحمد باشا بعد أن قتل منهم مجموعة وبعث برؤوسهم المقطوعة إلى اسطنبول. والذي أشاع هذه التسمية كثقافة وتاريخ هو الأب أنستاس الكرملي الذي ادعى الكشف عن كتابي اليزيدية المقدسين بدعوى -كما يبدو - غير مقنعة. وانتشرت التسمية الأخيرة بسرعة بين أهل الديانات الأخرى, وأساسها أن الأيزيديين يرفضون الجمع بين حرفي الشين والطاء ويحرمون البصاق على الأرض علناً. ونظراً إلى عدم التمييز بين ما تعنيه التسميتان كما هو عند الأيزيدية, حكم عليهم بأنهم عبدة الشيطان, والحقيقة تكمن في كونهم يتشاءمون من أي لعنة. ..." راجع في هذا الصدد: البندر, رشيد د. الأيزيدية "ديانة قديمة" تأثرت بالمحيط وحافظت على هويتها. مجلة روژ. العدد 2. نيسان 1997. هانوفر. ص 91.

31 - سواح, فراس. مغامرة العقل الأول. دراسة في الأسطورة - سوريا وبلاد الرافدين. دمشق. دار الكندي. ط 2. 1989.

- علي, فاضل عبد الواحد د. من سومر إلى التوراة. القاهرة. سنا للنشر. ط 2. 1996.

- بشور, وديع د. سومر واكاد, دمشق 1981, ص 183.

- Istvan Hahn: Goetter und Voelker, Corvina Buecher, Budapest, 1968, S. 108-114.

مع الجماعات البابلية أيضا حيث يقترن رمز القمر عند الأيزيديين بالشيخ سن أو الشيخ حسن الذي سنأتي على ذكره لاحقا. كما يلتقي الأيزيديون بالبابليين في الجانب الديني أيضا بثلاث مسائل مهمة هي:

- صيانة أسرار الديانة الأيزيدية وعدم الكشف عنها والحفاظ على طقوسها السرية التي يمارسها الشيوخ والبيرة والقوالون دون غيرهم من المريدين والتي لا يجوز البوح بها لغير المعنيين بها مباشرة. إنها تنتقل من الآباء إلى الأبناء عبر الحفظ بالصدر[32]. وهم في هذا لا يختلفون عن ممارسات كهنة المعابد في الديانات الأخرى أيضا الذين يرفضون الكشف عن أسرار دياناتهم ويستخدمون لغة سرية لهذا الغرض لا يفهمها عامة الناس.
- الالتزام بمبدأ الوراثة في المراكز الدينية, وهي مماثلة لكهنة بابل.
- التراتبية الدينية, التي سنتحدث عنها لاحقا, هي الأخرى مماثلة لما كان سائدا عند البابليين أيضا.

وخلال الفترة الأخيرة كُتبت بعض المقالات حول احتمال وجود علاقة أو وجود طقوس متقاربة بين الديانة الأيزيدية وديانة الصابئة المندائيين. وهذا الاحتمال وارد بسبب كونهما من الديانات العراقية القديمة التي تفاعلت في ما بينها, رغم الانغلاق الذي عرفت بهما هاتين الديانتين غير التبشيريتين[33].

---

32 Kizilhan, Ilhan. Die Yeziden. Ftankfurt am Main. Verlag medico international. 1997. S. 67.

33 البندر, رشيد د. الأيزيدية "ديانة قديمة" تأثرت بالمحيط وحافظت على هويتها. مجلة روژ. العدد 2. نيسان 1997. هانوفر. ص 86-97.
من أجل معرفة أصل وأصول ديانة الصابئة المندائيين راجع كتاب: سباهي, عزيز. أصول الصابئة المندائيين. منشورات المدى -18- دراسات. دمشق. 1996.

الفرضية الثانية

والفرضية الثانية تشير إلى أن الديانة الأيزيدية واحدة من تلك الديانات القديمة المستقلة عن بقية الديانات, وربما المنبثقة عنها, (أو) والمتداخلة مع العديد منها, والمستمدة منها بعض الطقوس والعادات أو حتى الأساطير والحكايات القديمة. فبعض المصادر التي بين أيدينا يشير إلى أن الموطن الأساسي للديانة الأيزيدية قد بدأ بمدينة يزد, القريبة من منطقة خراسان في شرق إيران والقريبة من الحدود الأفغانية وكذلك جورجيا وأرمينيا, ويمتد عبر كردستان الجنوبية (كردستان العراق حاليا) والغربية (كردستان تركيا) والموصل في شمال العراق حتى حلب في الشام (سوريا). ويشير بعض المصادر إلى أن أصل التسمية, التي عرفوا بها منذ القرن التاسع الميلادي, يأتي من هجرتهم أساسا من مدينة يزد الإيرانية التي كانت موطنا أساسيا لأصحاب الديانة الزرادشتية, كما أن بعضهم ينسبها إلى كلمة يزدان الإيرانية التي تعني الذات الإلهية أو أيزيدي أي عباد الله. وجدير بالإشارة إلى أن تاريخ الشعب الكُردي يؤكد بما لا يقبل الشك بأن الكُرد قبل دخولهم الإسلام كانوا من أتباع الديانة الزرادشتية أو الميثرائية, أو إنها كانت قريبة منهما. واستنادا إلى هذا الاحتمال الواقعي في بعض وجوهه يمكن القول بأن مجموعات من هؤلاء الكُرد أو من العشائر الكُردية رفضت في حينها الدخول في دين الإسلام وحافظت على ديانتها الأصلية وطقوسها القريبة من الزروانية والميثرائية والزرادشتية, أو يمكن القول بأنها حافظت على ديانتها الأيزيدية التي ربما كانت أكثر قدما من الديانة الميثرائية أو الزرادشتية المحافظة. وتشير بعض المصادر إلى أن الدين الأيزيدي يعتبر أكثر قدما من الديانة الزرادشتية وأن الأخيرة انشقاق عنها بسبب التباين في الرؤية إزاء إله الخير وإله الشر أو إله النور وإله الظلام. والعديد من المصادر يؤكد إلى أن الموطن الأصلي للديانة الأيزيدية هو منطقة كردستان, وبالتحديد "منطقة حكاري في كردستان الشمالية التي تقع ضمن تركيا حاليا34". وجدير بالإشارة إلى أن الميثرائية ديانة تشعبت بالأساس

34 القاضي, شيرزاد د. لمحة تاريخية عن تأثير الديانة الأيزيديين على نشوء وتطور الفكر القومي الكُردي. روز. مجلة ثقافية دورية تعنى بشؤون الأيزيديين. ألمانيا. مطبعة روناهي . سبتمبر 1997. ص 53

عن الديانة الزرادشتية التي ظهرت في إيران أساسا,والتي أتخذها الحكام دينا رسميا لهم بحدود قرنين قبل ظهور المسيحية, ولكنها تطعمت بطقوس وعادات مأخوذة من تراث الديانات في ميسوبوتاميا القديمة. ورغم وجود علاقة محتملة بين الديانة الميثرائية والأيزيدية, فأن الفارق الجوهري يبرز, كما هو حال الاختلاف مع الديانة الزرادشتية, في الفصل بين آلهة النور والخير وبين آلهة الظلام والشر, وأن إله النور والخير, ميثرا, كان في صراع دائم مع أله الظلام والشر. كتب الدكتور سامي سعيد الأحمد يقول: "وقد اعتقد كاتب عراقي معاصر35 بأن الأيزيدية في الواقع ما هي إلا استمرار للدين الميثروي الذي سادت عبادته في مدينة الحضر Hatra (التي لا تبعد خرائبها كثيرا عن مواقع الأيزيديين الحالية في شمالي العراق), وأن أهريمان كقوة شريرة قد نظر أليه بقدسية تامة في الميثروية أيضا"36. ويعلق بقوله على ذلك بأن هذه "النظرية تتصف بالمعقولية والفطنة ولكن من الصعب إثباتها إضافة إلى تقليلها من قوة التأثيرات الأخرى على المعتقد اليزيدي التي صبته في قالبه الحالي"37. ولا شك في أن هناك قواسم مشتركة بين الأيزيدية والميثروية ولكن ليس بالضرورة أن تكون الميثروية القاعدة التي انطلقت منها أو تشعبت عنها الديانة الأيزيدية. ويصعب حتى الآن إثبات العكس أيضا.

35 يبدو أن المقصود هنا هو السيد توفيق وهبي, ك.ح).

36 سامي سعيد الأحمد, اليزيديون, مصدر سابق, ص 19.

37 نفس المصدر السابق, ص 20/19 .

الفرضية الثالثة

أما الفرضية الثالثة والأخيرة فتدعي بأن الديانة الأيزيدية الراهنة كانت في الأصل واحدة من الفرق الإسلامية التي تبلورت أركانها المختلفة في العهد الأموي وتحديدا في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان, ثاني خلفاء بني أمية في الشام. وتستند هذه النظرية إلى تفسيرات وتقديرات بعض رجال الدين وبعض كتّاب التاريخ من المسلمين. فقد ورد مثلا, نقلا عن الإمام محمد بن حنبل (حوالي 855 م) وعن الإمام أبي الليث ناصر بن محمد السمرقندي (حوالي 853 م), بأنهما قد أفتيا بأن الدين الأيزيدي (اليزيدي) مخالف أو ضد الدين الإسلامي[38]. وكتب الدكتور سامي سعيد الأحمد يقول: "إن أول ذكر لليزيدية جاء فيما نقله أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفي سنة 429 هجرية, سنة 1038 م الذي قال بخارجيتهم"[39].

كما أن بعض الباحثين رد أصلهم إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[40] على أساس الاسم أولا, واعتبار "الشيخ آدي بن مسافر", وهو أكبر شيوخهم, من أصل شامي ومولود في بعلبك, وبالتالي فهو أموي الأصل, وأنه كان من المتصوفة المسلمين قبل أن يستكمل أسس الديانة الأيزيدية المتبعة حاليا[41]. ورغم صدور دراسات كثيرة تدلل على أن الكُرد

---

[38] Ilhan Kizilhan: Die Yeziden, Verlag medico international, Frankfurt/M, 1997, S. 45

[39] سامي سعيد الأحمد: الأيزيدية: احوالهم ومعتقداتهم, الكتاب في جزئين, مطبعة الجامعة, بغداد, 1971, الجزء الأول, ص 27.

[40] سامي سعيد الأحمد: الأيزيدية: أحوالهم ومعتقداتهم, الكتاب في جزئين, مطبعة الجامعة, بغداد, 1971, الجزء الأول, ص 30, نقلا عن العديد من الباحثين ومنهم:

R. H-W. Empsen: The Cult of the Peacock - Angel, London 1928.

[41] Frank, Rudolf Dr. Scheich “Adis” der grosse Heilige der Jezidis. Mayer & Mueller. Berlin. 1911.

يتبنى هذا الكاتب الفكرة القائلة بأن الشيخ آدي بن مسافر هو أحد الشخصيات الدينية المسلمة المتصوفة ومن أصدقاء الغزالي, وأنه كان سني المذهب, وهو الشخصية الثانية التي أدخلت الأصلاح الديني إلى الديانة الأيزيدية. واعتمد في كامل دراساته على كتب المسلمين حينذاك

الأيزيديين لا يمتون في ديانتهم إلى الإسلام بصلة, فأن بعض الباحثين العرب والمسلمين, أو حتى بعض الأيزيديين غير المطلعين على تراثهم وتاريخهم يصّرون عبثا على اعتبار الديانة الأيزيدية إحدى الفرق الإسلامية المرتبطة بيزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن أمية القرشي. وبعضهم استنتج بأن الأيزيديين هم من المسلمين الشيعة ويعود ارتباطهم إلى الإمام جعفر الصادق[42], واعتبرهم البعض الآخر من المناوئين للشيعة باعتبارهم من أتباع يزيد بن معاوية أو من المؤيدين له[43]. والكاتب جورج حبيب يؤكد بشكل قاطع بأن الشيخ آدي بن مسافر أموي الأصل, مسلم متصوف قدم إلى بغداد من لبنان في أواخر القرن الخامس الهجري, ثم غادرها متجولا في الصحارى والجبال حتى حطَّ به الرحال في الموصل وفي غفلة من الناس أستقر في الجبال الواقعة شمال شرق الموصل, أي المنطقة القريبة من وادي لالش[44]. ويستند في ذلك إلى ما ذكره عنه أبن خلگان أو ما جاء عنه في كتاب بهجة الأسرار[45]. إذ كتب يقول: "ويسميه اليزيديون الشيخ (عادي) ويلفظونه (شيخادي) وهو الشيخ عدي بن مسافر الأموي, قدم من بعلبك في لبنان إلى بغداد أواخر القرن الخامس الهجري, وصحب كبار رجال التصوف فيها أمثال الشيخ عبد القادر الجيلي وعقيل المنبجي وحماد الدباس, ثم ترك بغداد وراح يتجول في الصحارى والجبال حتى أتى الجبال الواقعة شمال شرق الموصل, واستقر هناك حتى وفاته بعد أن اجتمع حوله أناس تلك المنطقة من بقايا الديانة البابلية الإيرانية التي تعتبر طاووس ملك وأيزيد أكبر شخصيتين إلهيتين"[46].

الذين حاولوا إبراز هذا الجانب من القضية ولم يبذلوا جهدا حياديا للتحري عن أصل هذه الشخصية أو أفكارها ومواقفها الفعلية, رغم أن هذا لا يغير من حقيقة أن هذا الشيخ قد تعرف جيدا على الديانة الإسلامية وتبحر في علومها ولكنه كان في موقع ديني آخر, من أتباع ومصلحي الديانة الإيزيدية.

42 الجراد, خلف د. اليزيدية واليزيديون. اللاذقية. سوريا. دار الحوار للنشر والتوزيع. 1995. ص 8 .

43 Frank, Rudolf Dr. Scheich “Adis” der grosse Heilige der Jezidis. Mayer & Mueller. Berlin. 1911

44 حبيب, جورج. اليزيدية بقايا دين قديم. مصدر سابق. ص 48.

45 نفس المصدر السابق. ص 54/53.

46 نفس المصدر السابق. ص 48.

إن الادعاء بكون آدي بن مسافر يعود بانتمائه إلى الأمويين لا يمكن أن يكون صحيحا لأن الأيزيدية لا تعرف الانتساب إليها من أقوام أو أديان أخرى, فهي من الديانات القائمة على نسب الدم من الأبوين فقط, كما أنها ديانة مغلقة على الغير. فالأيزيدية والأيزيدي هما من وَلدَ من أبوين أيزيديين بالولادة أيضا. وهم في الموقف من هذه القاعدة صارمون ولا يرقى لذلك شك47. ويصعب القبول بالافتراض الذي طرحه السيد جورج حبيب القائل باحتمال وصول الشيخ آدي "المسلم" إلى المنطقة في فترة موجات الأوبئة والطاعون والقحط أو المجاعة التي يمكن أن تكون قد أفنت سكان المنطقة في فترة قصيرة بحيث أمكن للشيخ عدي أن يدعي انتسابه للأيزيدية. إذ أن الكاتب ينهي افتراضه بقوله " ليس شرطا أن يكون مجيء الشيخ إلى لالش قد حدث في أعقاب كارثة, ولكن هذا الاحتمال يفسر سهولة ولوجه في تلك المنطقة الكُردية الغريبة دون أن يتعرض له السكان كغريب متطفل"48. ولكن اعتبار آدي بن مسافر من أهل سوريا فهو أمر يمكن أن يكون صحيحا أو على ما يبدو صحيحاً حقاً, إذ إن الأيزيديين كانوا ومازالوا يقطنون بعض مناطق سوريا وتركيا أيضا. كما يمكن أن تقبل فكرة أن عائلته لم تعلن عن دينها صراحة بسبب الاضطهاد الذي كانت تتعرض له العائلات الأيزيدية على أيدي السلطات أو على أيدي بعض غلاة المسلمين حينذاك. كما ليس غريبا أن يكون بين الأيزيديين المتمسكين والعارفين بأصول وأسس وتقاليد وطقوس الديانة الأيزيدية

---

47 يفترض أن نشير هنا إلى إن الحروب والغزوات التي تعرض لها الأيزيديون قد اقترنت بخطف وأسر النساء والرجال والشيوخ والأطفال, وبالتالي كان من الممكن أن يربى الأطفال على دين آخر دون أن يكونوا يعرفون ذلك بسبب بيعهم في سوق النخاسة دون الإشارة إلى منحدرهم الأساسي وبالتالي يتربون في بيوت مسلمين أم مسيحيين وعلى هاتين الديانتين. وفي حالة معرفتهم بذلك يمكن أن يعودوا إلى ديانتهم الأصلية. وفي هذه الحالة فهي ليست مشكلة بالنسبة للأيزيديين باعتبارهم من أبويين أيزيديين. ولكن المشكلة تنشأ في حالة زواج المختطفة أو المختطف بعد أن يكبرا من رجل أو امرأة مسلمة أو مسيحية. فأطفال هؤلاء لا يعتبرون أيزيديين بناء على القاعدة المعمول بها في الديانة الأيزيدية. إن تاريخ الدولة العثمانية مليء بمثل هذه الحوادث. ولم يقتصر الأمر على الأيزيديين, بل شمل بشكل واسع المسيحيين من البلدان التي كانت خاضعة للدولة العثمانية, كما أشرنا إلى ذلك في مكان آخر من هذا الكتاب. وهو أمر موغل بالعنصرية والعدوانية والاضطهاد بالنسبة للأطفال والعوائل التي كانت تتعرض إلى مثل هذه الأفعال الشنيعة.

48 حبيب, جورج. اليزيدية بقايا دين قديم. مصدر سابق. ص 53.

شخصية متميزة مثل الشيخ آدي بن مسافر, كما يمكن أن يكون متضلعاً بأصول الدين الإسلامي أو حتى الدين المسيحي والدين اليهودي أيضاً, إذ إن معرفة معمقة وواسعة بأصول الديانات الأخرى والمختلفة, كانت وما تزال ضرورية بالنسبة إلى رجال الدين من مختلف الأديان, إذ كانت تشكل أرضية مهمة لخوض النقاشات مع الأديان الأخرى أو من أجل إقناع أتباعهم بصواب الديانة التي هم عليها من خلال مقارنتها بالأديان الأخرى, أو حتى من خلال الرغبة في التعرف على الأديان الأخرى. ومثل هذه الظاهرة يجدها الإنسان اليوم أيضاً بين الناس من مختلف الأديان, ولكن بشكل خاص بالنسبة للعاملين في مجال الدين أو رجال الدين أساسا الذين يسعون إلى التعرف على الأديان الأخرى والتعمق في دراستها. وغالباً ما تكون تلك الدراسة المعمقة والواسعة من أجل دحض الديانات الأخرى وإبراز نواقصها ومواطن الخلل فيها والإشارة إلى نواقصها وعدم صدقها. ويكفي أن نتطرق هنا إلى الراحل والعلامة الإسلامي الكبير السيد محمد باقر الصدر, لذي تتجلى معرفته الموسوعية بالديانات وفلسفاتها وبالفلسفة الماركسية وغيرها تؤكد صواب التقدير بأن الشيخ آدي بن مسافر, وهو المصلح الديني الأكبر في الديانة الأيزيدية, كان يفترض فيه أن يكون على علم ومعرفة طيبة بالأديان الأخرى, وخاصة بالدين الإسلامي.

تشير الدراسات التي أنجزت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى أن الكتاب قد تعرفوا على كتب كتبت من قبل الشيخ آدي بن مسافر, ولكنها كانت قد زوّرت وسجلت بأسم أحمد بن الرفاعي, إلا أنه وفي مواقع غير قليلة لم يشطب الاسم تماما أو نسي تبديله, مما يدلل على أنه للشيخ آدي بن مسافر وليس لأحمد بن الرفاعي[49]. وهذه الكتب تبحث في قضايا إسلامية كثيرة بما فيها الوصايا الخاصة بسلوك الخلفاء[50]. ورغم أن هذا الادعاء غير ثابت حتى الآن, فأن احتمال صدور مثل هذه الكتابات أمر ممكن, إذا اعتبرنا أن الرجل قد اضطر إلى التزام الإسلام والتصوف علناً حتى نزوحه إلى مناطق الأيزيديين

---

[49] في عام 1911 أعاد الدكتور رودولف فرانك نشر قصيدة وجدت في الكتاب الذي وضع اسم أحمد بن الرفاعي عليه, والذي, كما يرى الدكتور فرانك, أنه يعد من كتابات الشيخ آدي بن مسافر. راجع الملحق.

[50] Frank, Rudolf Dr. Scheich “Adis” der grosse Heilige der Jezidis. Mayer & Mueller. Berlin. 1911. S. 10-43.

في كردستان التي كانت في حينها ما تزال تحت حكم الدولة العباسية, حيث أعلن مجددا عن تمسكه بدينه الأصلي, الدين الأيزيدي.

إن مراجعة ما كتب حتى الآن حول الديانة الأيزيدية تسمح لي بتأييد الافتراض الأول والقسم الأول من الافتراض الثاني باعتبارهما أقرب إلى الحقيقة والوقائع التاريخية والتحليل العلمي والمنطقي لبنية وأسس الديانة الأيزيدية. فواقع هذه الديانة وطقوسها المختلفة وتقاليد المجتمع الأيزيدي الموروثة بعيدة كل البعد عن الديانة الإسلامية كما هو وارد في الافتراض الثالث51. ولا يغير من هذه الحقيقة وجود بعض الطقوس المتقاربة أو الدخيلة أو التي

---

51 أشرنا في مكان ما إلى أن الأيزيدية اتهموا بكونهم من عبدة إبليس. وهذا الملك لا يرتبط عند الأيزيدية بتلك السمات السلبية التي يحاول المسلمون أن ينعتوها به أو يضفونها عليه, باعتباره رفض السجود لله في وقت كان الإله قد طلب من ملائكته عدم السجود إلا له. وقد ورد في نهج البلاغة المنسوب لعلي بن أبي طالب بشأن عبدة الشيطان قوله: " اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا , وأتخذهم له أشراكا , فباض وفرّخ في صدورهم, ودب في حجورهم , فنظر بأعينهم ونطق بالسنتهم , فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل , فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه". راجع: علي بن أبي طالب. نهج البلاغة. ط 1. بيروت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. 1993. ص 62.

يذكر أبن أب الحديد في كتابه "شرح نهج البلاغة بقوله: "وكان في المسلمين - ممن يرمى بالزندقة - من يذهب إلى تصويب إبليس في الامتناع من السجود , ويفضله على آدم , وهو بشار بن برد المرعّث , ومن الشعر المنسوب إليه :

النّار مشرقة والأرض مظلمة والنّار معبودة مذ كانت النّارُ

وكان أبو الفتح أحمد بن محمد الغزّالي الواعظ, وهو أخو أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي, قاصا لطيفا وواعظا مفوها, وهو من خراسان من مدينة طوس , وقدم إلى بغداد, ووعظ بها, وسلك في وعظه مسلكا منكرا, لأنه كان يتعصب لإبليس, ويقول: إنه سيد الموحدين, وقال يوما على المنبر: من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق, أُمِر أن يسجد فأبى:

ولست بضارع إلا إليكم وأما غيركم حاشا وكلاَّ

راجع: أبن أبي الحديد المعتزلي, عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني. شرح نهج البلاغة. الجزء الأول. بيروت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. 1995. ص 86

أضيفت إليها عبر القرون المنصرمة من العيش المشترك مع المسلمين الكُرد والعرب والأتراك والفرس, فمثل هذا التقارب نجده في جميع الأديان تقريبا سواء بصورة طبيعية أو تحت الضغط أو الخوف من الاضطهاد, كما هو الحال مع تبني الأيزيدية ليوم الجمعة باعتباره يوما مقدسا لديهم, كما هو الحال عند المسلمين, في حين أن يومهم الأسبوعي المقدس هو يوم الأربعاء, كما مر بنا سابقا, وهم ما زالوا يحتفلون به في داخل العراق وبشكل مشروع, كما يحتفل به الأيزيديون في الخارج. وقد تمكنت تقاليد الحفظ في الصدر والممارسة السرية لجملة من تلك التقاليد والطقوس والتراتيل الدينية والعادات المتوارثة عبر الأجيال أن تبقى في ذاكرة الجماعة الدينية الأيزيدية. وهذا الأمر ينطبق على عدد غير قليل من الظواهر الأخرى التي أجبر عليها الأيزيديون وخاصة في فترة الاحتلال العثماني لهذه المناطق. ومن متابعة تاريخ هذه الديانة الضاربة بالقدم يستنتج الإنسان بأن محاولات إعادة أصلها إلى الدين الإسلامي لا تخرج عن كونها عملية تعسفية أو قسرية مقصودة تريد بإصرار تشويه سمعة الأيزيديين والإساءة إلى ديانتهم وأتباعها, وبالتالي تأجيج غضب وحقد المسلمين ضدهم باعتبارهم من أولئك الكفرة المرتدين الذين خرجوا عن الدين الإسلامي, أو اعتبارهم من أتباع يزيد بن معاوية الذي كان مسؤولا عن المجزرة التي نظمت لعائلة

ولم يرد في نهج البلاغة أو في كتاب شرح نهج البلاغة لأبي الحديد المعتزلي ما يشير إلى وجود علاقة بين الأيزيدية وهذه المسألة. ويذكر أبي الحديد المعتزلي في مكان آخر من كتابه "شرح نهج البلاغة: في موضوع [كيف ابتدأ خلق البشر] ما يلي: " وأعلم أن الناس اختلفوا في ابتداء خلق البشر كيف كان, فذهب أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى إلى مبدأ البشر هو آدم, الأب الأول عليه السلام. وأكثر ما في القرآن العزيز من قصة آدم مطابق لما في التوراة. ... أما المجوس فلا يعرفون أدم, ولا نوحا ولا ساما , ولا حاما , ولا يافث , وأول متكون عندهم من البشر البشري المسنى "كيومرث" , ولقبه "كوشاه" , أي ملك الجبل, لآن "كو" هو الجبل بالفهلوية, وكان هذا البشر في الجبال... وقيل : تفسي "كيومرث" : حي ناطق ميت. قالوا وكان قد رزق من الحسن ما لا يقع عليه بصر حيوان إلا وبهت وأغمي عليه, ويزعمون أن مبدأ تكونه وحدوثه يزدان-وهو الصانع الأول-عندهم- أفكر في أمر أهرمن, وهو الشيطان عندهم- فكرة أوجبت أن عرق جبينه, فمسح العرق ورمى به, فصار منه كيومرث..." راجع: الشهرستاني. الملل والنحل. المصدر السابق. ص 83. وفي هذا لا يظهر ما يوحي بعبادة المزدكية (الزرادشتية) للشيطان أو إبليس. ويرد هنا أسم يزدان الذي يربطه بعض الباحثين بالأيزيدية, كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

الحسين بن علي بن أبي طالب وابن بنت النبي محمد بن عبد الله, فاطمة الزهراء, وصحبه والتي أدت إلى استشهاده والكثير من أفراد عائلته وصحبه في كربلاء وسبي النساء والأطفال, وبالتالي تحميل الأيزيديين مسؤولية تلك المجزرة أو النظر إليهم باحتقار غير مبرر وغير مقبول أصلا, لأن الادعاء بكونهم من أتباع يزيد بن معاوية باطل من الأساس, إضافة إلى أن معاوية لم يكن عالماً مجتهدا لكي يكون له أتباع ومريدين في الديانة, كما أنه لم يشكل فرقة دينية جديدة في حينها أو فيما بعد لكي يمكن أن ينسب إليه جماعة معينة. وكانت الفتاوى الدينية العثمانية الخاصة بتكفير الأيزيديين وحل دمهم مستندة بالأساس إلى هذه الحجج الواهية والمخالفة للوقائع والمبنية على تمييز ديني متعصب اشتهر به الحكام العثمانيون على نحو خاص[52], وتجلى ذلك لا في موقفهم من الأيزيدية فحسب, بل ومن أتباع الديانة المسيحية عموما, ومن الأرمن على نحو خاص, إذ يصعب على الإنسان أن ينسى الجرائم البشعة التي ارتكبت بحق الأرمن في عامي 1914و 1915 التي أودت بحياة ما يقرب من مليون شهيد أرمني[53]. وكما يبدو لي فأن الفرضيتين الأولى والثانية تستندان إلى أرضية أكثر صلابة وواقعية في تشخيص أصل الديانة الأيزيدية علما بأن الدين الإسلامي, وقبل ذلك الدين المسيحي, قد أثرا بهذا القدر أو ذاك على بعض الممارسات في الديانة الأيزيدية. فمنذ دخول المسيحية إلى المنطقة أولا, ثم الفتح والاحتلال الإسلامي في النصف الأول من القرن السابع الميلادي ثانيا, تعرض أتباع الديانة الأيزيدية إلى مصاعب جمة تفوق وتختلف عن المتاعب التي عانت منها ديانات غير إسلامية أخرى مقاربة لها, عندما كانت تلك الديانات تعتبر ديانات رسمية لدول معينة, أي عندما يتداخل أو يتشابك الدين بالدولة, كما حصل في عهد الساسانيين مثلا, حيث كانت المزدكية (الزرادشتية) تعتبر الديانة الرسمية للدولة. وبالتالي أقر بها الإسلام واعتبرهم من أصحاب الديانات السماوية كالمسيحية واليهودية والصابئة المندائية.

إن عملية التلاقح والتطعيم الذي حصل للديانة الأيزيدية لم يتم وفق رغبات وإرادة أهل هذه الديانة, بل كانت محاولة للخلاص من الضغط والإرهاب والاضطهاد الديني والسعي الذي

---

52 نفس المصدر, الجزء الثاني, ص 208-212

53 غازاريان, هايكازن. وثائق تاريخية عن المجازو الأرمنية عام 1915. ترجمة نزار خليلي. سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية. دار الحرية للنشر والتوزيع. حلب/سوريا. ط1. 1995.

بذله الحكام لإجبار الناس الأيزيديين قسرا على الدخول إلى إحدى الديانات التالية: الزرادشتية والمسيحية والإسلام.

وتقدم الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية عشرات بل مئات الأدلة على استفادتها وأخذها للكثير من الحكايات والأساطير أو الملاحم وكذلك الطقوس والتقاليد من الديانات القديمة التي ما تزال تمارس حتى يومنا هذا. وهو أمر طبيعي وناشئ عن تفاعل الثقافات والحضارات, بما فيها الأديان. وبهذا الصدد يشير أحد الباحثين الأيزيديين الشباب إلى أن الجماعة الأيزيدية, كما هو حال بقية الكُرد, قد قاومت في البداية الفتح الإسلامي وخاضت معارك غير قليلة ضد الفاتحين والمحتلين الجدد. إلا أنها اضطرت أخيرا إلى الاستسلام. ولكن هذا الاستسلام لم يشمل الجانب الديني, إذ أن الأكثرية رفضت الانخراط في الإسلام. وجاء نقلا عن كتاب البلاذري "فتح البلدان" ما يلي: "جاء الإسلام إلى كردستان بطريقتين السيف والقرآن وأرغمونا على الإسلمة. وقد هلك منا عدد غفير أثناء المقاومة. لو قرأت كتاب البلاذري فتح البلدان تجد ذكر حملات الجيوش الإسلامية على شعب كردستان وكيف إن الكُرد قاتلوا للحفاظ على معتقداتهم. وأشار المؤلف إلى الموصل وإلى باعذرة عاصمة شيخان ويقول: عندما وصلت جيوشنا إلى الموصل تمكنا من عبور نهر دجلة بعد معركة ضروس واتجهنا نحو داسن التي قاومتنا بضراوة فأسلم البعض وقبل الآخرون دفع الجزية. كان عياض بن غنم قائد الجيوش الإسلامية قد التقى بسكان داسن. وهؤلاء وجهوا إليه السؤال, لماذا تعاملنا معاملة غير المؤمنين نحن نؤمن بالإله الأوحد. هنا أرسل القائد الإسلامي إلى الخليفة عمر يطلب النصح فكان جواب الخليفة عمر عاملهم معاملة أهل الكتاب. الغالبية دفعت الإتاوات والبعض الآخر هاجر دياره ولم يسمح له بحمل ممتلكاته, هاجر البعض لكي ينقذ دينه.[54]" ومن الجدير بالإشارة إلى أننا لم نعثر على مصدر أخر يشير إلى فتوى عمر بن الخطاب, إذ أن الاعتراف بالأيزيدية على أنهم أهل كتاب سماوي, يعني اعتبارهم من أهل الذمة. وحتى الآن لم يتم التدليل على أنهم كانوا يملكون كتاباً في فترة خلافة عمر بن الخطاب على المسلمين. إذ أن المعلومات المتوفرة حتى الآن تشير إلى أن كتب الأيزيديين المقدسة قد وضعت في فترة لاحقة, أي بعد بروز شخصية شيخادي, إذ أنه هو الذي قام بوضع طقوسها, وربما بتعبير أدق, قام بتسجيلها في ضوء ما كان محفوظا في الصدر. ولم

54 بييره دش. لقاء مع مثقفي اليزيدية. دهوك. مجلة لالش . العدد 5/ 1995 ص 125/124.

يكن القول بالتوحيد كافيا لهذا الغرض. وإذا كانت هناك فتوى من عمر بن الخطاب بشأن الأيزيديين لما تجرأ الكثير من علماء الدين المسلمين إصدار فتاوى ضد الأيزيديين واعتبارهم من غير أهل الذمة, رغم أن الخلفاء الذين جاءوا من بعد الخلفاء الراشدين, في الدولتين الأموية والعباسية, ومن ثم السلاطين في فترة العهد العثماني, كانوا على استعداد إلى إلصاق مختلف التهم بالناس الآخرين, سواء أكانوا على دين آخر, أم كانوا على دين الإسلام, والتي كانت تؤدي بمن يتهم بمثل تلك التهم إلى الموت المحتم. إن الفتاوى بتكفير الأيزيديين من جانب جملة من رجال الدين المسلمين وممارسة صنوف الاضطهاد ضدهم من جانب الحكام أو حتى مجموعات من السكان المسلمين في مناطق سكن الأيزيديين على امتداد الفترات السابقة قد نجم عند البعض من اعتبارهم من "المسلمين المرتدين عن الإسلام", وارتبط عند البعض الآخر بسبب كونهم من "عبدة إبليس, ورفض علماء الدين المسلمين اعتبارهم أصحاب كتاب وموحدين, وبالتالي عدم اعتبارهم من أهل الذمة. إن الإشكالية الكبيرة عند كثرة من حكام المسلمين في تلك الفترات تبرز في غياب الاعتراف والتسامح المطلوب إزاء الأديان والمعتقدات الأخرى, ورغبة هؤلاء بتحويل الناس إلى الدين الإسلامي بمختلف السبل. وكان هذا الموقف غير التسامحي والمتعصب أحد العوامل المهمة, إضافة إلى أسباب أخرى, ومنها التزمت والتعصب القومي, إلى نشوب الصراعات وإلى إضعاف التلاحم في المجتمعات التي كانت تابعة لتلك الدول, كما ساهمت في انهيارها, سواء كانت تستند إلى أكثرية عربية, كما في الدولة الأموية والعباسية, أم على أكثرية تركية كما حصل في الدولة العثمانية. ومثل هذا الاضطهاد تعرض له الصابئة المندائيون في العراق أيضا, رغم إن الإسلام قد اعترف بكونهم أهل كتاب واعتبرهم من أهل الذمة, ولكنه لم يبلغ الشدة التي تعرض لها الأيزيديون في بلاد ما بين النهرين, في فترة الحكم الأموي والعباسي والعثماني على نحو خاص. تشير الكثير من المعطيات, ورغم ما يقال عن فتوى عمر بن الخطاب, فأن التعامل مع الأيزيديين لم يكن سليما, إذ أن الخلل الأساسي في هذا المجال ناشئ عن محاولات إجبار الكُرد, ومنهم الجماعة الدينية الأيزيدية, على تبني دين الإسلام بالقوة والعنف وتحت سياط الفاتحين. إنها الإساءة الكبرى وجوهر التمييز الديني (راجع الملحق رقم 1 في هذا الصدد).

إن البحث في أصل الديانة الأيزيدية يرشدنا إلى أن الكُرد بشكل عام كانوا على احتكاك مستمر بشعوب المنطقة, سواء كانت تلك الشعوب سومرية وأكدية وبابلية وآشورية أم كانت

من الشعوب الإيرانية والهندية بحضاراتها وثقافاتها وأديانها المختلفة. وكانت, كما تبدو للمتتبع, ديانات متقاربة جداً. وبمرور الزمن أنقسم البعض من تلك الديانات وتباينت اتجاهاتها وبعض التفاصيل فيها. وأميل في تقديري القائم على مطالعاتي في هذا الصدد إلى أن الديانة الأيزيدية تحمل في بنيتها بذرات وطقوس وتقاليد سومرية وبابلية, كما إنها كانت فيما بعد على وفاق مع الشعوب الإيرانية في ديانتها من حيث اعتماد مبدأ الثنيوية في الواحد, مبدأ تجسيد النور والظلام, الخير والشر في إله واحد. وجرى تحول متميز وتدريجي في ديانة الفرس القدامى باتجاه الفصل الكامل بين إله الخير والنور (Ahura Mazda) وإله الشر والظلام (Ahriman), أي أن الفرس من الناحية العملية طوروا أو أقاموا ديانة جديدة هي الديانة المزدكية (الزرادشتية) التي لم تتخل عن بعض أصولها القديمة. في حين حافظت بعض القبائل الفارسية, إضافة إلى قسم من الكُرد, على المبدأ الأساسي السابق, مبدأ الثنيوية في الواحد. وهذا المبدأ يفترض عبادة الإله الواحد الذي يمثل الخير والشر, النور والظلام في آن واحد, بغض النظر عن التغيرات الأخرى التي لحقت بهذه الديانة أو بالديانة المزدكية (الزرادشتية), التي رفضت الثنائية في الواحد وفصلت بينهما في ثنيوية مستقلة وضع زرادشت تعاليمه في (آفستا) التي تعتمد تقديم "القرابين وطقوس الطهارة وتقوية النار المقدسة وما شابهها"[55]. إذ إن الاختلاف لم يشمل قوى الخير والشر فحسب, بل والموقف من الموت والدنيا الآخرة والدفن, وكذلك الموقف من ملائكة الخير وملائكة الشر, والموقف من العناصر النقية المقدسة التي لا يجوز تدنيسها, وهي: "السماء, الشمس, الهواء, الريح, النار والماء وما شابه"[56].

وقد حارب الزرادشتيون بتعصب شديد وعنف ضد الجماعات الأخرى التي رفضت الإقرار بالثنيوية المنفصلة ودفعت أقساما منهم للهجرة إلى الشمال الغربي من الهند في المناطق المجاورة لبومباي, ويطلق عليهم اليوم ب "پارس Pars", وهم من عبدة النار الذين يمارسون ترك جثث موتاهم في العراء في مكان خاص محاط بسور مرتفع يسمى "داخماس Dakhmas". ويقترب في بنائه من مدرج على شكل قمع تتوسطه حفرة عميقة. والمدرج مقسم إلى ثلاثة أقسام أو مستويات حيث تكون الدائرة العليا أو الأولى بجوار السور

55 توكاريف, سيرغي أ. الأديان في تاريخ شعوب العالم. مصدر سابق. ص 362.

56 Tokarew, S.A. Die Religion in der Geschichte der Voelker. Berlin. Dietz Verlag. 1978. S. 458.

ومخصصة لجثث الرجال, والدائرة الثانية مخصصة لجثث النساء, أما الدائرة الثالثة القريبة من الحفرة العميقة فمخصصة لجثث الأطفال. ويقوم خدم متخصصون بإدخال هذه الجثث إلى "الداخماس", إذ الدخول إليه محرم على غيرهم. وسرعان ما تلتهم الصقور جثث الموتى. أما عظام الموتى فتلقى في الحفرة العميقة في وسط البناء. وكان هذا التقليد سائدا في إيران قبل أن يتم التحول إلى الديانة المزدكية (الزرادشتية)[57] وناشئ عن الاعتقاد بضرورة عدم تدنيس عنصر التراب المقدس[58].

تعرضت الديانة الأيزيدية الحالية عبر مئات من السنين المنصرمة, إلى مجموعة كبيرة من العوامل المؤثرة ساهمت في بروز جملة من الظواهر والطقوس الإضافية أو إنها اختزلت بعض ما كان فيها من طقوس وتقاليد, أو أدخلت عليها تعديلات وتحويرات أو حتى بدعا لم تكن من أصل الطقوس الدينية لأسباب كثيرة نشير إليها لاحقا. فرغم العزلة النسبية التي عاش في ظلها الأيزيديون, شكلوا جزءا من واقع هذه المنطقة, أثروا فيها وتأثروا بها وبأحداثها, وطرأ على ديانتهم بعض التغير والتطور أو الإضافات. إلا إنها كانت عملية معقدة بطيئة ومديدة. والتغيير البطيء والتدريجي لم يمس الديانة الأيزيدية فحسب, بل شمل جميع الأديان وطقوسها العملية على نحو خاص. فحركة جميع الأديان وعبر آلاف السنين تؤكد بأنها من البنى الفوقية المحافظة التي تتطور ببطء شديد جدا يصعب رؤية التحولات التي تجري فيها أو تلمسها خلال جيل أو جيلين أو حتى عبر أجيال عديدة. وتعتبر الديانة الأيزيدية من بين تلك الديانات التي كان التغيير فيها أو التطور الذي صاحبها محدودا جدا, إذ إنها استطاعت رغم كل الأجواء المعادية لها أو محاولات تشويهها والإساءة لها أن تصمد عبر المئات من السنين. ويمكن الادعاء بأن عامل الانغلاق النسبي من جهة, وعامل الاستعداد النسبي للتكيف الشكلي من أجل تجاوز المصاعب من جهة أخرى, إضافة إلى القناعة الدينية الصارمة لهذه الجماعة البشرية من جهة ثالثة, قد لعبت دورها في استمرار وجود الديانة الأيزيدية في ذات المناطق التي كانت موجودة فيها منذ مئات أو آلاف السنين. إلا إنها لم تكن دون عواقب وسلبيات كثيرة على أتباعها.

---

57 465 466/نفس المصدر السابق ص

58 نفس المصدر السابق. ص 463/462.

لو تتبعنا الطقوس التي يمارسها أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة منذ عهد النبي محمد بن عبد الله حتى الوقت الحاضر لوجدنا العجب العجاب. ويكفي أن نتتبع طقوس الحزن على شهداء الشيعة من الأئمة والأولياء الصالحين, وخاصة أيام الحزب في عاشوراء على مقتل الشهيد الحسين وصحبه الكرام وسبي أفراد عائلته, مثل التطبير الو الضرب بالسيوف والقامات على الرأس المحلوقة, أو الضرب بالسلاسل الحديدة وبعضها يوضع في رأس كل سلسلة سكين حاد صغير ومعوج يخترق جلد ولحم الظهر, أو اللطم على الصدور. ويمارس هذه الطقوس غير الطبيعية الكثير من الأولاد الصغار والصبية والرجال, وكلهم من الذكور, من مختلف الأعمار.

دخلت على الديانة الأيزيدية العديد من تقاليد وطقوس الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية ذات الأساس التوحيدي المشترك. ورغم تلك الإضافات والتحويرات التي طرأت عليها, فأن الإنسان لا يخطئ في ملاحظة عمقها وارتباطها التاريخي بالعراق وإيران القديمين أو حتى بحضارات وأديان حوض نهر السند والصين. وهي ما تزال تحتفظ بجذرها الأساسي القديم الذي يعتمد ظواهر ومكونات الطبيعة, كما تمتلك بعدها الإنساني وتتحلى بروح التسامح التي توفرت في بعض الأديان القديمة. ورمز الطاووس مثلا يعبر عن موقع الطير عموما في نفوس الأيزيديين, الذي يعبر عن الانطلاقة نحو السماء والشمس والطبيعة والحرية من جهة, والروعة أو الجمالية التي يتميز بها هذا الطير بالذات من جهة أخرى, إضافة إلى مجموعة الألوان الجذابة التي تقترب من ألوان الطبيعة ذاتها, ألوان قوس قزح الساحرة. كما لا يستبعد أن يكون الطاووس طوطم الأيزيديين القدامى. ورغم أن الطير لم يكن من طيور المنطقة, إلا أنه من طيور الهند المعروفة وغير البعيدة عن إيران أو العراق أو كردستان. وقد أفتتن بهذا الطير البديع كثرة من البشر في مختلف أنحاء العالم. وروعة هذا الطير دفعت بالإمام علي بن أبي طالب إلى أن يكتب فيه قطعة نثرية جميلة, كما يرد ذلك في نهج البلاغة. فضمن ما كتبه عن الطيور قوله في الطاووس: "ومن أعجبها خلقا الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل , ونضَّد ألوانه في أحسن تنضيدٍ, , بجناحٍ أشرجَ قصبه , وذنب أطال مسحبه , إذا درج إلى الأنثى نشره من طَّيه , وسما به مطلا على رأسه , كأنه قلع داريٌ عنجه نوتيةٌ , يختال بألوانه , ويميسُ بزيفانه , يفضي كإفضاء الديكةِ , ويؤرُّ بملاقحةٍ أرَّ الفحول المغتلمة للضراب , أُحيلكَ من ذلك على معاينةٍ , لا كمن يحيل على ضعيف إسناده , ولو كان كزعم من يزعم أنه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه , فتقف في ضفتي

جفونه , وأن أُنثاه تطعم ذلك, ثم تبيض , لا من لقاح فحل, سوى الدمع المنبجس , لما كان ذلك بأعجب من مطاعمه الغُراب , تخال قصبه مداري من فضة , وما أنبت عليها من عجيب داراته وشموسه , خالص العقيان وفلذ الزبرجد..."[59].

وتشير جملة من المصادر إلى أن الديانة الأيزيدية عرفت الكثير من البدع والخرافات التي كانت فيها أساسا أو جاءتها فيما بعد والتي ما تزال عالقة بها بما فيها بعض الأساطير والخرافات والاعتقاد بالمعجزات والخوارق للأولياء الصالحين وأرباب الكرامات, أو أن بعضهم كان (أو) وما يزال يعتقد بالسحر. وهي لا تختلف في ذلك عن بقية ما يسمى "بالأديان "السماوية والأديان أو العقائد غير السماوية", (الكتابية وغير الكتابية), في هذا الصدد وفي سائر أرجاء العالم. وهي لا تنفصل عن مستوى وعي الإنسان والمجتمعات ومستوى التطور الحضاري. لقد كان العراقيون القدامى وشعوب المنطقة بأسرها تؤمن بالسحر وتمارسه وتسعى للاستفادة منه لمساعدتها في مواجهة صروف الدهر وإشكاليات حياتها اليومية وتدبير معيشتها, وكانت تستخدم التمائم والتعاويذ لهذا الغرض وعلى نطاق واسع. وقد اعتقد الناس حينذاك بالسحر وآمنوا بآلهة قادرة على ممارسته ومساعدتهم في حياتهم. فعلى سبيل المثال لا الحصر اعتمد الناس على الإله **أيا** باعتباره إله الحياة والحكمة ويمتلك سلطة السحر العليا. يقول الكاتب هاري ساكز في كتابه المسوم عظمة بابل بهذا الصدد ما يلي: ""أما الإله أيا, فكان يعتمد عليه كثيراً فهو صديق دائم للبشرية. وكان الإله أيا مستعداً للمساعدة في وقت المحن ويقظ دائماً لكبت غضب إنليل أو حقد العفاريت. وكان لهذا

---

59 الإمام علي بن أبي طالب. نهج البلاغة. بيروت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. 1993. ص 339/330.

يوأصل علي بن أبي طالب وصف الطاووس فينقل عنه قوله: " فأن شبهته بما أنبتت الأرض قلت : جَنِيٌ جُني من زهرة كل ربيع , وإن ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل , أو كمونق عصب اليمن , وإن شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات ألوان , قد نطقت باللجين المكلل , يمشي مشي المرح المختال , ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكا لجمال سربالة وأصابيغ وشاحه , فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه , لأن قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من طنوب ساقه صيصية خفية. ...".

الإله, وهو إله الحياة والحكمة, سلطة السحر العليا وقد وهب معرفته بكامل حريته إلى ابنه مردوخ"60.

وظاهرة الإيمان بالسحر وبوجود العفاريت واستخدام التمائم والتعاويذ ما تزال موجودة في العراق حتى يومنا هذا وتمارس من قبل كثرة من السكان وخاصة في المدن الصغيرة والأرياف, ولا تقتصر على جماعة من دين معين بل تشمل أناسا من مختلف الأديان في العراق. وتشير المعلومات الواردة من العراق إلى أن نسبة غير قليلة من السكان لجأت إلى السحرة والمنجمين تستعين بهم لمواجهة صروف الدهر الجديدة, لمواجهة النكبات والمصائب المستمرة التي ما انقطعت تصيب الشعب العراقي منذ عقود عديدة, وخاصة بعد وصول البعث العفلقي-الصدامي إلى السلطة في العراق وحتى بعد سقوطه. كما أن الناس لجأوا إلى ممارسة الغيبيات بسبب ثقل العبء الذي تحمله من جراء وجود نظام استبدادي دموي غير محسوب التصرف والعاقبة, واضطرارهم للعيش تحت وطأته أو تحت وطأة الإرهاب الراهن.

لقد تعرض الأيزيديون في تاريخهم الطويل إلى الكثير من التعسف والاضطهاد مما أجبر الكثير من أبنائهم على الهجرة من مناطق سكناهم إلى مناطق أخرى للتخلص من الإرهاب والاضطهاد, وشكل هؤلاء ومنذ القدم جاليات صغيرة في بلدان عديدة. فدراسة تاريخ الأيزيديين يبين بما لا يقبل الشك, بأن هذه الجماعة الدينية قد تعرضت إلى اضطهاد شرس ومرير ارتبط في أحيان كثيرة بالجانب الديني وفي أحيان أخرى امتزج أو تداخل مع الجانب القومي الكُردي. ويشكل الأيزيديون جزءا عضويا من الشعب الكُردي. ويذّكر من يؤكد هذه الناحية بالتاريخ المشترك والأرض المشتركة واللغة المشتركة والتراث الثقافي المشترك والكثير من العادات والتقاليد المشتركة, إضافة إلى العديد من الأعياد القومية والشعبية المشتركة, مع وجود الاختلاف في الديانة وجملة من الطقوس والعادات الأخرى. ولا يغير

60 ساكز, هاري د.(Prof. Dr. Saggs, H. W. F.) عظمة بابل. موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة. ترجمة د. عامر سليمان ابراهيم. جامعة الموصل 1979. ص 342. الطبعة الأولى للكتاب باللغة الأنجليزية ظهرت في عام ذ962 والطبعة الثانية في عام 1966 في لندن, والطبعة الثانية هي التي اعتمدها المترجم. وأشير في الكتاب المترجم إلى أنه طبع بمطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر. ولم تذكر المدينة أو الدولة التي تم فيه النشر, ويبدو ان الطبع قد تم في القاهرة.

من هذه الحقيقة التباين الديني, خاصة ونحن نعرف أن الكُرد وقبل أن يدخلوا في الإسلام كانوا يعتقدون بديانة قديمة أخرى, سواء كانت مزدكية (زرادشتية) أم مقاربة لها أو كانت مقاربة للأيزيدية بالذات أو حتى أنها كانت ديانة واحدة ابتداءا. إلا أن الشواهد التاريخية تشير إلى أن الكُرد الأيزيديين قد تعرضوا للاضطهاد من قبل الكُرد المسلمين أيضا, وعلى وجه الخصوص من الحكام والأمراء الكُرد في العهد العثماني الذي سنبحث فيه لاحقا.

تشير أغلب الدراسات حول الأيزيديين بأنهم من الأقليات الدينية التي كانت وما تزال تحافظ على أسرار وطقوس وتقاليد دينها وترفض كشف أسرارها. والسؤال الذي يلح على متتبعي تطور الديانة الأيزيدية هو: لِمَ يسعَ الأيزيديون إلى التستر والاحتفاظ بالأسرار والأصول الدينية في إطار مجموعتهم البشرية أو بل في نطاق كبار رجال الدين فقط؟ إن تاريخ الجماعة الدينية الأيزيدية كفيل بالإجابة عن هذا السؤال, إذ يكشف لنا بما لا يقبل الشك عن عدة حقائق مهمة كانت (وما تزال) تكمن وراء هذه الظاهرة, منها بشكل خاص:

- الاضطهاد الديني المديد الذي تعرضت له الجماعة الدينية الأيزيدية من قبل قادة وأتباع الأديان الأخرى على امتداد العصور المنصرمة. ولم يقتصر ذلك الاضطهاد على التعذيب والتشريد أو النهب والسلب والاغتصاب والعبودية وبيع المختطفين بسوق النخاسة فحسب, بل اقترن أيضا بتصفيات جسدية متوأصلة بهدف إنهاء وجودهم أصلا أو اختطاف أطفالهم وتربيتهم وفق الديانات الأخرى ومنها الديانة الإسلامية. وقد حصل هذا مع أطفال المسيحيين في الأقاليم ذات الديانة المسيحية التي كانت تابعة للدولة العثمانية, والتي جئنا على ذكرها في مكان آخر من هذا الكتاب.
- السعي لتحويل الأيزيديين عن دينهم وإدخالهم في الديانة المسيحية أو الإسلامية واستخدام كل الوسائل غير المشروعة لتحقيق هذا الغرض.
- المغالطة في نشر معلومات غير حقيقية واتهامات باطلة عن أصل الديانة الأيزيدية والأسس التي تعتمدها والمبادئ التي تؤمن بها والأسس الأخلاقية التي تعتمدها, ومحاولة جادة للإساءة إلى الأيزيديين من خلال اعتبار أنهم كانوا جزءاً من المسلمين وارتدوا عن دين الإسلام, وبالتالي, يحق للمسلمين إصدار الفتاوى الدينية بحقهم وقتلهم. ومن الجدير بالإشارة إلى أن بعض رجال الدين المسيحيين قد تمسك بنفس الدعوى حين حارب الأيزيديين باعتبار أنهم كانوا قد دخلوا المسيحية ثم ارتدوا عنها. وتشير الدراسات التاريخية الموثقة إلى أن

أعدادا غير قليلة من الأيزيديين أجبرت على التخلي عن الديانة الأيزيدية والالتحاق بالديانة المسيحية أو الدين الإسلامي في فترات مختلفة, إلا أن اضطهاد المسؤولين في الدولة العثمانية وحكام المناطق المختلفة من كردستان, سواء كانوا من الأتراك أم من الكُرد أم من العرب, كان بشعا للغاية في محاربة الأيزيديين والديانة الأيزيدية وفرض تخليهم عن ديانتهم لصالح الديانة الإسلامية. ولكن الغالبية العظمى منهم قاومت هذه السياسية التمييزية وصمدت في وجه الإرهاب والاضطهاد. وكثرة منهم لقت حتفها أيضا. ولا بد لكل منصف أن يؤكد بأن القرون المنصرمة التي تميزت بممارسة الإرهاب الفكري والسياسي والديني والقومي غير المنقطع الذي تعرض له الأيزيديون لم يبق دون تأثير مباشر أو غير مباشر على الديانة الأيزيدية وعلى بعض طقوسها وعلى أتباعها وعلى أوضاعهم النفسية والاجتماعية. ويمكن أن نتلمس ذلك في بعض عادات وتقاليد أو أسماء بنات وأبناء الأيزيديين مثلا61.

- وكانت وسيلة الدفاع الأساسية لدى الأيزيديين, رغم مقاومتهم المستمرة بالسلاح لتلك المساعي الاستبدادية دفاعا عن وجودهم وحقهم في الحياة ودفاعا عن ديانتهم ومنع تسرب البدع والإضافات أو الإفساد عليها, وحقهم في الانتساب إليها, هي الانغلاق الشديد على الذات وممارسة السرية التامة بصدد أسرار وطقوس الدين الأيزيدي وعدم كشفها إلا للمجموعة المخولة بذلك, وهي مجموعة صغيرة جدا, حتى إن كثرة كبيرة من المريدين لا يعرفون بتلك الأسرار. وقاد هذا الانغلاق الديني إلى عزلة شديدة عن بقية شعوب المنطقة مما أعاق تطور هذه المجموعة البشرية سياسيا واجتماعيا وثقافيا وتعليميا بسبب خوفها من الإيذاء الذي يمكن أن يلحق بها وبدينها من جراء ذلك الاحتكاك أو الكشف عن الأسرار, وبالتالي لم تستطع أن تجني ثمار التقدم النسبي المحدود الذي حصل في المنطقة الكُردية بالذات. **وحرمت** القوى الدينية المهيمنة على أمور الدين والدنيا في مجتمع الأيزيدية على الناس ممارسة ثلاث مسائل جوهرية هي:

1. تحريم تعلم القراءة والكتابة.

2. تحريم الزواج بمن هم من غير أتباع الديانة الأيزيدية نفسها,أي حصر الزواج في ما بين الأيزيديين وفق قواعد خاصة قائمة على تراتبية دينية-اجتماعية ذات قيود

---

61 قارن: جندي, خليل د. نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية. طبعة خاصة بالمؤلف. ألمانيا. 1997. ص.119-117 .

صارمة, أي إن الزواج مسموح للأيزيديين في إطار الطبقات الدينية الاجتماعية التي ينتمون إليها ووفق أسس أو قواعد ثابتة.

3. تحريم قبول أعضاء جدد في الديانة الأيزيدية ممن يرغب التخلي عن ديانته لصالح الديانة الأيزيدية واعتبار الأيزيدي بالولادة ومن أبوين أيزيديين فقط. وفي ضوء هذا الموقف الصارم لا تعتبر الديانة الأيزيدية ذات طبيعة تبشيرية خارج حدود الأيزيديين أنفسهم. وقليلة حقا تلك الديانات التي تقوم على مثل هذه القاعدة. وبهذا المعنى لا تعتبر الأيزيدية ضمن الديانات العالمية. فأتباعها لا يسعون إلى التبشير بدينهم أو نشره كما تفعل الأديان الثلاثة, اليهودية والمسيحية والإسلام, فهو دين محلي مغلق على أتباعه بالولادة.

ورغم كل الظروف التي مر بها الأيزيديون فقد احتفظوا بروح الاعتراف بالأديان الأخرى واحترامها, روح المسامحة والمسالمة ورفضهم الإساءة إلى أي دين أو مذهب أو عقيدة, أو إلى أي شخوص من شخوص تلك الديانات ها أو إلى أي من القديسين, إذ لا يجدون ما يبرر ذلك دينيا وأخلاقياو لإله الجميع احد والبشر متساوون ومن حقهم اعتناق ما يشاءون . وهم في الوقت الذي يقدسون طاووس ملك يحترمون أدم, ونوح, وإبراهيم, وزرادشت, وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والأولياء الصالحين.

قلنا بأن الأيزيديين في العراق يشكلون جزءا من الشعب الكُردي, وهم في الوقت نفسه يشكلون الغالبية العظمى من أيزيديي العالم. إذ أنهم وقبل ظهور المسيح بمئات السنين كانوا يعيشون في مناطق مثل سنجار وشيخان وبعشيقة وبحزاني ودهوك وتلعفر وزاخو وحول القوش وغيرها, إضافة إلى وجودهم في سوريا وتركيا وإيران وفي بعض مناطق جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة وعلى الحدود الروسية القفقاسية62. وتعتبر المنطقة التي يقطنونها حاليا في العراق من أكبر معاقلهم على امتداد تاريخهم الطويل, كما إنها الموقع الذي تتمركز فيه أماكنهم المقدسة والتي تقام فيها طقوسهم واحتفالاتهم الدينية وأعيادهم القومية والشعبية. ويتحدث الأيزيديون اللغة الكُردية, ولهم أبجديتهم القديمة الخاصة أيضا إلى جانب الأبجدية الكُردية, ويرتدون الزي الكُردي المعروف. وما يميزهم عن بقية الكُرد هو

---

62 البندر, رشيد د. الأيزيدية "ديانة قديمة" تأثرت بالمحيط وحافظت على هويتها. مجلة روژ-مجلة ثقافية دورية تعنى بالشؤون الأيزيدية . نيسان 1997. ص95
راجع أيضا: بريم, عصمت. نظرة تاريخية للديانة الأيزيدية . نفس المصدر السابق ص 79.

صغر حجم وطريقة شدّ عمامة الرأس بالنسبة للرجال والنساء. علما بأن لكل مجموعة كردية كبيرة عمامة رأس خاصة تختلف عن بعضها بالحجم أو بطريقة الشد أو باللون. ويمكن أن يلاحظ ذلك في مناطق العراق المختلفة مثل باديناں وسوران, أو بالنسبة إلى أكراد كردستان العراق وسوريا أو كردستان تركيا أو كردستان إيران. وبعض الأيزيديين يرتدون الزي العربي المعروف مثل الكفية والعقال والدشداشة أو الصاية (الزبون) والعباءة ويتحدثون العربية بطلاقة. والنسوة يرتدين غطاء الرأس (العمامة) المتباين من تراتبية إلى أخرى وفي المناسبات المختلفة.

الفصل الثاني

الديانة الأيزيدية[63]

لم يعد يصعب على الإنسان القطع برأي معين بصدد الديانة الأيزيدية. فالبحث في الديانة الأيزيدية رغم كونه حديث العهد, فقد ازداد عدد الباحثين المهتمين به والباحثين عن أصل الديانة والمشاركين في توضيح صورة الديانة, خاصة بين أبنائه والعارفين بأصوله وطقوسه وتقاليده. إذ نلاحظ اليوم تحسنا طيبا في هذا الصدد يمكن أن يحمل معه تفاؤلا بدراسات قيمة وأصيلة في المستقبل. فقد أغنانا عدد من المثقفين المتميزين الكرد بدراسات قيمة في الديانة الأيزيدية مثل الصديق الدكتور خليل جندي والسيد الدكتور ممو عثمان والأستاذ الباحث شمدين خدر, إضافة إلى المنظمات أو الروابط غير الحكومية في كردستان العراق وفي گوتنگن بألمانيا, إضافة إلى مشاركات السادة الدكتور رشيد البندر والأستاذ زهير كاظم عبود والراحل محمد ملا خليل وغيرهم من الباحثين من غير الأيزيديين. تستند هذه الدراسات إلى معرفة طيبة وواسعة بنظريات نشوء الأديان والعوامل الكامنة وراء ظهورها

63 عقد في الفترة الواقعة بين 28-2000/1/30 مركز الأيزيدية خارج الوطن المؤتمر العلمي العالمي الأول حول الأيزيدية في مدينة هانوفر بألمانيا. وناقش المؤتمر على مدى هذين اليومين عددا من البحوث العلمية حول الديانة الأيزيدية والمجتمع الأيزيدية والمشكلات التي تواجه أتباع هذه الديانة القديمة, كما التقى المؤتمرون بالمجلس الروحاني الأيزيدي وتحاوروا مع أعضاء المجلس واستمعوا إلى إجاباتهم عن الأسئلة الكثيرة التي طرحها بنات وأبناء الجالية على المجلس. وتسنى لي حضور هذا المؤتمر بدعوة من مركز الأيزيدية خارج الوطن واستمعت غلى تلك النقاشات وحاولت عقد لقاءات مع بعض أعضاء المجلس الروحاني وبعدد من أعضاء المؤتمر. إذ حاولت خلالها أن أعمق رؤيتي وفهمي لهذه الديانة العراقية الضاربة بالقدم. وفي أعقاب المؤتمر كتبت انطباعات سريعة عن المؤتمر نشرت في العد الخاص رقم 9 /2000 من مجلة روژ التي يصدرها مركز الأيزيدة في الخارج.

واتجاهات تطور الأديان القديمة والتفاعل والتلاقح أو التأثيرات المتبادلة, إضافة إلى الإطلاع الجيد على تاريخ تطور الأيزيدية ومعرفة واقعية عن أحوال الأيزيديين في موطنهم الأصلي, إذ أن أغلب تلك الدراسات ميدانية ولقاءات مع الشخصيات الرئيسية في الدين الأيزيدي. يبدو لي مع ذلك مفيداً أن أشير إلى أنه يفترض في أي بحث علمي اعتماد الباحث أو الباحثين على عدة مصادر أساسية, وهي:

- الدراسات العلمية التي حاولت الغوص في أصل الديانات القديمة وسعت إلى تقديم تفسيرات واقعية يمكن الركون إلى تحليلاتها واستنتاجاتها.
- تجنب الاعتماد على تلك الأبحاث التي تنطلق أساساً من عداء فاضح أو مكتوم للديانة الأيزيدية لأي سبب كان, إذ أنها عند ذاك تتميز باتجاهين مترادفين خطرين, وهما:

أ. التقول والدس الرخيص ضد هذه الديانة ومحاولة الإساءة إلى أتباعها وتشويه سمعة طقوسها.

ب. الابتعاد عن مس الحقائق المتوفرة بل تجنب ذكرها رغم توفر المعلومات الكافية حول هذه القضية أو تلك.

- الاكتشافات الأركيولوجية في المنطقة, إذ لا بد من تنشيط التنقيبات في المنطقة التي كان وما يزال يعيش فيها أباع الديانة الأيزيدية.
- الدراسات الأكثر حداثة التي تقوم بها وتنشرها الجمعيات والمؤسسات والروابط الأيزيدية والبحاثة من بنات وأبناء الأيزيديين المعروفين بموضوعيتهم العلمية وسعيهم لتقديم الحقائق المدققة عن الديانة الأيزيدية وعن حياة ونشاط الأيزيديين, رغم قلة عددهم وحداثة بحوثهم.
- الاعتماد على ما هو مسجل أو مكتوب الاعتماد على الثقاة من الشخصيات الدينية والاجتماعية والعلمية الأيزيدية ذات الإطلاع الواسع والتي تدرك كنه الدين الأيزيدي وتلم به وتسعى إلى تعريف الناس بحقيقة هذا الدين.

ولا بد أن تكون للباحث نظرة نقدية علمية وموضوعية لهذه الديانة أو تلك لكي يتبين من خلال الطقوس والعادات السلبية التي يفترض انتقادها وخاصة في السلوك الاجتماعي والموقف من المرأة ليس في المجتمع الأيزيدي فحسب , بل وفي بقية المجتمعات التي تدين بديانات أخرى, وهي قضية ضرورية, إذ من الممكن أن يستغل الدين لأغراض غير دينية

ومن مؤسسات دينية أو غير دينية. وبني الدين والمؤسسة الدينية في كل دين بون واسع يفترض أن نراه لكي نستطيع أن نميز بعناية بين ما هو صالح أو طالح في هذه الممارسة أو تلك من الممارسات التي تمارسها المؤسسات الدينية وتجد تعبيرها وتأثيراتها وتجلياتها الإيجابية والسلبية في المجتمع وفي العلاقات ما بين أفراده. إن نظرتي إلى الأيزيدية نظرة حيادية, فأنا لست متديناً ولا متعصباً لهذا الدين أو ذاك في أبحاثي ودراساتي المختلفة, بل أسعى إلى الحقيقة, رغم إدراكي في كون الحقيقة نسبية, يصعب إدراكها. أدرك بأن الجماعة الأيزيدية قد عانت لسببين في العراق وفي مناطق أخرى من كردستان, وهما

1. بسبب كونهم إيزيديين, وهي ديانة رغم قدمها لم تكن معروفة وكان الغبار يحيط بها أو يراد أن يحاط بها الغبار والضبابية.

2. بسبب كونهم كُرد, أو جزءاً من الأمة الكردية التي عانت الأمرين في هذه المنطقة من العالم, منطقة الشرق الأوسط, وفي كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا.

ومن هذا المنطلق ولكونهم جزء من مكونات الشعب العراقي القومية والدينية والمذهبية والفكرية سعيت إلى البحث في هذه الديانة, وسأبذل جهدي لأن أكون موضوعياً وحيادياً إزاء الدين ومتعاطفاً في كل الأحوال مع أتباع هذه الديانة وأساهم في رفع المعاناة عنهم سواء تلك المعانة من داخل المجتمع الأيزيدي أم من خارجه. ولا شك مفيداً الإشارة إلى أن الوضع في كردستان حالياً يسمح ويفترض أن يسمح بمزيد من الحرية لأتباع هذه الديانة لكي تمارس طقوسها الدينية بصورة اعتيادية تماماً كما يمارسها أتباع الأديان والمذاهب الأخرى, وأن تتخلص من تلك المعاناة سواء أكانت داخلية أم خارجية.

ومع أن هذه الدراسة لا تسعى إلى الخوض في عملية بحث متكاملة وتفصيلية عن الديانة الأيزيدية وعن الأيزيديين, فأنها تريد المساهمة في تقديم بعض الوقائع والحقائق التي يركن إليها نسبياً عن هذه المجموعة البشرية الدينية التي تعتبر من بين أقدم سكان هذه المنطقة, وهي جزء من الجماعات البشرية التي قطنت أعالي بلاد ما بين النهرين (موسوبوتاميا) أو ما يدعى اليوم بالعراق الحديث. كما إنها تستهدف التخلص من الأحكام المسبقة إزاء الآخر (الستريو تيب) التي تكونت عبر قرون من الصراع والمناهضة إزاء أتباع الديانة الأيزيدية, وخاصة في الفترة البغيضة من حكم الدولة العثمانية في المنطقة. ومن يعود إلى جملة من الدراسات التي صدرت عن بعض الكتاب العراقيين التي تتحدث, أي لا تبحث علمياً في

الديانة الأيزيدية, سيجد أمامه مجموعة من تلك الأحكام المسبقة وغير الواقعية, بسبب الحكايات التي تناقلها الناس دون العودة إلى مصدرها ومعرفة أسباب ظهور تلك الحكايات, وبالتالي, كان الأيزيديون عرضة للاضطهاد من جراء تلك الأحكام المسبقة. ويمكن للإنسان أن يشير إلى كراسين بشكل خاص يعبران عن هذه الطريقة في الحديث غير المدقق وغير المسؤول عن الديانة الأيزيدية, وهما, على سبيل المثال لا الحصر,: "تاريخ اليزيدية وأصل معتقدهم" للسيد المحامي عباس العزاوي, و "اليزيديون في حاضرهم وماضيهم" و "عبدة الشيطان في العراق[64]" وهما من تأليف السيد عبد الرزاق الحسني. وبسبب الانغلاق والصمت الذي اعتمده الأيزيديون إزاء مثل هذه الدراسات ولفترات طويلة, أمكن نشر الكثير من الأراجيف والإساءات إلى أتباع هذه الديانة. أما الآن فقد بدأت محاولات أولية جادة لمواجهة مثل تلك الكتابات بالحوار الموضوعي الهادئ من جانب أتباع هذا الدين أو من باحثين آخرين يسعون إلى التحري عن الحقيقة لا غير.

من الثابت والمعروف بأن الديانات عند الشعوب لم تتكون دفعة واحدة بل مرّت بمراحل تاريخية عديدة وشهدت عمليات كثيرة من الحذف والإضافات أو التغيير, ومن الأخذ والعطاء, ومن التفاعل المستمر مع الديانات والثقافات أو الحضارات الأخرى. وبمرور الزمن اتخذ هذا الدين أو ذاك, بهذا القدر أو ذاك, خصائص وسمات تعبر عن هذا الشعب أو

---

64 جاء في دليل الجمهورية العراقي لسنة 1960 حول معتقدات الأيزيدية ما يلي: "معتقداتهم – يظهر من معتقداتهم أنهم من أولي الأديان الثنوية التي تعبد الخير والشر بما كانوا من بقايا الزرادشتية التي تجعل الكون تحت سيطرة النور والظلام, والشائع عنهم أنهم يعبدون الشيطان بصفته ممثلاً لقوة الشر على مبدأ المجوسية أما قوة الخير فينسبونها إلى الله تعالى وهم يقولون أن الله الذي لا حد لوجوده ومحبته للخلائق لا يفعل بهم شراً لأنه صالح, أما الشيطان فهو منقاد طبعاً إلى عمل الشر وعليه فالحكمة تقضي على من يريد السعادة أن يهمل عبادة الرب ويطلب ولاء الشيطان. ويرمزون إلى الشيطان (بطاووس ملك) وهو تمثال لديك مصنوع من نحاس أصفر واقف على حامل يشبه الشمعدان. وهم يسجدون للشمس عند بزوغها تعبداً منهم إليها. ..". راجع: دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960. يصدر بقرار من مجلس الوزراء تحت إشراف وزارة الإرشاد. دار مطبعة التمدن. بغداد 1961. ص432-433.

64 قارن: جندي, خليل د. نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيديين. طبعة خاصة بالمؤلف. ألمانيا. 1997. ص 52.

هذه الطائفة الدينية أو تلك, وهي بالتالي تجسيد لوعي جماعي عام تكون في إطار هذا المجتمع أو ذاك. وكثيرا ما كانت تتداخل العوامل الدينية بالعوامل الإثنية أو القومية وتشكل في المحصلة النهائية معالم معينة لهذه المجموعة البشرية أو تلك. وهذه الحقيقة لا تنفي بطبيعة الحال حقيقة أن الأديان والثقافات, وبالتالي, الحضارات غير منفصلة عن بعضها وتشكل مجتمعة الحضارة البشرية. إنها ليست بالضرورة مجرد حأصل جمع لكل ذلك بل هي تجسيد للتشابه والتماثل والتفاعل والتأثير المتبادل والتلاقح في ما بينها جميعا وعلى مر العصور. ولم تنته عملية بروز أو نشوء أديان أو معتقدات أخرى عند البشر, بل إنها كانت وستبقى عملية مستمرة ما دام الإنسان موجودا وما دامت المجتمعات قائمة ومتفاعلة في ما بينها.

وتعبر الديانة الأيزيدية في بنيتها الداخلية وفي أوجه بروزها وفي علاقاتها مع الأديان الأخرى ومع الشعوب والأقوام الأخرى عن منظومة من القيم والمعتقدات والعادات والتقاليد المتراكمة عبر الزمن, عن مجموعة من المراسيم والطقوس والاحتفالات والأعياد الدينية والشعبية والقومية, وتتجلى في خزين أدبي, قصصي وشعري وروائي وأساطير وحكايات, محفوظ في الصدر أو دون أخيراً في كتب باللغة الكردية أو باللغة العربية, رغم قلة هذا الخزين. كما يتجلى في مزارات ومواقع مقدسة, وفي أدعية تقرأ وقرابين تقدم, وفي أغان ورقصات وأناشيد أو تراتيل دينية, وفي ألعاب شعبية تمارس, وفي سلوكية ورؤية أو رسم صورة ال "أنا" وصورة ثانية لل "أخر" وصورة عن العالم, وفي الملبس والمأكل والمشرب وما إلى ذلك, وفي الأحزان ودفن الموتى وفي الأفراح والأعراس ومنها أفراح الختان للأولاد[65], وفي المصائب والمحن والعذابات التي مرت بمعتنقي هذه الديانة, وفي التمائم والتعاويذ التي تستخدم وتحمل طابعها الخاص, وبالظلم والاضطهاد الذي لحق بهم[66]. وأخيرا وليس أخرا يشعر الإنسان بذلك التلاحم الشديد بين التسمية الدينية وتسمية المجموعة البشرية الكُردية باسم دينها مباشرة. ويمكن للمرء أن يستشف منه أو يفهم بشكل أفضل, عند الإطلاع الجيد على بعض أسس وقواعد هذه الديانة وعلى سبل ممارستها وعلى مدى

---

65 يعتبر الختان واحدا من أكثر الطقوس الدينية قدما وأهمية عند الأيزيديين وهم يشتركون في ذلك مع اليهود والمسلمين مثلاً, والذي لا يجوز بأي حال من الأحوال إهماله.

66 قارن: جندي, خليل د. نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيديين. طبعة خاصة بالمؤلف. ألمانيا. 1997. ص 52.

الإفصاح عنها والمجاهرة بها, الحالة النفسية والتكوين الاجتماعي لمعتنقي هذه الديانة, والمراحل التاريخية التي مروا بها والأجواء الحقيقية التي عاشوا في ظلها. وفي مقدور متتبع الديانة الأيزيدية, كما يبدو لي, أن يحدد تطورها بثلاث مراحل أساسية هي:

المرحلة الأولى: وتخص الفترة التي سبقت الشيخ آدي بن مسافر والشيخ حسن وبقية الأولياء الصالحين وأصحاب الكرامات عند الأيزيديين. أي الفترة التي كانت الأيزيدية قائمة على أساس طقوس وتقاليد وعادات, أو ميثولوجيا غير مسجلة أو غير مكتوبة, بل محفوظة بالصدر يتوارثها الأيزيديون أبا عن جد, رغم أن الكتابة في تلك الأزمان كانت متوفرة وأن العراقيين القدامى قد سجلوا جملة من دياناتهم والطقوس والمراسيم التي كانوا يمارسونها على الرقم التي انتقلت إلينا عبر العصور والتي تم اكتشافها منذ القرن التاسع عشر الميلادي في مناطق مختلفة من بلاد الرافدين. كما أن سكان بلاد فارس قد سجلوا في فترات متباينة جوانب كثيرة ومهمة من دياناتهم, بما فيها الأسس التي اعتمدتها والطقوس والتقاليد التي مارستها, كما في الأفيستا مثلا. وقد أدت هذه الحقيقة إلى نشوء حالتين معروفتين عموما بالنسبة إلى كل الأديان غير المسجلة والمحفوظة في الصدر هما:

■ ضياع جزء من ذلك التراث وتلك الميثولوجيا والكثير من طقوس العبادة وتقاليدها, بسبب الحروب والأوبئة والفيضانات والأمطار الجارفة التي تأتي على كثرة من البشر من حفظة تلك الأديان والعارفين بخفاياها وأسرارها ومعتقداتها المختلفة, إضافة إلى التغيرات التي تطرأ على النصوص المحفوظة بسبب الأجيال المتتابعة التي يصعب الحفاظ على كل شيء كما كان في الماضي.

■ دخول طقوس ومعتقدات وعادات جديدة لم تكن معروفة عند السلف, سواء عبر الاحتكاك بالأديان الأخرى, أم بسبب الحاجة التي تنشأ عند الأفراد وفي المجتمع, أم بسبب الصراعات والنزاعات والحروب, أم بسبب الاضطهادات التي كان يتعرض لها أتباع هذه الديانة وتفرض عليهم الأخذ بطقوس وتقاليد وعادات الفاتحين المنتصرين.

المرحلة الثانية: تبدأ هذه المرحلة مع بدء نشاط الشيخ آدي بن مسافر (طاووس ملك) والشيخ حسن (ويرمز للقمر) والشيخ شمس الدين (ويرمز للشمس), بعد قيامهم بوضع وتسجيل القواعد وتثبيت الطقوس الدينية وتكريس نظام الطبقات أو التراتبية الاجتماعية (Kastensystem) السارية في المجتمع الكُردي الأيزيدي حتى الوقت الحاضر والتي تجد

تعبيرها في كتب بدأ تسجيلها حديثاً, وهذه المجموعة من الأولياء تعتبر من ابرز أولياء الديانة الأيزيدية, إضافة إلى آخرين ومنهم بشكل خاص الشيخ بركات والشيخ فخر الدين والشيخ سجاد الدين. وقد كان الشيخ أدي بن مسافر مجدداً للدين الأيزيدي ومطوراً له وساعياً للحفاظ على أسسه ومبادئه الأساسية, لكي يستطيع البقاء ومقاومة ضغوط الإفناء.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة الجديدة التي يمكن القول عنها إنها بدأت مع منتصف القرن العشرين والتي ارتبطت بعدد من الظواهر الجوهرية, نشير فيما يلي إلى أبرزها:

- كسر مجموعة من القيود التي كانت تفرض على الأيزيدية من جانب القيادة والمؤسسة الدينية والدنيوية, زمنها منع التعلم ودخول المدارس وانتهال العلم, رغم أن هذه الظاهرة ما تزال بحاجة إلى عناية أكبر وخاصة بين النساء, إذ ما يزال المجتمع محافظا في هذا الشأن, وأكثر قليلا من بقية بنات وأبناء كردستان.

- القبول بأخذ وظائف ومراكز في الدولة وفي الخدمة الإلزامية في الجيش التي كانت ترفض في السابق لاعتبارات دينية.

- بروز مجموعة من الشباب الأيزيدي الذي قرر البحث في الديانة الأيزيدية والتحري عن تطورها التاريخي والأسس التي تعتمدها والوجهة التي تطورت بها وكسر قاعدة السرية في الدين والطقوس الدينية.

- ولم يكتف هذا الفريق من الباحثين بالبحث والتدقيق, بل سعى إلى نشر ما توصل إليه وتوسيع رقعة المطلعين على هذه الديانة بتفاصيل غير قليلة سمحت لكثرة من الأيزيديين أنفسهم الإطلاع على ما كان خافيا عليهم, إضافة إلى أن هذه الوجهة تساعد اليوم على جر مجموعات أخرى للبحث في الديانة الأيزيدية, وتأمين الاحتكاك مع الباحثين في قضايا الأديان والديانة الأيزيدية في مختلف أرجاء العالم. إنها فترة انفتاح فكري وتفاعل ثقافي وتلاقح خصب يمكن أن يقود إلى نتائج مثمرة لأتباع الديانة الأيزيدية. وأصبحت أوروبا اليوم تشكل أحد المراكز المهمة في مجال البحث العلمي في أصل الديانة الأيزيدية, إضافة إلى مراكز البحث في الوطن.

والديانة الأيزيدية غير معقدة ولا تختلف كثيرا عن المبادئ أو القضايا الإيمانية التي اعتمدتها الأديان القديمة الأخرى, وهي قائمة على أساسين ماديين مهمين هما, بغض النظر

عن الطبيعة الميتافيزيقية للدين وعن المضمون الأسطوري من جهة, وعن مدى استيعاب أتباع هذه الديانة لهذه الحقيقة النابعة من الحياة ذاتها من جهة أخرى:

- اعتبار الدين انعكاسا لواقع المجتمع وحاجاته المشتركة والرؤية والوعي الجماعيين له ولطبيعة العلاقات الاجتماعية المنبثقة عن طبيعة علاقات الإنتاج التي كانت أو ما تزال تسوده والتي تتجلى بدورها في التراتبية الاجتماعية التي لم تفصل الدين عنها, بل ربطت الدين بها مباشرة لتكريسها ورفض تغييرها, وبالتالي, جسدت طبيعة ودور ومهمة الدين بشكل واضح وصريح.

من المعروف على الصعيد العالمي أن المؤسسات الدينية وكثرة من رجال الدين من مختلف الأديان والمعتقدات الغيبية, وعلى خلاف ما يطرح في تلك الأديان في الجانب النظري منها, يتحدثون عن المساواة, ولكنهم يمارسون عمليا عدم المساواة, ويتحدثون عن الحرية ويمارسون نقيضها, ويتحدثون عن التسامح الديني ويمارسون التعصب والتزمت والكراهية ويؤججون الحقد والنزاعات بين الناس. فالدين الذي بدأ كتعبير عن حاجة إنسانية لدى بني البشر, عن ضعف الإنسان إزاء الطبيعة وظواهرها الكثيرة التي كانت وما تزال في بعضها تهدد حياته وتشكل خطرا على عائلته وأسباب عيشه, فأنه تحول بمرور الزمن وعبر عدد كبير من رجال الدين والحكام والمتنفذين ومالكي وسائل الإنتاج إلى أداة لغرض الهيمنة وتبرير الاستغلال والفقر الذي تعاني منه كثرة من بني البشر مقابل قلة تتمتع بمغانم الحياة وثروات الطبيعة ومنتجات الناس أنفسهم, كما أنه يستخدم كأداة لتحشيد الجيوش وتسييرها نحو جبهات القتال, واستخدامه كأداة في العزل ومحاربة الآخر. لقد أدخلت جماعات من رجال الدين, وليس كلهم, وظائف جديدة إلى الدين لم تكن معروفة في حياة الإنسان قبل بروز الأديان أو بعد بروزها وفي مراحلها الأولى. ويمكن للإنسان متابعة هذه الوظيفة الجديدة في فترات الحروب الصليبية وما بعدها أو في الحروب الحديثة أيضاً. وآخرها كانت الحرب العراقية الإيرانية حيث وضع الكثير من رجال الدين والحكام الدين في خدمة تنشيط هذه الحرب وموأصلتها ورفض إيقافها, مما تسببت في موت مئات الألوف من البشر من الطرفين. ولا شك في أن الربط بين القيادة الدينية والقيادة الزمنية أو الدنيوية وجعلهما قيادة واحدة أو بيد مجموعة واحدة من البشر في هذا البلد أو ذاك كان وما يزال وسيبقى أحد الأسباب الرئيسية في تفاقم قدرة هذه المؤسسة الموحدة على التحكم بإرادة الإنسان وجعله

خاضعاً لها وفرض الاستبداد على البشر. ومن هنا يبرز في المجتمع الأيزيدي ذاته ذلك الدور الذي يمارسه الأمير باعتباره المسؤول الروحي أو الديني والمسؤول الدنيوي عن الأيزيديين, رغم وجود سلطة أخرى هي الدولة التي تتحكم بالسلطة الزمنية في البلاد. فالأمير يجسد عملياً إرادة الله أو الطاووس ملك على الأرض التي يعيش ويعمل فيها الأيزيديون. وفي هذا لا يختلفون عن الأديان الأخرى أو الجماعات الدينية الأخرى التي ترفض الفصل بين الدين والدولة وتعتبر أي انفصال بينهما تجاوزا على إرادة الخالق67. وهو مماثل لولاية الفقيه في إيران مثلاً

- وحدة وصراع الأضداد في ذات الله, في ذات ملك طاووس, في الثنائية المتجسدة في الواحد الأحد, في وحدة النور والظلام, في وحدة الخير والشر, في الصراع الدائم بينهما في الواحدية.

وأتباع هذه الديانة يؤمنون:

1 - بوجود الله, خدا أو الخالق والرازق باعتباره القوة العليا الرمزية للديانة الأيزيدية, وهو المتجسد في طاووس ملك أو إنه طاووس ملك ذاته, إنه إله الشمس, مادة الكون الأكثر طهرا. ويمكن أن يتأكد الإنسان من ذلك من خلال قراءة "دعاء طاووس ملك", إذ به يمكن أن يتعرف الإنسان على موقف الديانة الأيزيدية من مكانة طاووس ملك المقدسة:

1- يا رب! لعظمتك ولمقامك ولملوكيتك
يا رب! أنت الذي خلقت نفسك بنفسك.

2- يا رب! أنت ملك ملك الجان,
أنت ملك ملك كريم,
أنت أزلي قديم
أنك حتى الأبد أمنية الروح.
يا رب! أنت الذي خلقت نفسك بنفسك.

---

67 ويفترض الإشارة في هذا الصدد إلى أن الأمير تحسين يمثل شيخ عادي, إذ أن عائلة الأمير تحسين تعتبر نفسها من سلالة شيخ عادي, في حين أن جماعة أيزيدية أخرى تعتبر أن الشيوخ الأحفاد للشيخ حسن هم أحفاد شيخ عادي, وأن الأمير يمثل الدين الجديد (شيخ عادي) والدولة (القضايا المدنية), وبالتالي, فهو لا يمثل طاووس ملك.

3- يا رب! أنت ملك الإنس والجان,
ملك العرش والكرسي,
أنت الصمد, الظاهر والمخفي, الحي, الواحد
الفرد الحميد,
يا رب أنت الإله!
4- يا رب! أنت رب السماء
رب الشمس والقمر,
رب جميع المخلوقات,
أنك رب العطاء,
يا رب! أنت الذي خلقت نفسك بنفسك!
5- يا رب! اسمك فوق كل الأسماء
كم هو أسمك, كم عظيم أنت؛
"....."؟
أنت المقدس العالي الشأن,
يا رب! أنت الذي خلقت نفسك بنفسك.
6- يا رب! أنت خلقت الحوت,
وأنت معطي القوت,
أنت الحليم الملكوت,
أنت عالم العلماء,
يا رب! أنك خلقت نفسك بنفسك!
7- يا رب! أنت صاحب المال والحياء
مكانك في كل بقعة,
يا رب! أنك خلقت نفسك بنفسك!
8- يا رب! لا لون لك,
لا لحن لك, ولا صوت
أنت الغوث وأنت المدد,
يا رب لا يدري أحد كيف أنت!

9- يا رب! أنت ولي الصلاة,
عرفناها, جعلناها تحيات
يا رب! إغفر عنا,
أنت الذي تعطي الأموال والأملاك
يا رب! أنت الذي خلقت نفسك بنفسك.
10- يا رب! أنت حاكم الملوك والفقراء,
أنت حاكم جميع العالم,
أنت الذي وضعت التوبة على آدم,
وأتيت بعيسى أبن مريم,
يا رب! أنك خلقت نفسك بنفسك.
11- يا رب! أنت الرحمة وأنت الكرم,
أنت الأمين وأنت الصمد, ونحن لا شيء,
يا رب ! أنت الذي خلقت نفسك بنفسك.
12- يا رب ! أنا العليل المريض,
أنت الدواء,
أنت الداء وأنت الدواء,
أنت الطبيب. أنت الحكيم, ونحن الغرباء.
يا رب ! أنت عارف بدائنا ودوائنا!
13- يا رب ! أنت أنيس الغرباء,
الأسباب والخطايا و..."؟68

2 - وأن تقديسهم الخاص لطاووس ملك ينشأ من اعتباره المخلوق الأول من قبل الله, إنه أول ورأس ورئيس وطاووس بقية الملائكة. يذكر الأستاذ زهير كاظم عبود إلى أهمية طاووس ملك عند الأيزيديين فيكتب ما يلي: "... إن الأيزيدية تعتقد أن كبير الملايكة ورئيسهم هو الملاك (عزازيل) وهو نفسه (طاووس ملك), كما أنهم يعتقدون أن الله خلق

68 اقتبس نص الدعاء من كتاب السيد الدكتور خليل جندي الموسوم "نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية". دار نشر رابوون, السويد. 1998. ص 156-158.

الخير ولا يمكن له أن يخلق الشر, والبشر هم يرتكبون المعاصي ويقومون بأعمال الشر, إذ لا يمكن لخالق الإنسان والحياة أن ينشر الشر في هذه الحياة"[69]. لا اعتقد بأن هذه الفكرة التي يطرحها الكاتب نقلاً عن الأيزيدية صحيحة تماماً, إذ أن الكاتب يذكر في مكان آخر من كتابه الموسوم طاووس ملك, ونقلاً عن الدكتور ممو عثمان, شيئاً آخر تماماً, وهو الصحيح الذي يعتقد به الأيزيديون حقاً والذي يقول ما يلي: " إن الله عند الأيزيدية هو المسؤول عن القوتين المضادتين ويحوي في ذاته عليهما. إن هذه الثنائية المعروفة النور والظلان, الخير والشر, يسكنان جنباً إلى جنب مع البعض وهما في صراع دائم. يعتقد الأيزيديون بأن طاؤوس ملك (إله الشمس) هو الإله الأكبر ولا يحدث شيء دون مشيئته. إن الأيزيدية قبل قدوم الأديان السماوية إلى المنطقة كانت تؤمن بعدة آلهة كما كان الحال عند السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين وكانت بعض هذه الآلهة مسؤولة عن الخير وتقديم المساعدة مثل الإله شماش وآخرين مسؤولين عن الشر والمعاقبة مثل عشتار. أما عند الأيزيديين فما عدا الآلهة الصغيرة المسؤولة عن الأمراض وظواهر الطبيعة, كان هناك طاووس ملك الذي يحمل في يده كافة القرارات والأوامر الإلهية التي كانت تحت أمره, فطاووس ملك هو الإله الأكبر, الذي يعطي كافة الأوامر بما فيها الخير والشر. إن الوحدانية التي تم الاعتراف بها عند الأديان السماوية من بعد ذلك كانت متمثلة في الإله الأيزيدي طاووس ملك".

ولهذا لا يوجد في الديانة الأيزيدية رمز أو تسمية خاصة للشر ولا يوجد إله مختص به كما أن المنطق أو تسمية الشر يناقض مع مفهوم الله الذي هو قادر على كل شيء, أما بالنسبة للإنسان فأن الله قد أوهبه العقل وعلى عاتقه تقع مسؤولية ارتكاب الخطأ والصواب"[70]. المسألة هنا تكمن في جانبين أولهما أن في روح الإله تكمن القوتين وهو المسؤول عنهما,

---

69 عبود, زهير كاظم. طاووس ملك. رئيس الملائكة لدى الأيزيديين. السليمانية. طبعة سردم.. ط 1. 2005. ص 30.

70 نفس المصدر السابق. ص 36/35. أو راجع: عثمان, ممو د. مقالة منشورة في صفحة المدار على الإنترنيت. لم يذكر السيد زهير كاظم عبود تاريخ نشر المقال ورقم المقال واسم المقال.

وهو الذي يمنحهما إلى خلقه, والثانية, هي أن الله منح الإنسان العقل لكي يفكر به ويختار أحد أمرين إما الخير وإما الشر.

3- احترامهم الكبير لبقية الملائكة مع تقديس خاص للشمس والقمر, ويمتنعون عن تدنيس النار والماء والهواء, إضافة إلى احترامهم للتراب. وهي العناصر الأربعة المعروفة في الديانة المزدكية (الزرادشتية) في إيران أو في الهند أيضا. وسجود الأيزيديين للشمس عند شروقها وعند غروبها وأينما اتجهت ناشئ من كونها مانحة الضوء والدفء والحياة للإنسان, إضافة إلى منح القدرة على رؤية الأشياء, ولكن قوة حرارة الشمس يمكن أن تكون مدمرة, وحارقة ومميتة أيضا. ومن هذه الطاقة الكامنة في الشمس توجهت الكثير من القبائل والشعوب صوبها عابدة إياها ومنتظرة أو آملة منها الخير وراجية منها إبعاد الشر عنها. وتكشف الشمس أمام الإنسان الاعتيادي قوة الطبيعة بظواهرها المختلفة, بحركتها وتناقضاتها, سواء أدرك أسبابها أم لم يدركها, وباعتباره جزءاً منها يتأثر بها ويتفاعل معها. ولا شك في أن التباين الشديد في حركة ظواهر الطبيعة المختلفة أو فعل قوانينها ونتائج أو عواقب تلك الأفعال على الإنسان والمجتمع, التي لم يكن في مقدور الإنسان اكتشافها حينذاك, وبالتالي حيرته, هي التي جعلته يتوجه نحوها ويسجد أمامها ويصلي لها, أي يعبدها ويبدى كل الاحترام والخشوع أمامها, سواء كانت أفعالها خيرا تجلب له النفع, أم كانت شرا وتدميرا تلحق به الضرر. لقد وقف الإنسان والمجتمع أمام الشمس باعتبارها لغزاً محيراً من ألغاز الحياة, أمام وحدة الطبيعة والإنسان, سواء أدركها أم لم يدركها. وبعض هذه الألغاز قدر للإنسان أن يكتشفها, وأن يكتشف في الوقت نفسه الظواهر التي تنشأ عن فعلها والقوانين الفاعلة فيها أو المحركة لها. لقد وقف الإنسان ولقرون طويلة عاجزا نسبياً عن الوصول إلى الطريقة المناسبة التي يستطيع بها تجاوز أو تقليل عواقب فعل الطبيعة أو فعل حركة القوانين الموضوعية التي لا يتدخل الإنسان في صنعها ولا في قدرته على إيقافها. ولم يكن أتباع الديانة الأيزيدية القدامى وحدهم يقدسون الشمس, بل كان البابليون أيضاً, فها هو حمورابي يتسلم شريعته من إله الشمس ويسجد لها متعبداً.

4- كان عدد آلهة الأيزيديين كبيراً (خودان), كما كان الحال عند السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين في ميسوبوتاميا. ولكنهم يؤمنون بإله رئيسي واحد, إنه طاووس ملك, مع اعتمادهم على آلهة آخرين في فترات لاحقة ثم اتخذوا سبيل التوحيد. والتوحيد بالمفهوم الذي أشرنا إليه سابقا في أنه يمثل النور والظلام, الخير والشر, الصالح والطالح وليس في

عبادة النور ولفظ الظلام وفي تقدير الخير ورفض الشر أو في قبول الصالح ورفض الطالح. فهما موجودان متجاورين ويفترض رؤيتهما في وحدتهما الجدلية. وبعض الباحثين الأيزيديين يشير إلى أن الأيزيديين يرون بأنهم كانوا أول من التزم أو وضع مبدأ التوحيد أو الإله الواحد, إلا إن الباحث الدكتور خليل جندي يرى بأن فكرة الله المجردة وصلت إلى الديانة الأيزيدية من الديانات الأخرى مثل اليهودية والمسيحية والإسلامية[71]. وهو على حق كبير في رأيه هذا. إلا أن اختلاف الديانة والعقيدة الأيزيدية عن الديانة والعقيدة المزدكية المحافظة يبرز ابتداءً من حقيقة أن الأيزيديين يعتبرون من تلك الشعوب التي أقرت مبدأ التوحيد أو الوحدة القائمة بين النور والظلام في الواحد الأحد. ويمكن أن يكون قد نشأ هذا الموقف من تأثير الديانتين اليهودية والمسيحية, سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة. ولا أعتقد بأن الإسلام المتأخر زمنيا عن الاثنين كان وراء أخذ الأيزيديين بمبدأ التوحيد. ويشير بعض الكتاب والباحثين في الأيزيدية إلى أن البعض يعتقد بأن الاهتداء أو الأخذ بفكرة التوحيد عند الأيزيدية قد بدأت مع إبراهيم الخليل باعتباره نبي الأيزيديين. وحتى لو قبلت هذه الفكرة مجازاً, فأن الديانة الأيزيدية ربما هي أقدم بكثير من عهد إبراهيم الخليل, من جهة, وأن فكرة التوحيد عند الأيزيديين ليست قديمة جدا من جهة أخرى[72].

5- ويبدو لي مهماً أن أشير إلى الأهمية البالغة في الرؤية الفلسفية في الديانة الأيزيدية التي ترى الاثنين في الواحد. فهذه النظرة تؤشر قضية أساسية, هي أن الإله الذي يعبده الأيزيديون يجسد فيه كلا القوتين, قوة الخير وقوة الشر, وهو ينقل هاتين القوتين إلى الإنسان بقدر ما, أي أنه ينفخ من روحه في الإنسان. ولكنه منح الإنسان المخ الذي يفكر به, فالعقل أو الإنسان عندها يكون هو المسؤول, وليس الله, أعمال الخير والشر التي يمارسها الإنسان. أي يفترض أن لا يرمى عمل الخير أو الشر على عاتق الإله, فالله برئ من ذلك, بل يتحملها الإنسان ذاته يوم الحساب. وستتجلى أعماله الخيرة أو الشريرة حين تنفصل الروح عن الجسد وتنتقل إلى جسد آخر, بغض النظر عن طبيعة الجسد الجديد, سواء أكان

---

71 جندي, خليل د. نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية. مصدر سابق ص 49.

72 يشير الدكتور خليل الجندي إلى أن"طاووس ملك هو إله السماء والشمس, آب ورئيس الملائكة ومن أكبر آلهة الأيزيدية. وبهذا المعنى يعتبر الأيزيديون عبدة الله -طاووس ملك. وهم أول من عرفوا حقيقة الوحدانية إلى جانب إيمانهم بآلهة الظواهر الطبيعية الأخرى. رجع نفس المصدر السابق. ص. 53.

إنساناً أم حيواناً أم نبتة أم غير ذلك, فإذا كان أعماله خيرة انتقلت إلى شيء جيد ونافع, وإذا كانت أفعاله شريرة فستنتقل روحه إلى شيء سيء أيضاً, هكذا يحصل تناسخ الأرواح عند الأيزيديين.

تعتمد الديانة الأيزيدية تمثالا برونزيا يمثل الطاووس, الذي يرمز ويجسد طاووس ملك, ومكانه في مقبرة الشيخ آدي بن مسافر, إضافة إلى ستة طواويس أخرى من نحاس ايضا تسمى بالسناجق وتعطى لأفراد مرتبة القوالين الدينية, أي الدعاة, الذين يتوزعون ويتوجهون بها صوب الأيزيديين في مناطق سكناهم للتبشير والدعاء والتبرك بتلك الطواويس ومن أجل جمع التبرعات من الأيزيديين, أي من المريدين على نحو خاص73. وهؤلاء الملائكة السبعة, وبضمنهم رأس الملائكة طاووس ملك, يتجسدون بالنسبة للديانة الأيزيدية في شيوخ معروفين بكراماتهم. وجدير بالذكر إلى أن الديانة المزدكية تؤمن بدورها بوجود نفس العدد من الملائكة يحسب على ملاك النور والحكمة والصدق والصراحة ..الخ., ونفس العدد من الملائكة الذي يحسب على قوى الظلام والشر ...الخ. أي أن المجموعتين منفصلتان عن بعضهما عند الفرس القدامى, المجموعة الأولى مقبولة والأخرى مرفوضة وملفوظة في آن واحد, وبالتالي, فهي ملعونة أيضا. وهذا الأمر غير موجود عند الأيزيديين. ومن هنا يأتي أيضا عدم اعترافهم بهذا التقسيم. والتقسيم الإيراني ينسجم إلى حدود بعيدة مع الأغراض والمصالح السياسية للملوك ورجال الدين الأخمينيين والساسانيين عندما أصبح الدين المزدكي أو الزرادشتي دينا رسميا للدولتين المتعاقبتين. فكان لا بد للدولة أن تفصل بين أهورا مازدا وبين أهريمان ليمكنها تأمين حكمها وفرض رؤيتها للخير والشر, وهو أمر بالغ الأهمية. وقد أخذت بالتقسيم الإيراني الأديان الأخرى من حيث التطبيق وتوزيع العمل بين ملائكة الرحمة وإبليس, ملك الشر, علما بأنها قد وضعت كل ذلك في ذات الله. فوفق إرادة الله يمكن أن يحصل الخير ويمكن أن يقع الشر. وفي هذا الموقف, أي توحيد القوتين في ذات الله, لا تختلف تلك الأديان عن الأيزيدية. وهنا تبدو اللوحة الخاصة بهذه الديانة وديانات قديمة أخرى حيث تعبر من الناحية الفلسفية والحيايتة, بغض النظر عن مدى معرفة الإنسان

---

73 البندر, رشيد د. الأيزيدية "ديانة قديمة" تأثرت بالمحيط وحافظت على هويتها. مصدر سابق. ص 92 .

الاعتيادي بهذه الحقيقة, عن التناقض في الواحد, عن وجود إبليس في الله ذاته[74], في ثنائيته, وبالتالي في فعل الخير وفعل الشر في الواحد, والصراع بينهما في الواحد هو الذي ينتهي بفعل هذا, وهو الخير, أو بفعل ذاك, وهو الشر. لست معنياً هو أن أحيل الفكر الديني القديم إلى الواقع الراهن وما اكتشف من قوانين في القرنين المنصرمين وكأنها كانت معروفة سابقا. ولكن وحدة وصراع الأضداد, هذا القانون الجدلي الموضوعي الذي اكتشف في القرن التاسع, قد تلمس الناس فعله في الماضي دون أن يجدوا له اسماً أو أن يفهموا طبيعته أو أسباب وجوده أو يفسروا أسباب فعله.

وللفكر الديني الأيزيدي اتجاه صوفي متميز يتجسد في الزهد والتواضع والعيش غير الناعم والكرم والابتعاد عن إيذاء الغير وحب السلام. وكما في العديد من الأديان القديمة نجد لدى الصوفيين الأيزيديين أفكارا مقاربة لأفكار الصوفيين في سائر أرجاء العالم, تلك الأفكار التي تشير إلى إمكانية اندماج ذات الله بذات الإنسان المؤمن والمتسامي في تدينه, إذ أن الأيزيديين يؤمنون بتناسخ الأرواح وحلول ذات الله في ذات الشيخ آدي بن مسافر. فهو والحالة هذه يمثل المعبود المباشر للأيزيديين. وفي الموقف من تناسخ الأرواح يبرز ما يشير إلى وجود توافق فكري وعملي بين المتصوفة الإسلاميين والمتصوفة الأيزيديين. ويمكن إيراد شخصية الحلاج كنموذج للمتصوفة في الإسلام, إذ تلقى شخصية الحلاج تبجيلا

---

74 كتب الدكتور رشيد البندر مشيراً موقف الأيزيدية من إبليس يقول: "والحقيقة أنهم يتشاءمون من أي لعنة, وفي هذه القضية بالذات للأيزيدية فلسفة خاصة ومفادها أن الملك المعني (إبليس ك.ح)يرفض السجود لآدم هو أحد الملائكة السبعة لديهم, وهو عزرائيل المعروف بطاؤوس ملك. وتقديراً لهذا الرفض أنعم الله عليه بمنصب رئيس الملائكة. وهناك أساطير عدة بشأن هذا الملك لا مجال لذكرها, واعتقادهم هذا له علاقة مباشرة وغير مباشرة بالعديد من أساطير الأديان الأخرى. ونكريماً لطاؤوس ملك الذي يرفض الأيزيديون تسميته ب (أ), كما يذكر خطأ في أغلب كتابات الآخرين عنهم, يعتبر عيد رأس السنة عندهم الموافق نيسان (أبريل) من كل عام عيداً لهذا الملاك, وهو أهم عيد من أعيادهم السبعة (راس السنة, عيد الشيخ آدي, عيد القربان ويقام تكريما لإبراهيم الخليل وابنه إسماعيل, وعيد الجماعة ويذبح فيه العجل كقربان للشمس, وعيد صيام أيزيد, وعيد الأموات الذي يقابله عيد الأضحى عند المسلمين مع الاختلاف بالمدة, وعيد خضر الياس كما عند المسيحيين. وأغلب هذه الأعياد تأتي بعد الصيام". راجع: البندر, رشيد د. "الأيزيدية ديانة قديمة..." مصدر سابق. ص 91-92.

خاصا لدى الأيزيديين, كما تحظى بنفس الاحترام لدى المسلمين وغيرهم, بسبب مواقفه المبدئية والعذابات التي تعرض لها في حياته وفي طريقة موته دفاعاً عن المثل التي كان يؤمن بها. ولا بد لي من الإشارة إلى أن المنطقة الكُردية في العراق قد تميزت في انتشار أفكار التصوف الإسلامي التي توسعت كثيرا في نهاية العهد الأموي وفي العهد العباسي بشكل عام وأثرت بدورها على السكان الأيزيديين وعمقت من وجهتهم التصوفية, خاصة وان أوضاعهم المعيشية والفقر الشديد الذي كانت تعاني منه المنطقة كان مشجعا لنمو الصوفية. ومن المفيد الإشارة إلى احتمال آخر مفاده أن الأيزيدية, وهي الأقدم دينا من الإسلام, كانت من بين الأديان والفلسفات التي اعتمدت الزهد والتصوف وأثرت في الطريقة الصوفية التي ظهرت لدى طائفة من المسلمين في فترة الحكم الأموي ومن ثم في العهد العباسي, علما بأن التصوف بمعناه الأساسي نظام تديني ضارب بالقدم وجد في المجتمعات العربية قبل الإسلام وفي وادي الرافدين أيضا حيث كان المتصوفون يمارسون الزهد والتنسك وتقديم القرابين وما إلى ذلك[75]. ومن الجدير بالإشارة إلى أن التصوف بشكل عام يلتقي عند مختلف الأديان بسمات وخصائص مشتركة يصعب التمييز بينها, مع وجود خصائص أخرى ترتبط بشكل ملموس بمنهج الدين المحدد ذاته. فالزهد والتقشف والتنسك والذوبان في ذات المعبود والتوحد معه أو فيه, سواء كان إلها واحدا أحد, أم صنما بعينه, أم آلهة أخرى, في ذات الفرد ذاته, فهي كلها تعتبر ممارسات مشتركة بين المتصوفة على مدى التاريخ.

يقول البعض بأن الديانة الأيزيدية تستند إلى مصحفين هما: مصحف ره ش أي المصحف الأسود, ومصحف الجلوة, إضافة إلى كتاب روژ (Roj) المقدس, الذي يقال عنه أنه قد كتب من قبل الشيخ حسن نفسه وبالاعتماد على ما وصله من الأسلاف وعلى أفكار الشيخ آدي بن مسافر وأفكاره بالذات. وتشير بعض المصادر إلى أن هذا الكتاب قد اكتشفه البعض في منطقة بادينان في كردستان العراق[76]. ويشير الدكتور شيرزاد القاضي نقلا عن كتاب "الكُرد" لمهردار إيزادي إلى "أن أعدادا من (مسحفي ره ش), أي /المصحف الأسود, تعود

---

[75] السعدي, سمير. الحسين بن منصور الحلاج: حياته, شعره, نثره. منشورات دار علاء الدين. دمشق. 1996. ص 18/17.

[76] Ilhann Kizilhan: Die Yeziden, Verlag medico international, Frankfurt/M, 1997, S. 63

إلى القرن الثالث عشر الميلادي كانت قد كتبت باللهجة الكرمانجية الهكارية[77]". وبغض النظر عن فترة اكتشافه وكيف تم اكتشافه أو حتى صحة اكتشافه, فأن غالبية, إن لم نقل جميع الأيزيديين مقتنعون بغير ذلك. والباحث العراقي الدكتور سامي سعيد الأحمد, المتخصص بالأديان, يشكك بكتاب روژ بطريقة تدمج بين التحليل والتسفيه أو التهكم ويرفض التسليم بصحته[78]. وجدير بالإشارة إلى أن جميع الأديان, سواء كانت سماوية أم غير سماوية, لم تسجل كتبها المقدسة في الفترة التي تحدث بها المصلحون أو الأنبياء, بل سجلت بعد ذلك في فترات متفاوتة. فالقرآن جمع ووحد في فترة عثمان بن عفان, إذ كان هناك عدد من حفظة ورواة القرآن, وكانت هناك اختلافات بينهم بسبب احتمال الخطأ بالنسبة للذاكرة البشرية أو لأي سبب كان. وبالتالي, أتفق المسلمون على النسخة التي وضعت في عهد الخليفة عثمان بن عفان والمعترف بها حليا من قبل جميع المسلمين في العالم. إذ قيل في حينها أن النسخ الأخرى قد جمعت وتم إتلافها للمحافظة على وحدة القرآن عند جميع المسلمات والمسلمين ووحدة ما اتفق عليه. كما إن العهد القديم قد كتب بفترات مختلفة تشير إليها نصوصه بالذات وأسلوب تناوله للقضايا التي بحث فيها, إضافة إلى تعدد الشخوص الذين ساهموا في كتابته. ولا أجد في محاولة جمع وترتيب الكتب المقدسة للأيزيديين في الوقت الحاضر أو في وقت سابق بعد نشوء الدين أي خلل في ذات الدين أو إساءة له. إذ أن من حق رجال الدين الأيزيديين أن يمارسوا دورهم في ذلك استنادا إلى ما ورثوه من أجدادهم من حفظة تراثهم وكتبهم المقدسة. وإذا كانت الكتب المقدسة التي يجري الحديث عنها قد وجدت التأييد من المجمع الديني الأيزيدي فليس من حقنا أن نشكك به بغض النظر عن ما يقال بهذا الشأن حول العثور عليه أو اكتشافه أو غير ذلك, علما بأن مثل هذه الأمور يمكن البرهنة عليها إيجابا أو سلبا بالاستناد إلى عدد من المعايير المتفق عليها دوليا, مثل أسلوب التدوين أو اللغة التي كتبت بها أو القضايا التي عالجتها مثلا. ويتفق أغلب مثقفي الأيزيدية إلى أن تلك الكتب ليست صحيحة, وأن ما جمع أخيراً في جزئين مطبوعين

77القاضي, شيرزاد د. لمحة تاريخية عن تأثير الديانة الأيزيديين على نشوء وتطور الفكر القومي الكُردي. روز . مجلة ثقافيةدورية تعنى بالشؤون الأيزيديين. ألمانيا. مطبعة روناهي . سبتمبر 1997. ص 53

78الأحمد, سامي سعيد. د. اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم. ج 2. بغداد. مطبعة الجامعة. 1971. ص 288.

باللغة الكردية في كردستان من جانب المؤلف والباحث المتميز الدكتور خليل جندي رشو يمثل أسس وتعاليم الدين وتراتيله وكل ما يمت إلى الدين الأيزيدي بصلة. ولكن يفترض أن لا يعني هذا أن سدت الأبواب أمام اكتشاف قضايا جديدة, سواء أكان ذلك عبر الحفريات والتنقيبات أو عبر الأبحاث والتقصي عن الوقائع والحقائق التاريخية.

وتتضمن هذه الكتب المقدسة التي تنسب إلى الأيزيديين قصة الوجود أو الخليقة والخالق, كما يراها الأيزيديون, وقصة نوح والطوفان وسفينته وإنقاذ المخلوقات من الفناء التام, وجملة من مبادئ وأسس العلاقات الإنسانية, كالمحبة والصدق والأمانة والاحترام والسلام, والقيم الأخلاقية والسلوكية في الديانة الأيزيدية, إضافة إلى عدد من الأساطير والحكايات التي ترد عند الأديان الأخرى أيضا, وأن اختلفت أحيانا بالتفاصيل وبعض الأسماء أو المواقع مثلا. وبصدد خلق الكون في الميثولوجيا الأيزيدية يقول بير خدر سليمان[79] في إجابته عن سؤال بهذا الخصوص نشر في مجلة "لالش" ما يلي: "لدينا العديد من النصوص الشفهية عن خلق الكون دّونا بعضا منها عام 1979. في البداية صنع الله درة من ذاته ونفخ فيها فاحمرت الدرة كالنار ثم انفجرت وتحولت إلى دخان وضباب بعد ذلك تجمع الدخان شيئا فشيئا وبدأت الأمطار تهطل وأصبح الكون مُمتلئا كبيرا من الماء, وجاء بعد ذلك الإله في السفينة برفقة سبعة من الملائكة لتفقد الكون وأرست السفينة في لالش عندها قال الرب بحق: هذا هو المكان الصحيح ثم تحول جزء من الكون إلى جبال وغابات وأرض واستغرق ذلك أربعين سنة أما الشظايا الأخرى فقد تحولت إلى شمس والأجزاء الصغيرة إلى قمر والأصغر إلى نجوم". ثم يوأصل قوله: "جاء في إحدى النصوص: "ظل الكون مائعا تتلاطم فيه الأمواج ولم يهدأ إلا بعد ظهور لالش عندها بانت الخضرة وتزين الكون واختلطت العناصر الأربعة الأرض والماء والريح والنار. ومن هذه العناصر خلق الله آدم وكان الله قد خلق قبل آدم الملائكة السبعة وعلى صوت الناي أتت الروح إلى جسد آدم ومن آدم خلق الله حواء وكانت

---

[79] بير خدر سليمان رئيس اتحاد الأدباء الكُرد في بادينان وأحد مؤسسي مركز لاش الثقافي.

إرادة الله أن لا يتكاثرا في الجنة فأكلا فاكهة على إثرها نزلا إلى الأرض"[80]. وجاء في الفصل الأول من مصحف ره ش المذكور حول خلق الكون ما يلي[81]:

"1- في البداية خلق الله درة البيضة من سره العزيز, وخلق طير أسمه أتغر وجعل الدرة فوق ظهره وسكن عليها أربعين ألف سنة.

2- أول يوم, الأحد خلق الملك عزازيل وهو طاووس ملك رئيس الجميع* .

3- يوم الاثنين, خلق الملك دردائيل وهو الشيخ حسن.

4- يوم الثلاثاء, خلق الملك إسرافيل وهو شيخ شمس (الدين).

5- يوم الأربعاء, خلق ملك ميكائيل وهو شيخ أبو بكر.

6- يوم الخميس, خلق ملك عزرائيل وهو سجادين.

---

80 بيره ش. لقاء مع مثقفي الأيزيدية في لاش ودهوك. لاش . مجلة ثقافية دورية يصدرها مركز لاش باللغتين الكُردية والعربية. العدد5. دهوك. آب 1995. عند مطالعة النص الذي أورده بير خدر سليمان يلاحظ القارئ بوضوح بأن مضامينه لا يمكن أن تكون قديمة قدم الديانة الأيزيدية التي نبحث فيه, إذ أن فيها جملة من الأفكار الحديثة بالقياس إلى قدم الدين. ومن هنا يمكن القول أيضاً بأن تغييرات وتحديثات طرأت أو أجريت على النصوص المحفوظة بالصدر عند رجال الدين الأيزيديين ومن قبلهم لأسباب غير معروفة تماماً.

81 لقد تم نقل المقتطف كما ورد في المجلة دون تغيير, وبغض النظر عن الأسلوب أو الأخطاء النحوية الواردة فيه.

* عند قراءة النص يلاحظ القارئ بأن أسماء الملائكة عند الأيزيديين هي أسماء ملائكة ترد في الديانة اليهودية والإسلامية, في حين أن الديانة الأيزيدية لا صلة لها من حيث المنشأ بشكل مباشر أو غير مباشر بالديانتين, وفق ما لدينا من معلومات بهذا الصدد. وهذا يعني أحد احتمالين هما: أن أسماء الملائكة قد تبدلت بمرور الزمن لأسباب ارتبطت بالضغط الذي كان يتعرض له الأيزيديون في حياتهم اليومية مما أجبرهم على تسمية ملائكتهم السبعة بتلك الأسماء, خاصة وأن الأديان الفارسية القديمة تعتمد ستة ملائكة في ميثولوجيتها المتداولة, كما يلاحظ التغيير الذي طرأ على أسماء الأفراد الأيزيديين أيضاً التي أصبح بعضها يسمى بأسماء عربية وإسلامية, إذ ربما كان لذات السبب القهري, وبالتالي فأن هذه التفسيرات والنصوص ليست قديمة, وأنها وضعت في فترات لاحقة, أي في فترة ما بعد الشيخ آدي بن مسافر ومن جاء في وقته أو من بعده من الأولياء الصالحين أو من آخرين لأغراض أخرى.

7- يوم الجمعة, خلق ملك شمنائيل وهو ناصر الدين.

8- يوم السبت, خلق ملك نورائيل وهو يدين (فخر الدين).

9- وجعل رئيسا على الجميع, طاووس ملك, بعد ما خلق صورة السبع سموات والأرض والشمس والقمر وفخر الدين, والأنس والحيوان والطيور والوحوش.

10- ووضعهم في جيوب الخرقة وطلع من الدرة ومعه ملايكة فصاح على الدرة صيحة عظيمة فانفصلت وصارت أربع قطع من بطنها خرج الماء وصار بحراً.

11- وكانت الدنيا مدورة بلا فراق.

12- ثم خلق جبرائيل وصورة الطير وأرسل بيده ووضع أربع قراني* .

13- ثم خلق مركب ونزل فيه ثلاثين. وبعده جاء وسكن في جبل لالش.

14- وصاح في الدنيا فجمد البحر وصارت أرض فبقت تهتز.

15- فعند ذاك أمر جبرائيل فجاب قطعتين من الدرة البيضاء فوضع واحدة تحت الأرض وفي باب السماء سكنت الأخرى.

16- ثم جعل فيهم شمس وقمر. وخلق النجوم من نثر الدرة البيضة وعلقهم في السماء لأجل الزينة.

17- وخلق أشجار مثمرة ونباتات وجبال لأجل زينة الأرض, وخلق عرش على الفرش.[82]"

ويبدو للقارئ بأن مثل هذه الأفكار والتصورات حول نشوء الكون موجودة في أكثر من أسطورة أو ملحمة شعرية أو كتاب مقدس[83], رغم أن الترجمة ركيكة على أساس النص الكُردي.

---

* قراني = زوايا

82الأحمد, سامي سعيد د. اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم. ج 2. مصدر سابق ص 264/263

83علي, فاضل عبد الواحد د. من سومر إلى التوراة مصدر سابق. ص 174-178.

إن هذا المقطع الطويل نسبيا المستل من كتاب "مصحف ره ش" الذي يجري الحديث عنه بين أكثرية رافضة له وأقلية متمسكة به, يعطينا فكرة سريعة ومكثفة عن جملة القوى والمسائل المقدسة عند الأيزيديين ابتداءً من الخالق ومرورا بطاووس ملك وبقية الملائكة وانتهاءً بأسطورة الطوفان ولالش. ومن هنا يفترض أن نفهم أهمية وقدسية هذا المكان في الديانة الأيزيدية وتحوله إلى محج لكل الأيزيديين في العالم, حيث ترتفع في هذا الوادي الخصب والجميل القباب البيضاء المدببة التي تشير إلى معابد الأيزيديين. وهي التي تبعث البهجة والسرور والخشوع الديني في نفوس المتدينين من الأيزيديين.

وفي عهد الشيخ آدي بن مسافر تم وضع التراتبية الاجتماعية الراهنة لا على أساس استحداث جديد بل تثبيت حالة كانت قائمة أريد تكريسها في المجتمع الأيزيدي. وبنية المجتمع الأيزيدي تقوم على تقسيم طبقي ديني تراتبي شديد التصلب والجمود, إذ من الوصايا الأساسية في تلك الديانة, وفق ما وضعه وكرسه الشيخ آدي, عدم جواز خرق تلك التراتبية, رغم إن هذا لا يعني عدم حصول تجاوز على تلك المبادئ من قبل بعض السكان الأيزيديين, كما هو الحال بالنسبة لأتباع بقية الديانات.

ينقسم المجتمع الأيزيدي دينياً واجتماعياً إلى ثلاث طبقات اجتماعية دينية أو تراتبية "دينية" رئيسية هي:[84]

1- الشيوخ: ومن طبقة الشيوخ تنشأ الفئات الدينية الأخرى الروحانية التي تأخذ على عاتقها عمليا الجوانب الدينية والدنيوية, ومنها يبرز أمير الأيزيدية الذي ينحدر من عائلة معينة تحديدا هي القاتانية. كما ينحدر من هذه الطبقة بابا شيخ والبيشيمام والكوجك وشيخ وزير ...الخ, الذين ينحدرون من عوائل أخرى هي الادانية والشمسانية. وبهذه الطبقات أو التراتبيات الثلاث تقترن أسماء الأولياء الصالحين مثل الشيخ حسن (سن), شرف الدين وإبراهيم الختمي (أدانيين), أو الشيخ شمس وشيخ فخر الدين والشيخ سجادين وناصر الدين (شمسانيين), أو الشيخ أبو بكر, الشيخ إسماعيل العنزلي , الشيخ مهد الباطني, الشيخ عبد القادر, الشيخ ماري (قاتانيين).

84جندي, خليل د. نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية. مصدر سابق ص 55-70.

2- بييرة: وإلى هذه الطبقة أو المرتبة الدينية أيضا تعود عوائل عريقة ومتنفذة وترتبط بالجانب الروحي والدنيوي ومنها تنبثق مرتبة النقيب والكوجك مثلا.

3- المريدين: وهي فئة عامة الناس في المجتمع الأيزيدي, إنها الطبقة الاجتماعية الكادحة والمنتجة وتنتمي إلى عشائر عديدة. ومنها يظهر الرجال القوالون الذين يتجولون في مناطق الأيزيديين للتبشير الديني في أوساطهم ولجمع التبرعات, كما يمكن أن يرتقي بعض أفراد هذه الطبقة إلى مرتبة الكوجك غير المرتبطة بطبقة معينة تحديدا.

وكما هو معروف فأن هناك قيودا صارمة تمنع الزواج بين الطبقات الثلاث المشار إليها سابقا. كما يفترض في كل أيزيدي أن يكون له شيخاً وبيراً ومربياً وخِلاً وأخاً للآخرة. وهي من الفرائض الأساسية في هذه الديانة[85], التي تجسد بصيغة معينة نوع من التضامن والتكافل الاجتماعي والحماية والحرص على المحبة بين الأيزيديين.[86]

إن دراستي للديانة الأيزيدية تسمح لي بالخروج باستنتاجات تتفق إلى حدود بعيدة مع بعض الباحثين من الأيزيديين وبعض الباحثين المستقلين أو غير المتحيزين ضد الديانة الأيزيدية,

---

85 نفس المصدر السابق.

86 ويبدو لي ضروريا أن نلاحظ مدى التقارب القائم بين هذه التراتبية الاجتماعية عند الأيزيديين والتراتبية الاجتماعية في المجتمعات القديمة في بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين وكذلك بالنسبة للعلاقة مع بقية السكان الكُرد في المنطقة, رغم التحولات التي جرت في الجانب الديني, أي موضوع الزواج في داخل التراتبية الإقليمية الكُردية. وهي مسألة بحاجة إلى توسع في البحث وغوص أعمق في العلاقات الاجتماعية-الاقتصادية والعلاقات الدينية. إذ أن هناك ورغم التحويرات في البعض من تلك العلاقات, فأنها تشير إلى العلاقات التي كانت تسود في دويلات المدن البابلية والآشورية أو الميدية القديمة, خاصة العلاقة بين الملك والموقع الديني في المجتمع المديني القديم وبين الأمير وموقعه الديني عند الإيزيديين, بين الكهنة في المجتمع البابلي والآشوري وبين رجال الدين في المجتمع الأيزيدي, وأخيرا بين الأحرار والمنتجين في تلك المجتمعات وبين فئة المريدين في المجتمع الأيزيدي. إلا إن هذا لا يعني وجود تطابق, بل أن هناك مجموعة من الاختلافات أيضا, وبشكل خاص بين انفتاح تلك المجتمعات السومرية والبابلية والآشورية والكلدانية وبين الانغلاق في المجتمع الأيزيدي القديم والحديث. (ك.ح.)

والذين يسعون للوصول إلى حقيقة هذه الديانة. ويمكن بلورة ما توصلت إليه في النقاط التالية:

- إن الديانة الأيزيدية واحدة من أقدم الديانات التي ظهرت في منطقة ميسوبوتاميا والشرق الأوسط, إنها عريقة في القدم ولها أواصر صلة مع بعض الديانات التي برزت في فترات ما قبل الديانات التي تسمى ب "السماوية" أو الكتابية. وربما ستكون للدراسات الأركيولوجية القادمة القائمة على أسس علمية في العراق الحديث وفي مناطق كردستان في كل من إيران وتركيا وسوريا ولبنان أن تتوصل إلى البرهنة على هذه الحقيقة أو منحنا معلومات إضافية تساعد في بلورة استنتاجات أكثر نضوجا وقربا من الواقع.
- إن الديانة الأيزيدية لا تمت بصلة, لا من قريب ولا من بعيد, إلى الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية, فهي ديانة مستقلة من جهة, ومتشابكة مع ديانات قديمة مثل الديانات السومرية والأكدية والبابلية والآشورية أو الكلدانية أو الميثرائية أو الزروانية أو المزدكية أو المانوية وغيرها من جهة أخرى؛
- ولكن هذا لا يعني بأن الديانة الأيزيدية لم تتأثر بتلك الديانات أو لم تأخذ عنها بعض طقوسها وعاداتها قسرا أو بحكم الاحتكاك أو بهما معا, بل هذا ممكن ويمكن ملاحظته بعدد من الظواهر المهمة, بما فيها قصة الخليقة أو ربما الختان والتعميد أو بعض الأسماء أو غيرها؛
- كما أن هذه الديانة التي اعتمدت على الحفظ بالصدر أو النقل الشفاهي عبر الأجيال بشكل كامل تقريبا, قد تعرضت للتطور والتغير البطيء وبشكل نسبي محدود في جانب الطقوس والعادات والتقاليد, ولكن أبرز ما وقع عليها من تغيير يشمل بالدرجة الأولى مسألة الموقف من الآلهة المتعددة والإله الواحد بثنائيته أو الثنيوية في الإله الواحد, وأن عددا من تلك الآلهة اتخذت صفة الملائكة والأولياء الصالحين. فالأساس واحد والقاعدة واحدة وأن تغيرت الصيغة التي جرى التعبير عنها وممارستها؛
- ويبدو لي بأن هذه الديانة التي قاومت صروف الزمان وحافظ عليها أتباعها طيلة القرون الكثيرة المنصرمة ستبقى قائمة, كما هو حال بقية الديانات, بما فيها من خيال وأوهام وخرافات وأساطير وبقية مكونات الميثولوجيا الأيزيدية التي تجسد في واقع الحال المراحل التاريخية التي عرفها تطور المجتمع الأيزيدي في القرون المنصرمة حتى الوقت الحاضر.

• إن استمرار وجود ديانة معينة لا يعتمد على عدد أتباع هذه الديانة بل على مدى تمسك هؤلاء الأتباع بديانتهم وقناعاتهم وبمستوى تطور المجتمع الذي يشكلون جزءا منه ووعي أفراد هذه المجتمع. كما سيلعب دورا مهما في المستقبل مدى قدرة أتباع هذا الدين التناغم والانسجام مع التحولات الهائلة الجارية في عالم اليوم, التحولات التقنية والمعلوماتية التي ستضع أتباع هذه الديانة أمام ظواهر وحقائق مهمة تستوجب منهم التجديد والتحديث. وهي مشكلة لا تواجه الدين الأيزيدي وحده, بل تواجه جميع الأديان التي لم تشهد حتى الآن ما يطلق عليه بعمليات التنوير.

• إن الديانة الأيزيدية تشترك مع الديانات القديمة على نحو خاص, ولكن مع الديانات الحديثة بقدر ما, في كونها ديانة:

* ذات طقوس عامة ومشتركة تؤدى بصورة جماعية بمشاركة أساسية من رجال الدين وخاصة بابا الشيخ والبابا جاويش والرجال القوالين, ما عدا الصلاة حيث تؤدى بصورة فردية.

* وهي في الوقت نفسه تقوم على أساس التراتبية الطبقية أو الاجتماعية حيث يقوم رجال الدين بتراتبيتهم المختلفة أساسا بأداء الطقوس الدينية التي تختص من حيث المبدأ بخدمة الطاووس, في حين أن العامة من الناس يؤدونها بالتبعية وعبر الطقوس الجماعية المشتركة. وهي ظاهرة لها جذورها في ديانات ما بين النهرين أيضاً[87].

* إن المهمات الدينية للأفراد عموما محدودة وغاية في البساطة ولكنها ملزمة من جانب ومحددة في مواقع معينة من جانب آخر. من هنا, ورغم وجود بعض المحرمات على الأفراد الأيزيديين, إلا أن الأمير ورجال الدين هم الذين يفترض فيهم أن يؤدوا الطقوس الأساسية في الاحتفالات العامة والأعياد وما إلى ذلك, كما إن عليهم أن يلتزموا بمحرمات معينة.

* ويلعب طاووس ملك أو يؤدي دورا أساسيا في مجتمع الديانة الأيزيدية, باعتباره أساس العلاقة القائمة بين الفرد الأيزيدي والأمير ورجال الدين بمختلف رتبهم, إنه رمز الديانة وأساسها وقاعدتها في آن واحد, إنه الشمس الذي تتوجه إليه الصلاة صباحا نحو الشرق (الإشراق) وظهرا (نحو معبد لالش عندما تتوسط الشمس السماء) ومساء نحو

---

87 وبنهايم, ليوا. بلاد ما بين النهرين. ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق. ط 2. وزارة الثقافة والإعلام- دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. 1986. ص 227/226.

الغرب حيث مغيبها, إنه دعاء الصباح والظهيرة والعشية أو الغروب, وحيثما اتجهت الشمس اتجهت عيون ومشاعر ودعاء الأيزيدي.

أعياد الأيزيدية

يحتفل الأيزيديون بالعديد من الأعياد الدينية والقومية الكردية والأعياد العراقية المشتركة على مدار السنة. ففي الربيع يحتفل الأيزيديون بعيد رأس السنة, وهو أكبر وأهم أعياد الأيزيدية, إضافة إلى عيد الجماعية الذي يحتفل به في الخريف ولسبعة ايام متتالية. ثم يحتفلون بعيد الصوم وأربعانية الصيف. ثم العيد الجماعية الكبير الذي يصادف في فصل الخريف, الذي يحتفل به في المكان المقدس لالش. وأخيراً الأعياد التي تصادف في فصل الشتاء, وهي: عيد أربعانية الشتاء و وعيد صوم أيزيد, وعيد بلندا وعيد خدر الياس. وهذه الأعياد كلها دينية ولها حيثيات بحثت بشكل واسع من قب الباحث الدكتور خليل جندي في كتابه الموسوم "نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية" الصادر في عام 1998 والذي جاء ذكره سابقاً.

ويهني هنا أن أمر على العيد الأكبر الذي يجري الاحتفال به في وادي لالش وعند مرقد الشيخ أدي بن مسافر وبقية الشيوخ الكرام في الديانة الأيزيدية, وهو عيد طاووس ملك وعيد ملك الزين والأربعاء وعيد الربيع والحياة والنماء والخضرة, ويحتفل به في يوم الأربعاء من كل عام وفي الأسبوع الأول من شهر نيسان وفق التقويم الأيزيدي الشرقي, والفرق بين التقويم الشرقي والغربي 14 يوماً. كيف يجري الاحتفال بهذا العيد الكبير؟

يلتزم الأيزيديون في هذا العيد بعدم الزواج طيلة لشهر نيسان باعتباره موسم عيد الملائكة, كما لا يتم الزواج في يوم الأربعاء بأي حال. تجري التهيئة للعيد بكل معانيها المعروفة من زيارات متبادلة وزيارة القبور وزيارة المزروعات وتهيئة أنواع الأطعمة وخاصة البيض المسلوق والملون, باعتبار الأرض مشابهة في شكلها للأرض.

يلبس الناس ملابس العيد الخاصة بكل تراتبية اجتماعية, سواء الملابس أم غطاء الرأس المتباين. يذهب الأطفال إلى الملاعب التي لم تتحسن كثيراً, إذ غالباً ما تقتصر على لعبة واحدة يطلق عليها "دولاب الهواء", حيث يتزاحم الأطفال عندها ليدفعوا بالنقود القليلة لديهم للتمتع بها. وبما أن هذا العيد هو عديد طاووس ملك وعيد الربيع فمسحته تكون دينية أيضاً يساهم فيها كبار رجال الدين.

يبدأ استقبال العيد بعمل فني جميل وروحية شفاف. إذ يقوم الناس بجمع زهور شقائق النعمان مساءً وتحضر لصباح يوم العيد. كما تحضر في صبيحة ذلك اليوم العجينة الترابية التي تساعد على لصق الزهور على ابواب المعبد والشبابيك والجدران بحيث تبدو كلها زاهية بلون شقائق النعمان الحمراء فقط.[88] ويبدو المكان كله مزهواً بشقائق النعمان الجميلة.

وتبدأ المراسيم الدينية بحضور بابا الشيخ إلى مجلس في معبد لالش وبصحبته بابا جاويش, وكلاهما رجل. وإذ يستقبل بابا الشيخ ضيوفه الأيزيديين من رجال الدين ومن مختلف المراتب الاجتماعية الأيزيدية حيث يقبلون يديه, يكون بابا جاويش منشغلاً بإنشاد التراتيل الدينية باللغة الكردية القديمة وبصوت شجي يضفي على المكان أجواء قدسية خاصة. تنتهي هذه الجلسة بانتهاء مجيء المؤمنين من بنات وأبناء الديانة الأيزيدية. ثم يقوم بابا الشيخ, وهو أكبر شخصية دينية في المؤسسة الدينية, بالطواف حول مرقد الشيخ أدي وتقبيله وتقبيل بقية المراقد المقدسة عند الأيزيديين. كما يقوم الفقير بذلك مرتقياً صوب المرقد حيث يؤدي مراسيم الزيارة والتقبيل ورفع الأيدي باتجاه الشمس.

وخلال النهار تنحر القرابين تيمناًً بالعيد, عيد طاووس ملك, عيد الشيخ آدي, عيد الإله.

وفي الغروب تصدح الموسيقى في الفضاء الواسع في وادي لالش وبين أشجار الزيتون المعمرة والباسقة حيث يبدأ رجال الدين بإنشاد التراتيل الدينية والشعبية, وتبدأ معها الرقصات الشعبية المشتركة بين النساء والرجال, وهي لا تختلف كثيراً عن الرقصات أو دبكات بقية الشعب الكردي, ولكن لها إيقاعات خاصة يشترك فيها الدف والناي, كما تكون الحركة هادئة, ولكنها متنوعة أيضاً.

---

88 ذكرني هذا العمل الجميل من أتباع الديانة الأيزيدية وكهنة معبد لالش بشيء غريب عمد إليه أحد رجال الدين في السعودية حين سؤل عن مدى سلامة تقديم باقات الزهور إلى المرضى في المستشفيات, فأفتى بأنها بدعة غربية ينبغي أن نبتعد عنها, ونسى هذا الرجل البائس أن الزهر تبعث البهجة والسرور إلى قلوب المرضى الراقدين في المستشفيات, وهي الحكمة الأساسية من وجود هذه الزهور الجميلة التي من شأنها أن تبعث الراحة والانشراح والسرور والبهجة على نفوس الناس. ك. حبيب

الشعب الكردي, وخاصة في الريف, وسواء أكانوا من المسلمين أم من الأيزيديينن, يمارس ربط قطعة قماش في شجرة الأمنيات على جبل في لالش بالنسبة للأيزيديين, حيث تتأمل النسوة استجابة الطبيعة لرغباتهن وتنف أمنياتهن. وكثيراً ما التقيت بأشجار في كردستان وفي مناطق مختلفة يحملن على غصونهن اليافعات الكثير من قطع القماش الحاملة للأمنيات من نسوة في الغالب الأعم. وبما أن أمنيات النسوة الريفيات غير كبيرة ولا ثقيلة وطيبة عموماً, فأنها تتحقق طبيعياً, مما يؤكد للنسوة صواب هذه التقليد فتستمر ممارسه منهن, في حين لا يمارسه الرجال أو لم أسمع أو أرى ذلك.

وفي معبد لالش توجد غرفة خاصة تجري فيها المراسم وتوجد فيها دكة مرتفعة يمكن لمن يريد أن يرمي قطعة قماش كبيرة صوب الدكة ولمرات ثلاث, ويكفي أن تستقر مرة واحدة فوق الدكة لتلبى رغباته وأمنياته أيضاً, ولكنها لا تتحقق مباشرة, وبالتالي التيقن من ذلك ليس سهلاً.

وفي المساء توزع قطعاً قطنية مبللة بزيت الزيتون الصافي على الأيزيديات والأيزيديين لينثروها وهي مشتعلة على أرض المعبد كما توقد القناديل والمصابيح في المرقد. ويبدو المنظر أخاذاً ويدعو إلى الخشوع الديني لدى المؤمنين وإلى المدة بين معتنقي هذه الديانة.[89] أشرت إلى أن هذا العيد هو عيد طاووس, إنه عيد الشيخ أدي. وعلينا هنا أن نقوم بتوضيح مفهوم طاووس ملك بصورة واضحة لا لبس فيها. ويتطلب هذا توضيح حقيقة جوهرية للقارئة والقارئ باللغة العربية سواء أمان مسلماً أم مسيحياً أم يهودياً أو من أي ديانة أخرى. علينا أن نفهم أن الشعوب تقيم ديانتها وتروي قصصها وحكاياتها المنقولة والمحفوظة في الصدر أو حتى المكتوبة من قديم الزمان في ضوء أساطير تجسد ميراثها أو الميثولوجيا التي تكونت لها عبر الزمن. وتختلف الشعوب في العديد من الرؤى والرموز والأساطير ولا يجوز بأي حال الخلط في ما بين أساطير الأديان المختلفة, إذ أن شخصية هنا أو هناك يختلف النظر إليه وتفسيره. فما هو مقبول في الديانة الإسلامية يكون مرفوضاً في الديانة

---

89 قدمت قناة عشتار الفضائية ومقرها في عنكاوة بأربيل في كستان العراق في ربيع عام 2006 فيلماً مهماً عن الديانة الأيزيدية وعن عيد رأس السنة واحتفالات الأيزيديين به في نفس العام, حيث شاركت كاتبة السيناريو السيدة نضال منصور في توضيح التقاليد والتراث والأعياد وبعض أوجه الديانة الأيزيدية. ك. حبيب

الأيزيدية, والعكس صحيح أيضاً. وينطبق هذا على بقية الأديان في العالم. من هنا يفترض أن نعتني عناية كبيرة في عدم الخلط أو التأويل الذي ينطبق على الكثير من الشواهد والشخوص والأحداث.

فطاووس ملك يجسد شخصية عزازيل, وهو الملاك الأول المخلوق من نور من قبل الخالق الواحد, في حين أن بقية الملائكة خلقوا من تراب, فلا يجوز سجون النور للتراب. وبالتالي عندما طلب منه السجود لبقية الملائكة أو لآدم رفض عزازيل السجود إذ لا يجد موجباً للسجود لغير الخالق, بل للخالق فقط. وقد هذا الموقف تقدير عالياً من الخالق الأوحد. والملاك عزازيل هو الذي يجسده طاووس ملك رمز الملائكة السبعة ورئيسها. وهذه الأسطورة تختلف عن الأسطورة الواردة في القرآن والتي تتحدث عن إبليس الذي "أبى واستكبر" عن السجود لآدم. وبالتالي فالموقف الإسلامي من إبليس غير الموقف الأيزيدي من عزازيل, طاووس ملك. يتساءل الدكتور خليل جندي رشو عن طاووس ملك في الميثولوجيا الأيزيدية, فيقول:

"إذن ماذا يمثل طاؤوس ملكPeacock Angel في الميثولوجيا الأيزيدية؟ ... تقول فلسفة الديانة الأيزيدية – ربما هناك تأثير إسلامي على هذا التفسير – بأن الله بعدما خلق الملائكة من ذاته أراد أن يختبرهم فقال لهم لا تسجدوا لأحد غيري. وكانت تلك مشيئة الله. وحينما خلق الله آدم بعد كذا ألف سنة, أمر الملائكة أن يسجدوا لأدم (إرادة الله) لاختبارهم, فسجد جميع الملائكة لآدم ما عدا عزازيل فقال الله : لماذا لا تسجد؟ قال: قلت لنا قبل كذا ألف سنة لا تسجدوا لأحدٍ غيري أولاً, وثانياً: أنا من نور وأدم من تراب, فكيف يسجد النور للتراب!! ... لذا عرفه الله أنه أذكى الملائكة ولم ينس مشيئته. فكافأه وجعله رئيساً للملائكةٌ { طاووس ملك } وأعطاه (طوقاً – توك Tok)وهي عبارة عن فتحة في الثوب الذي يلبسه الرجال والنساء والأطفال الأيزيديون, تقص وتخيط بأيادي أيزيدية.... وتحتل الأيزيدية كل عام بعيد رأس السنة سهري سالي الذي يصادف أول أربعاء ومن النيسان الشرق وهو الذي خلق فيه طاووس ملك حسب معتقدهم. في هذا اليوم من كل عام ينزل ملاكهم من السماء إلى الأرض ليتفقد أحوال قومه ويوزع عليهم الخير والبركات"[90]. في هذا النص نستطيع أن نتصور ونفهم الوهم الذي نشأ لدى بعض الكتاب المسلمين حين الخلط المتعمد أو غير المتعمد بين

---

90 جندي, خليل د. نحو مرفة حقيقة الديانة الأيزيدية. السويد. رابوون. 1998. ص 42/41.

الميثولوجيا الأيزيدية وبين الميثولوجيا الإسلامية بشان موقف عزازيل في الأيزيدية وأبليس في الإسلام. وإذا كان المسلم غير متعمد الإساءة للديانة الأيزيدية أو لأتباعها, فأن من واجبه أن يأخذ المسألة على طبيعتها ويتفق بأن لكل شعب الميثولوجيا الخاصة به التي يفترض الاعتراف له بها واحترام تصوراته عن شخوصها والرموز التي تعبر عنها, دون إقحام الميثولوجيا الإسلامية على الفكر والفلسفة والميثولوجيا الأيزيدية.

لقد تحاورت مع عدد من الأخوة الأيزيديين العارفين بشؤون الدين الأيزيدي بصدد طاؤوس ملك ووجدت وجود تباين في الرأي والموقف حول مدى صواب هذا التفسير, ومدى تأثير الفترة الإسلامية والجماعات الإسلامية المحيطة بأتباع الديانة الأيزيدية على طرح مثل هذا التفسير. وكان لا بد أن أضع أمام القارئة والقارئ من غير الأيزيديين احتمال الاختلاف في التفسير. وهي إحدى المسائل الاعتيادية في الديانات المختلفة والتي كانت وما تزال تقود إلى بروز مذاهب مختلفة من أصل ديني واحد.

الفصل الثالث

أوضاع الأيزيديين في العهود الإسلامية

المبحث الأول: في العهد العباسي

تشير الوقائع التاريخية إلى أن الفتح الإسلامي لمناطق الفرس والكُرد قد تميز بالعنف والمعارك الدموية والمقاومة العنيفة وبسقوط ضحايا كثيرة جدا من الفرس والكُرد, وكذلك من الفاتحين العرب. إذ أن العمليات العسكرية حينذاك لم تكن فتحا للأرض واحتلالا لها وحسب, بل اقترنت بعمليات واسعة ومتنوعة استهدفت بإصرار تحقيق التحويل القسري للسكان للفرس والكُرد والأنباط أو العرب في المنطقة من أتباع الديانات المختلفة, بمن فيهم الميثرائيين والمزدكيين (الزرادشتيين) أو المانويين أو الأيزيديين أو (بصورة أخف باعتبارهم ذميين) المسيحيين أو غيرهم من أتباع ديانات المنطقة, إلى الدين لإسلامي أيضاً. ولم تتم هذه العملية في فترة قصيرة, بل استمرت طوال ثلاثة قرون تقريباً[91], حيث استخدمت فيها شتى الأساليب التي ترفضها حتى الأديان السماوية, بما فيها الدين الإسلامي, الذي يقر بحق الآخرين في اعتناق أديان أخرى حيث جاء في القرآن, بصدد من أعتبرهم من

91 تشير المعلومات المتوفرة إلى أن الإسلام قد تعامل مع المسيحيين ولفترة غير قصيرة على أساس أنهم من أهل الذمة الذين يحصلون على حماية الدولة الإسلامية على أن يدفعوا الجزية. وقد ساعد هذا في أن يحافظ المسيحيون على ديانتهم بعد ظهور الإسلام وعقدوا مواثيق أمان مع الفاتحين أو المحتلين الجدد لبلاد الرافدين من العرب ولم يواجهوا تمييزا كبيرا في بداية الأمر ولعبوا دورا متميزا في الحياة الثقافية والاقتصادية والمالية في عراق العباسيين على نحو خاص. إلا إن هذا الأمر لم يستمر طويلا حيث بدأت سياسة التمييز إزاء المواطنين المسيحيين واليهود وغيرهم بشكل واضح منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي لأسباب دينية وسياسية.

الكافرين, في سورة "الكافرون" قوله: "قل يأَيها الكفرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عبدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عبدون ما أعبد, لكم دينكم ولي دين"[92]. لا شك في أن قادة المسلمين مارسوا تاكتيكات متباينة في بداية الدعوة وبعد استتبابها, إذ كانت الجهود في البداية موجهة إلى الفتح الواسع وتحييد من يمكن تحييده لإضعاف المقاومة, ومن ثم البدء بالكسب الأوسع والتحويل صوب الديانات الإسلامية باعتبار محمد خاتم الأنبياء والمرسلين, بعد استتباب الوضع للمسلمين الفاتحين.

لقد بدأ الفتح الإسلامي لبلاد فارس في سنة 16 للهجرة (637م) بقيادة سعد بن أبي وقاص. وكان هذا الفتح بداية لسلسلة من المعارك والحروب الطاحنة بين السكان الأصليين من الفرس والكُرد أو غيرهم وبين الفاتحين والمحتلين الجدد من المسلمين القادمين من الجزيرة العربية. ولم يكن النصر فيها باستمرار للعرب, بل كان فيها كر وفر, سواء في عهد الخلفاء الراشدين أم في العهدين الأموي والعباسي. وأصبحت مناطق كردستان ساحة لمعارك دامية وعلى امتداد تلك العهود, رغم أن كثرة من الكُرد قد تحولت عبر السنين وتحت تأثيرات كثيرة إلى الديانة الإسلامية. وبسبب معارك الفتح الإسلامي وتوطيد الاحتلال وتوسيع رقعة الدولة الأموية والعباسية سقطت ضحايا هائلة من سكان البلاد الأصليين ومن المسلمين العرب ومن المسلمين من غير العرب الذين شاركوا في تلك المعارك التبشيرية والتوسعية ومن أبناء المناطق ذاتها أحيانا غير قليلة[93].

ورغم أن بعض قادة قوات الإسلام استخدم مختلف الأساليب بعد الفتح لكسب الناس إلى دين محمد, فأن توطيد الاحتلال وفرض الهيمنة السياسية والدينية على أبناء المنطقة لم يكن سهلا وشهد الكثير من الانتفاضات والثورات والتمردات. كما أن جزءا من أبناء المنطقة, سواء كانوا من الكُرد أم من أبناء الشعوب الأخرى, رفض الدين الإسلامي وحافظ على ديانته القديمة. وكان الأيزيديون من هذا الجزء الرافض. وتشير المعلومات التي تحت تصرفنا إلى أن هذا الإصرار الطبيعي والمنطقي للأيزيديين في البقاء على دينهم قد جرّ عليهم الكثير من الويلات والمآسي التي اقترنت بصدور فتاوى عن بعض رجال الدين ضدهم, وكانت باتجاهين أساسيين هما:

---

92 القرآن. مصحف المدينة النبوية. سورة الكافرون. الجزء الثلاثون. ص 603.

93 محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكُرد وكردستان, مصدر سابق, ص121-158.

1- اعتبارهم من الكافرين وعبدة إبليس. ومثل هذه الفتوى تفرض على المسلمين منازلتهم وإخضاعهم للإسلام حتى لو تم ذلك بشن الحرب وممارسة الاضطهاد؛
2- اعتبارهم يشكلون واحدة من تلك الفرق الإسلامية الخارجة على أسس وقواعد الإسلام أو مرتدة عنه والتي يحل دم أفرادها على المسلمين, أو توبتهم وعودتهم إلى الإسلام. وقد اتهموا مرة بأنهم من أتباع يزيد بن معاوية, وأخرى كونهم من الخوارج أو الأباضية, ومرة ثالثة على أنهم من الشيعة أو الرافضة.
وأولى تلك الفتاوى التي صدرت بهذا الصدد, كما يشير إلى ذلك المؤرخون, كانت في القرن التاسع الميلادي أو الثالث للهجرة ونسبت إلى الإمام محمد بن حنبل والإمام أبى الليث السمرقندي, كما أشير إلى ذلك سابقا94.

تشير المصادر المتوفرة لدينا إلى أن مقاومة الكُرد الأيزيديين للهيمنة العباسية على مناطقهم والسعي لضمان سيادتهم على مناطقهم لم تنقطع في العهد العباسي, خاصة وأن بعض الحكام الذين كانوا يتولون حكم المنطقة, كانوا يعاملون الناس بفظاظة وعنف وقسوة بالغة. وكانت تلك الحركات الثورية تجابه بالقوة وممارسة العنف الشديد ضد المشاركين فيها. وكان السكان يتعرضون إلى مذابح همجية ويتكبدون خسائر فادحة. فعلى سبيل المثال لا الحصر تمكن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في عام 148 هجرية 763 م من قمع حركة ثورية للسكان الكُرد الأيزيديين في جبل داسن في كردستان الجنوبية بعد أن وجه لمحاربة الثوار حملة عسكرية واسعة بقيادة خالد البرمكي. و كانت الحركة تطالب بالسيادة على منطقتها وتتصدى للاضطهاد الذي ابتلت به من جانب الحكام العباسيين وتمكنت من توسيع مساحة الأرض التي كانت بحوزتها واستولت على مدينة الموصل وضواحيها95. وبعد مرور ما يقرب من 76 عاما على تلك الحركة, أي في عام 224 هجرية 839 م وفي فترة حكم الخليفة المعتصم, تفجرت حركة ثورية واسعة أخرى وفي نفس المنطقة ومن قبل الغالبية الأيزيدية التي تقطن في جبل داسن والمناطق المحيطة به لمواجهة السياسة التعسفية لولاة الدولة العباسية في المنطقة. وكان قائد هذه الحركة السياسية والدينية الثورية الأمير الأيزيدي جعفر بن مير حسن الكوردي الداسني المنحدر من منطقة بادينان. ويبدو أن الحركة لم

94 سامي سعيد الأحمد: اليزيديون, مصدر سابق, ص 27-41
95 توفيق, زرار صديق. موضوعات حول تاريخ اليزيدية واليزيديين. مجلة لالش. العدد 5/ 1995. دهوك. ص 114

تقتصر على الأيزيديين من الكُرد, بل شملت جمهرة واسعة من الكُرد المسلمين أيضا, إذ إنها كانت تطالب بالسيادة على المنطقة في إطار الدول العباسية. وقد تمكنت هذه الحركة أن تصمد بوجه الحملة العسكرية العباسية التي جهزها المعتصم بقيادة عبد الله بن السيد أنس الأزدي وتمكنت من دحر القوات العباسية. إلا أن المعتصم جهز حملة عسكرية جديدة بقيادة إيتاخ, القائد التركي, توجهت إلى جبل داسن معقل الثوار الكُرد. ويبدو أن معارك دامية دامت أكثر من عام واحد تمكن القائد التركي بعدها من دحر القائد الكُردي الذي تجرع السم رغبة منه في أن لا يقع أسيرا بيد الأعداء. ونقلا عن ابن الأثير فأن القائد التركي إيتاخ وجيوشه قد أوقعوا بالكُرد, بعد مقتل قائدهم جعفر, فأكثر القتل فيهم واستباح أموالهم وحشر الأسرى والنساء والأموال وسيرها إلى تكريت[96].

ذكر عبد الرزاق الحسني في كتابه عن الأيزيدية نقلاً عن كتاب أبن الفوطي الموسوم ب "الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة" بأن بدر الدين لؤلؤ قام في عام 1254 م 652 هجرية, أي قبل غزو المغول لبغداد بأربع سنوات, بنبش قبر الشيخ آدي بن مسافر وأخرج جثمانه وأحرق عظامه[97]. ولم تكن مثل هذه الإعمال المخزية سوى تعميقاً للخلافات وإساءة متعمدة غير مبررة لأتباع الديانة الأيزيدية وحرمانهم من حقهم المشروع في أن

---

96 نفس المصدر السابق. ص 115

97نفس المصدر السابق. ص 83.

97 ملاحظة: لا بد من الإشارة هنا إلى أن عمليات نبش القبور وإخراج بقايا عظام الميت وإحراقها تتنافى مع تقاليد وأعراف كل الأديان, إذ أن للميت حرمته بشكل عام. ولكن مورست هذه العملية في التاريخ كثيرا, ولجأ إليها الكثير من الحكام في الولاة أو المحاربين والأشقياء بشكل استفزازي وتعسفي مرفوض ومن مواقع القوة والجهل. وقد وقع هذا الأمر لا بالنسبة للأولياء الصالحين في الديانة الأيزيدية, بل شملت الأولياء الصالحين في الديانات الأخرى أو الطوائف الأخرى في الإسلام. ومن شأن هذه الأعمال المجافية للأخلاق والأعراف إثارة النزاعات الدينية والأحقاد والابتعاد عن الاعتراف والاحترام المتبادلين بين الديانات المختلفة أو من جماعات دينية إزاء جماعات دينية أخرى. وهو بالضبط ما وقع لقبر الشيخ آدي بن مسافر من قبل جماعات متعصبة ومتزمتة وغير واعية ومسيئة في آن.

تكون لهم طقوسهم وشعائرهم الدينية وتقاليدهم وقبور أوليائهم الصالحين يقومون بزيارتها والتبرك بها, كما يفعل أتباع الكثير من الديانات والمعتقدات في العالم منذ آلاف السنين[98].

المبحث الثاني: الأيزيديون في العهد العثماني

تؤكد المصادر المختلفة التي بحثت في أوضاع الأيزيدية في فترة الحكم العثماني والمماليك ثم الحكم العثماني الثاني في العراق إلى أن الشعب الكُردي عموما والكُرد الأيزيديين خصوصا قد عانوا الأمرين على أيدي الحكام والولاة والجندرمة العثمانية أو من حَكَمِ باسمهم, سواء كانوا من الأتراك أم العرب أم الكُرد, طيلة القرون الأربعة التي حكم العثمانيون فيها المنطقة[99]. وهذه الحقيقة ارتبطت, كما تبدو للباحث بمجموعة من الخصائص التي تميز بها الحكم العثماني في العراق وفي عموم المناطق التي كانت تحت الاحتلال العثماني والتي يمكن بلورتها في النقاط التالية:

1- الطبيعة الثيوقراطية - الإقطاعية التي ميَّزت نظام الحكم العثماني والتي تجلت بتفاقم عمليات استغلال المجتمعات التابعة لهذه الدولة المترامية الأرجاء, والذهنية الرجعية والتخلف الحضاري اللذين سادا في صفوف الحكام والولاة وأجهزة الدولة والقوات المسلحة, إلى جانب الإساءة للدين من خلال التعصب غير العقلاني ومحاولة الظهور بمظهر الملتزم بأصول ودعائم الدين الإسلامي والمدافع عنه؛

---

99 كان الاحتلال العثماني الأول للعراق قد بدأ في عام 1534م واستمر من حيث المبدأ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى بعد أن جرى احتلال بغداد وخسرت الدولة العثمانية الحرب, وأصبح العراق جزء من المستعمرات البريطانية في منطقة الشرق الأوسط. إلا أن بغداد سقطت مرة أخرى بيد الصفويين في عام 1623م في فترة حكم الشاه الإيراني عابس الصفوي. وفي عام 1638 تمكن السلطان مراد الرابع من إعادة احتلال بغداد وإخراجها من أيدجي الصفويين, علماً بأن محاولتين سابقتين كانتا قد فشلتا في تحقيق هذا الهدف. وفشلت محاولات نادر شاه في احتلال بغداد والموصل ومعهما كل العراق حتى تم عقد وتوقيع اتفاقية الصلح في عام 1747م بين الدولة الصفوية في ايام حكم نادر شاه والدولة العثمانية في فترة حكم السلطان محمود الأول. ومع ابتداء تولي سليمان باشا الكبير الولاية على بغداد إضافة إلى البصرة في عام 1747 حتى بدأ عهد المماليك الفعلي في العراق والذي استمر حتى عام 1831 بسقوط الوالي داود باشا وتنظيم مذبحة المماليك, على شاكلة مذبحة الإنكشاريين. وعاد العراق تحت الحكم العثماني المباشر مرة أخرى في عهد السلطان العثماني محمود الثاني.

2- السعي بمختلف السبل للتدليل على أنهم من أشد المتحمسين للإسلام والمناهضين لغير المسلمين والسعي بمختلف السبل لتحويل أتباع الديانات الأخرى إلى الإسلام. وقد ارتكبت في مجرى القرون الأربعة المديدة في هذه المنطقة الكثير من الانتهاكات ونظمت الكثير من المجازر البشرية ضد أتباع الديانات الأخرى وبخاصة ضد الأيزيديين والأرمن والآشوريين أو عموم المسيحيين. فما تزال في الذاكرة تلك الجرائم والمجازر البشعة التي ارتكبت بحق الأرمن في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين حيث سقطت عشرات ألوف الضحايا برصاص الجيش والجندرمة والمتعصبين الأتراك100. وقد جرى كل ذلك في تركيا في فترتي حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) والسلطان محمد رشاد الخامس (1909-1918) وبقرارات من السلاطين أنفسهم؛

3- وكان التعصب القومي والشوفينية المغالية والتمييز العنصري والديني من بين أبرز الخصائص التي ميزت الدولة العثمانية وتجلت في سياساتها إزاء الأقوام والشعوب والأديان والطوائف الأخرى التي كانت تئن تحت وطأة الاحتلال العثماني. ومن هنا جاءت أيضاً معاناة الأيزيديين مزدوجة, فهم أيزيديون من جهة وأكراد من جهة أخرى, شملتهم سياسة التمييز القومي والديني على نطاق واسع ومستمر؛

4- وزاد في الطين بلة تفسخ الدولة العثمانية وانتشار الفساد والحكم القرقوشي في إرجاء الإمبراطورية الواسعة. فكانت حالات النهب والسلب والسرقة والرشوة والاعتداء والاغتصاب وشن الحروب والسجن ومصادرة الأموال والأراضي والممتلكات والعقوبات الاعتباطية والقتل الواسع النطاق والزركات والحملات العسكرية التي كانت الجندرمة العثمانية والجيش العثماني ينظمانهما وينفذانهما ضد القرى والمدن في المناطق التي تقع في حدود العراق الحديث من بين ابرز أوجه الحياة اليومية في الأقاليم التابعة للدولة العثمانية, بما فيها منطقة كردستان, التي كانت تحت الاحتلال العثماني. يضاف إلى كل ذلك انتزاع خيرات هذه المنطقة واستغلال سكانها على أساس اقتطاع حصة بيت المال أو الخمس أو الجزية وإتاوات غير رسمية وغير شرعية وغير ذلك. علما بأن هذه المنطقة, رغم إمكانياتها

---

100 غازاريان, هايكازن. وثائق تاريخية عن المجازر الأرمنية عام 1915. ترجمة نزار خليلي. سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية - 4 -. دار الحوار للنشر والتوزيع. ط 1. حلب. 1995.

المادية غير القليلة كانت فقيرة حيث كان البؤس المدقع يسود الغالبية العظمى من العائلات الأيزيدية والكُردية عموما. وكان شيوخ العشائر والأغوات والحكام المحليين ورجال الدين ينتزعون الكثير جدا من القليل الموجود عند سكان المنطقة.

لقد تعرض الأيزيديون في فترات مختلفة من الحكم العباسي ولكن بشكل خاص في أواخر هذا الحكم وفي أعقاب الغزو المغولي والدويلات التي نشأت بعد الغزو, ثم على امتداد الحكم العثماني وحكم المماليك والحكم العثماني الثاني في العراق إلى اضطهاد وعسف شديدين ومتوأصلين تقريبا. وقد برز على نحو خاص في خمسة أشكال متميزة:

- إصدار فتاوى دينية عن علماء دين مسلمين في الدولة العثمانية والدولة الفارسية أو بعض علماء الدين العرب والكُرد وضعت الأيزيديين في خانة المرتدين عن الدين الإسلامي والكافرين به الذين يحل على المسلمين دمهم. وهذا يعني أن رجال الدين وضعوا بيد السلاطين والحكام وبيد كل مسلم ومسلمة أداة قهر وابتزاز وقتل موجهة ضد الأيزيديين دون وجه حق. ومن المفيد أن نورد بعض فقرات من تلك الفتوى لتكشف عن الطبيعة التعصبية والاستعداء اللاإنساني من جانب أصحاب الفتوى إزاء الأقلية الأيزيدية. فقد جاء في كتاب عباس العزاوي "تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم" نص فتوى صادرة عن الشيخ عبد الله الربتكي المتوفي سنة 1159 هجرية الموجودة في المكتبة السليمانية, المهداة من نعيم بك آل بابان إلى إسماعيل حقي بك الأزميري. وجاء في نص هذه الفتوى الدينية ما يلي: "إعلم أنهم متفقون على أباطيل من عقائد وتأويل كلها مما يوجب الكفر العتيد والضلال العنيد. فمنها أنهم ينكرون القرآن والشرع ويزعمون أنه كذب وأن مثل هذيانات الشيخ فخر هي المعتمد عليها والتي يجب أن يتمسك بها ولهذا يعادون علماء الدين ويبغضونهم بل إن ظفروا بهم يقتلونهم بأشنع قتل... ولا خفاء في أن في أن هذه المذكورات كلها مما يوجب أشنع الكفر وأقبحه فهم إذن كفرة أصلية كما نقل عن بعض كتب المذهب ونسب إلى أصل المذهب فانه نقل عن كتاب المتفق والمختلف إن الظاهر من مذهب مالك أنه إذا ظهر أحكام الكفر في بلدة تصير دار حرب وهو مذهب الشافعي وأحمد (رض) واتفقوا على أموالهم. ... قال في الأنوار: "توبة المرتد وإسلام الكافر أن يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويتبرأ من كل دين يخالف الإسلام ويرجع من كل اعتقاد هو كفر" هذا معلوم لو أجبروا وأكرهوا وأوعدوا بكل مكروه لم يتبرأوا عن معتقدهم في عدي ويزيد ولالش وغير ذلك من شيوخهم,

ومنه رأيهم على أنهم زنادقة وتوبة الزنديق لا تقبل في وجه. (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) الآية101. ولكن ماذا نستخلص من هذه الفتوى الصادرة عن عالم دين مسلم إزاء مجموعة بشرية تؤمن بديانة أخرى وتمارس طقوساً أخرى تختلف عن دين وطقوس الإسلام؟ فصاحب الفتوى يؤكد دون وجه حق ما يلي:

* اعتبار أتباع الديانة الأيزيدية كفرة وزندقة من النوع الذي لا تقبل توبتهم, ويستشهد في ذلك على كتابات الشافعية والمالكية وغيرهم؛

* وأنهم ينكرون القرآن والشرع ويزعمون أنه كذب؛

* وأنهم يقومون بقتل المسلمين ببشاعة منقطعة النظير؛

* وأنهم يرفضون التخلي عن معتقداتهم وطقوسهم وشيوخهم؛

* وعلى هذا الأساس فأن ديارهم تصبح ديار حرب وقتلهم يصبح واجباً دينياً كما تصبح أموالهم وما يملكون ملكا حلالاً للمسلمين!

ومن هنا يتبين للقارئ مدى القسوة والظلم والابتعاد عن الاعتراف بالأديان الأخرى وعدم التسامح الذي تميزت به لا الفتوى وحدها, بل العهد أو الحكم العثماني بكامله. وفي الوقت الذي كان الجندرمة وغيرهم يقومون بقتل الأيزيدية يتهم كل الأيزيديين بقتل المسلمين, في حين لا يمكن أن يخلوا أي مجتمع من المجتمعات من بعض القتلة الذين يعتدون ويسرقون ويقتلون أناساً أبرياء أيضا, ولكن لا يجوز تعميم ذلك على الأيزيديين, كما لا يجوز تعميم الممارسات غير الإنسانية التي مارسها الحكم العثماني إزاء الأيزيديين وكأنها ممارسات كل المسلمين في إطار الدول العثمانية حينذاك أو في عراق ذاك الزمان. فسياسة السلاطين والولاة والحكام في الدولة العثمانية حينذاك وكذلك في الدولة الفارسية قد اعتمدت التمييز الديني التي اقترنت بعدوانية شديدة. وقد مارس هذه السياسة المخالفة للشرع العديد من الأمراء والأغوات الكُرد المسلمين أيضاً؛

101العزاوي, عباس. تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم. بغداد. مطبعة بغداد. منصف الثلاثينات من القرن العشرين. ص 84-90.

- تدمير أو حرق المعابد الدينية للأيزيديين ونبش القبور وقتل القائمين عليها وفرض الإسلام عليهم بالقوة, من خلال شن الحملات العسكرية التي كانت تنظم من قبل الولاة والحكام وبعض رجال الدين المسلمين والأمراء والأغوات الكُرد؛

- مطاردة الأيزيديين وقتلهم وسبيهم بشكل شرس لا يعرف الرحمة في محاولة لتصفية هذه الجماعة الدينية الكُردية في كردستان عموما, كما إنها موجهة أساسا ضد أولئك الذين كانوا يمارسون الطقوس الدينية أو الذين يسعون إلى جمع التراث الديني والشعبي الأيزيدي وتوثيقه والمحافظة عليه, إضافة إلى حرق أو إتلاف ما يقع تحت أيديهم؛

- محاولة استخدام وجود فرق أو جماعات أيزيدية تقوم بأعمال النهب أو السلب لشن حملات إبادة واسعة تبتعد عن حجج تأديب المتمردين أو عصابات النهب والسلب والاعتداء على القوافل والسابلة في المناطق الجبلية من كردستان, علما بأن هذه الظاهرة لم تكن مقتصرة على مجموعات من الأيزيديين الكُرد, بل كانت تقوم بها عصابات من العرب والكُرد من المسلمين أيضا في مناطق مختلفة من العراق.

وقد تسببت هذه السياسة العدوانية ضد الأيزيديين إلى حدوث الكثير من التمردات والانتفاضات المشروعة ضد الولاة والحكام وضد كل مضطهدي الأيزيديين. إذ أن الجهل بمضمون وأبعاد واتجاهات الديانة الأيزيدية من جانب السلاطين والحكام والولاة والغالبية العظمى من الناس أيضا من جهة, والتعصب والتزمت الديني وعدم التسامح لدى الغالبية العظمى من السلاطين والولاة والحكام, ولدى كثرة من السكان المسلمين إزاء الأديان الأخرى عموما والأيزيدية بشكل خاص من جهة ثانية, قد لعب دورا كبيرا في وقوع مجاز دموية رهيبة لا يمكن للإنسان السوي أن يستوعبها أو يرضى بها. إنها تذكر بأساليب القرون الوسطى حيث كانت تمارس تلك الأساليب ضد حملة الرأي أو الديانة الأخرى مثلا. وهي صفحة سوداء في تاريخ الدولة العثمانية وفي تاريخ كل الذين مارسوها ضد المواطنات والمواطنين الكُرد الأيزيديين. ورغم أن مثل هذه الجرائم لا يمكن ولا يجوز نسيانها ولا يمكن أي اعتذار أن يمسحها من الذاكرة, فأن الحاجة ماسة إلى تقديم اعتذار عام عن كل ما حصل بحق هذه الجماعة الدينية بغض النظر عن تصورات كل منا ومواقفه وتقديره لطبيعة ومضمون هذه الديانة العريقة جدا في هذه المنطقة من العالم, في بلاد ما بين النهرين, إذ أن لكل إنسان الحق الكامل في اعتناق أو الاعتقاد والإيمان بأي دين كان وله الحق في ممارسة

طقوسه وتقاليده دون قيد أو شرط, كما إن عليه الاعتراف بوجود الأديان والمعتقدات الأخرى واحترام أتباعها. فالأيزيديون في العراق يشكلون مجموعة دينية تعتبر من بين أقدم المجموعات البشرية التي تقطن العراق, كما هو الحال مع الصابئة المندائيين في العراق.

لقد أدى اعتبار الأيزيديين من "الجماعات المسلمة التي ارتدّت عن الإسلام" والادعاء بأن الجماعة قد اتخذت من عبادة إبليس عقيدة لها, دون إدراك ووعي لميثولوجيا ورموز ومضامين وقيم الديانة الأيزيدية, كان كافيا لتنظيم اعتي المجازر الدموية ضد هؤلاء المواطنات والمواطنين الكُرد. وتشير المعلومات التي بين أيدينا إلى أن الحكم العثماني كان المسؤول الأول والمباشر عن إعطاء الأوامر بتلك المجازر, إضافة إلى شراسة الحكام المحليين في تنفيذها, بغض النظر عن المنحدر القومي لهم. يشير الدكتور جاسم الياس مراد إلى أن معاداة الأيزيدية من قبل الدولة العثمانية أدت إلى تعرض الأيزيديين إلى 72 حملة إبادة نظمتها القوات العثمانية ضدهم وتسببت في هلاك عشرات الألوف منهم وإلى إدخال الكثيرين في الدين الإسلامي أو الهروب من المنطقة, أو أخذهم أسرى[102]. ويشير الباحث زهير كاظم عبود في كتابه الموسوم "لمحات عن اليزيدية" إلى عدد كبير من تلك المجازر, كما يورد معلومات مهمة عنها, رغم إنها غير كاملة[103]. ومن المفيد أن نورد هنا نماذج من ذلك العسف ضد الأيزيديين.

يشير المؤرخ عباس العزاوي في كتابه "تاريخ اليزيدية وأصل معتقدهم" نقلا عن كتاب تقي الدين أحمد بن علي المقريزي الموسوم " السلوك لمعرفة دول الملوك" إلى حملة الإبادة التي تعرض لها الأيزيديون في عام 1414 م 817 هجرية بما يلي: "في هذه السنة قد حُرق قبر الشيخ آدي الكائن في حكار من بلاد الكُرد. قد تجمع هؤلاء على قبره وقد سموا بالعدوية فاتخذوه قبلة لهم. وهم كثيرون ... وصار يتهافت الناس لزيارته. وهؤلاء عقبوا سلوك هذا الشيخ. وصار محل اعتمادهم واحترامهم ...ولما تجاوزوا الحد... قام عليهم جلال الدين محمد بن عزالدين يوسف الحلواني من الشافعية, من فقهاء إيران فأغرى الأمراء بالقيام

---

[102] بيره ش. لقاء مع مثقفي الأيزيدية في لاش ودهوك. منشور في مجلة لالش العدد 1995/5. دهوك. آب/1995. ص 125

[103] عبود, زهير كاظم. لمحات عن اليزيدية. بغداد. مكتبة النهضة. 1994. ص60-91.

عليهم ودعاهم لمحاربتهم. وأجاب دعوته كل من حاكم جزيرة أبن عمر (أمير عز الدين البختي) وجماعة من الكُرد السندية مع حاكم شراش وأمير توكل الكُردي. وأيضا أرسل حاكم حصن كيفا جيشا لمساعدتهم وكذا التحق بهم أمير شمس الدين محمد الجردقلي. بهذه القوة العظيمة هاجموا جبل هكار وقتلوا الكثير من أتباع الشيخ آدي, وقد أسر جماعة من أتباع الشيخ آدي ممن يسمى (بالصحبتية) ثم جاؤا إلى قبر الشيخ آدي لأجل هدمه فوصلوا قرية شرالق (وفي الكتب الأخرى يسمى لالش أو ليلش) فهدموا قبته وحفروا القبر فأخرجوا عظامه وأحرقوها بمرأى من القوى الصحبتية وقالوا لهم انظروا عظام من تدعون ألوهيته كيف تحترق ولا يستطيع أن يمنعنا واغتنموا غنائم كثيرة. ولما عادوا عن النهب اجتمع الصحبتية وعمروا القبة من جديد وعادوا إلى ما كانوا عليه من عاداتهم القديمة"[104]. ولم يقتصر الأمر على حرق الضريح ونبش القبر وتهديم بناء القبة فقط, بل تصاعد فشمل قتل خدمة المرقد والتنكيل بهم. واعتبر هذا الفعل من "الأعمال البطولية الجليلة!" بدليل عدم استنكاره من قبل رجال الدين في حينها أو من قبل من كتب عن هذه الحادثة والجريمة البشعة. وقد تمت هذه الحملة ضد الأيزيدية على أيدي الحكم الإيراني حينذاك.

ويلاحظ المتتبع للسياسات الإرهابية التي تعرضت لها الأقلية الأيزيدية الكُردية إلى أن الأيزيديين قد تعرضوا في فترة الحكم العثماني في العراق, ومنها فترة حكم المماليك 1749-1831, إلى عدد غير قليل من المجازر المتلاحقة, وكلفتهم ضحايا كبيرة جدا وخسائر مادية هائلة بالقياس إلى أوضاعهم المعشية القاسية وفقر الغالبية العظمى منهم. فبين عامي 1700م و1834م مثلا تعرض الأيزيديون في ولاية الموصل إلى حوالي 18 حملة عسكرية, سواء جاءت من الموصل أم من المناطق المحيطة بمنطقة الأيزيديين أم من بغداد, كما إن بعض تلك الحملات ابتدأ من إيران[105]. وكانت كل الحملات العسكرية التي شنت ضد الأيزيديين قد تميزت بالتوحش والقتل الواسع النطاق دون رحمة, كما اقترنت أحيانا غير قليلة بنبش قبر

---

104 العزاوي, عباس. تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم. بغداد. مطبعة بغداد. منتصف الثلاثينات من القرن العشرين. ص112/113.

105 عبود, زهير كاظم. لمحات عن الأيزيدية. مصدر سابق. ص 60-82

الشيخ آدي بن مسافر أو حرق الضريح من أجل الإساءة إلى الكرامة الأيزيدية والتعبير عن الحقد والكراهية الدينية[106].

ويمكن الإشارة هنا إلى بعض تلك الحملات التي يصعب على الإنسان الأيزيدي حقا أو على الميثولوجيا الأيزيدية نسيانها, ومنها الحملة العسكرية التي نظمها ونفذها الملك الفارسي طهماسب (نادر شاه) في سنة 1743, التي استهدفت مناطق الأيزيديين واستبيحت فيه العوائل. وقد قتل في هذه الحملة الكثير من سكان المنطقة, وجرى اغتصاب النساء وقتل الأطفال ونهب الأموال وتدمير البيوت على ساكنيها وحرق المزروعات والمحاصيل الزراعية[107].

وكانت أجهزة الدولة العثمانية تقوم بصورة منتظمة, استناداً إلى إرادة ورغبة السلاطين وعلماء الدين, بحملات عسكرية ظالمة ضد الأيزيديين تحت واجهات ثلاث أساسية هي:

- اتهام الأيزيديين بدعوة الناس سراً إلى الدخول في الديانة الأيزيدية, وهم بذلك يحرضون الأهالي على ترك دين الإسلام؛
- وأنهم يمجدون ويعبدون إبليس بدلا من عبادة الله؛
- وأنهم يرفضون الانخراط في الخدمة العسكرية الإلزامية في الجيش العثماني.

والسؤال الذي يواجهنا باستمرار يتلخص فيما يلي: ما هي العوامل الكامنة وراء هذا الموقف العثماني البغيض من الأيزيديين؟ وهل كانت تنطلق حقاً من حرص على الإسلام؟

إن الدلائل التي تحت تصرفنا والممارسات الفعلية للولاة والقادة العسكريين في ولاية الموصل, حيث كانت ترتبط بها مناطق الأيزيديين تؤكد الحقيقة التالية: أن الدولة العثمانية, التي كانت تعلن عن "تمسكها" وتعصبها للدين الإسلامي, كانت تعتقد بأن الجماعة الأيزيدية ليست سوى طائفة إسلامية مرتدة عن الدين الإسلامي لا بد من إعادتها إلى جادة الصواب, أو الغوص في دماء من تبقى منها, أي حل دم من يرفض ذلك, إضافة إلى محاولة فرض

---

106 نفس المصدر السابق. ص 84/83.

107 أبو داسن. بانوراما الحملات المدمرة التي حلت بالأيزيدية. مقال منشور في مجلة روژ. مجلة ثقافية تعني بالشؤون الأيزيدية. العد6/1999. مطبعة مه ركه ه. هانوفر. ص 38-59.

الخدمة العسكرية من جديد ضدهم, ومحاولة فرض شتم إبليس عليهم*. وقد قاد هذا الموقف غير الإنساني والخاطئ إلى ارتكاب الحكم العثماني جرائم بشعة بحق الأيزيديين. ففي الوقت الذي وافقت على قبول عريضة شيوخ الأيزيدية, بغض النظر عن طبيعتها والتشويهات التي يمكن أن تكون قد تعرضت لها, والموافقة على إعفاء الشبيبة الأيزيدية من الخدمة العسكرية مقابل دفع بدل نقدي عن كل شخص من هؤلاء المدعوين للخدمة, الذي تم في عام 1872[108], رفضت القيادة العسكرية, ومعها والي الموصل, في الوقت نفسه تنفيذ مثل هذا القرار عمليا, وبذلت جهدا جديدا وبتوجيه غير معلن من اسطنبول, بالتصدي لنشاط ديني مزعوم للأيزيديين في المنطقة والسعي "لإعادتهم إلى حضيرة الإسلام". وقد حاول والي الموصل استفزازهم من خلال الطلب منهم بشتم إبليس علنا. وعندما كان المواطن يرفض ممارسة مثل هذا الشتم يعاقب عقوبة شرسة, أو حتى يقتل. ففي شهر نيسان/إبريل من عام 1893 شن عمر فهمي باشا حملة عسكرية على مناطق وجبل سنجار, في حين أرسل ولده عاصم بك على رأس حملة إلى كل من الشيخان وباعذرة. وفي الوقت الذي قام الأخير بقتل ونهب بيت الأمير الأيزيدي وما فيه من تراثيات أيزيدية, قام الآخر بحملات عسكرية متوأصلة دامت ثلاثة أيام انتهت بسقوط عدد كبير من القتلى في صفوف الطرفين, إضافة إلى الكثير من الأسرى بيد القوات العثمانية. وتبعت ذلك حملة عسكرية أخرى في مايس/أيار من عام 1884 بقيادة بكر باشا, حيث تحمل الأيزيديون خسائر جديدة في الأرواح والمزروعات والممتلكات. ولم تتوقف هذه الحملات في فترة الحكم العثماني حيث شنت, وبعد مرور ما يقرب من 16 سنة على أخر حملة على سنجار, أي في عام 1910, حملة عسكرية جديدة

*من المفيد أن نشير هنا مرة أخرى إلى أن الجماعة الدينية الأيزيدية تتخذ موقف التقية من كل الأنبياء والأولياء الصالحين ومن كل الملائكة باعتبارهم من خلق الله ولا يجوز شتمهم, إذ أن ذلك إساءة للخالق ذاته, فهو الذي خلقهم ومنحهم المهمات والواجبات, وعليه فليس من شؤون الإنسان شتم الأديان أو الأشخاص. ويمكن أن تفسر هذه المسألة وفق ما يشاء لها رجال الدين من أديان أخرى تقود إلى خلق إشكاليات جديدة باعتبار الموقف حمال أوجه وقابل لتفسيرات عديدة. حتى إذا كان الموقف حمال أوجه فما شأن المسلمين والمسيحيين أو اليهود باعتقاد جماعات دينية أخرى أيا كانت تلك المعتقدات متفقة أو مخالفة لاعتقاداتهم. (ك. حبيب).

108 فتاح, شاكر. اليزيديون والديانة الأيزيدية. ط 1. بيروت 1997. ص 53-58.

على أيزيديي سنجار بقيادة أسعد باشا الدرزي[109]. وهنا لا بد من تأكيد حقيقة أن الإرهاب العثماني لم يكن موجها ضد الأيزيديين وحدهم, بل مورس في مناطق الحكم العثماني ضد المسيحيين الآشوريين والكلدان, ولكن بشكل خاص ضد الأرمن. كما إنها مورست ضد العرب في مناطق أخرى من العراق أو الدول العربية. ويفترض أن لا ينسى الإنسان ما تعرض له الشيعة الجعفرية من اضطهاد وعسف في فترة الحكم العثماني ومن تهديم للأماكن المقدسة عند الشيعة. في مقابل تعرض له أهل السنة من اضطهاد وعسف من جانب الحكام الفرس ومن تهديم للأماكن المقدسة عند السنة.

وإذا ما عاد القارئ إلى كتاب المقريزي فسيجد أن الكاتب يؤكد ثلاث حقائق أساسية ومهمة, هي:

- لقد كان الحكام العرب والكُرد أو الأتراك يتحالفون معا, وبتأييد مباشر من رجال الدين, لشن حملاتهم إبادة ضد المناطق والقرى والأماكن المقدسة الأيزيدية بدافع ديني شديد التعصب من جهة, وبدافع النهب والسلب والاعتداء من جهة أخرى. وكانت هذه الحملات الهمجية تقابل بالترحاب والتبريك من جانب السلاطين ومن والاهم؛

- وكان الهدف من وراء تلك الحملات "إعادة" الأيزيدية إلى "الإسلام", إلى "جادة الصواب" بغض النظر عن الثمن الباهظ الذي يتحمله هؤلاء الناس من نساء ورجال وشيوخ وأطفال! والمشكلة الكبيرة كانت تبدو أن المجتمع حينذاك لم يكن يستنكر مثل هذه الحملات بل ربما كان يعتبرها طبيعية من منطلق الدفاع عن الإسلام. وهي مسألة تعبر عن مستوى حضاري متخلف جدا ومغرق في الجهالة والرجعية والتعصب, كما إنه يعبر عن ادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة من جانب هذه الجماعة فحسب!

- ورغم كل تلك المجازر ومحاولات فرض الإسلام عليهم بالعنف, كان الأيزيديون متمسكين بدينهم, وهم على حق تام في ذلك, مدافعين عن طقوسهم وقيمهم وتقاليدهم وهويتهم الدينية, إذ سرعان ما تجمعوا ثانية ليعيدوا بناء أماكنهم المقدسة التي تعرضت للتدنيس والتدمير.

---

109 أبو داسن. بانوراما الحملات العسكرية التي حلت على الأيزيدية. مصدر سابق. ص 52.

إلا إن تلك السياسات الدموية والعنصرية والتمييز الديني ضد الأيزيدية قادت في الوقت نفسه إلى عواقب سلبية على مستوى الأقلية الأيزيدية والتي يمكن تحديدها بعدة نقاط أساسية هي:

1. حصول مزيد من الانغلاق على الذات والتقوقع القسري الذي حرمهم من نعمة الاحتكاك الواسع لا مع أبناء المنطقة فحسب, بل ومع الشعوب المجاورة وتأمين المزيد من التأثير والتفاعل المتبادل في مختلف المجالات والمستويات.

2. بقاء الديانة الأيزيدية والتراتبية التي تبلورت فيها على حالها دون تغيير بسبب الرغبة في الدفاع عن التقاليد والعادات والقيم التي توارثوها, رغم إن الكثير منها لم يعد ينسجم مع المجتمعات الحديثة ومبادئ حقوق الإنسان والحريات العامة, بما فيها قضايا الزواج والإرث ودور المرأة في المجتمع...الخ.

3. النمو البطيء جدا في عدد السكان الأيزيديين, رغم أن الولادات عندهم كانت عالية جدا, كما هو الحال عند بقية الفلاحين الكُرد أو الفلاحين في سائر بلدان العالم خلال تلك الحقبة الزمنية, بسبب حملات الإبادة المتعمدة الهادفة إلى تصفية هذه الجماعة الدينية, إضافة إلى الأوبئة والكوارث الطبيعية والأمراض التي كانت تحصد الكثير من البشر في هذه المناطق الفقيرة جدا من العراق, حيث حرمت, إلى جانب الفقر والبؤس, عمليا من المعالجات الطبية أو إمكانية الحصول على الأدوية الضرورية أو الخدمات الأساسية.

4. عدم تسلم الأيزيديين لمراكز سياسية أو وظائف حكومية في الدولة, وبالتالي فأنهم جميعا كانوا محرومين عمليا من حقوق المواطنة الاعتيادية؛

5. ولا شك في أن الكادحين الأيزيديين من الفلاحين والكسبة والحرفيين كانوا يتعرضون طيلة العهود التي يجري البحث فيها إلى استغلال شديد لا من جانب السلاطين والولاة والحكام الأتراك والكُرد والعرب فحسب, بل ومن الأمراء والعائلات الميسورة والمهيمنة على المراكز الدينية والدنيوية في المجتمع الأيزيدي. وكان هذا الاستغلال يجري عبر النمط الاقتصادي الريعي -العلاقات الإقطاعية- الذي ساد الريف الكُردستاني والريف في عموم الدولة العثمانية أولا, وعبر طبيعة الحكم السياسي المتفسخ في الدولة العثمانية, وعبر المتنفذين على مناطق الأيزيدية ثالثا. ويجد هذا تعبيره حتى في نمط ومستوى حياة ومعيشة الفئات أو المراتب الاجتماعية العليا من جهة, والغالبية العظمة من مرتبة المريدين, وهم غالبية المجتمع الأيزيدي المنتج للخيرات المادية في اقتصاد المناطق الأيزيدية وضمن غالبية

الكادحين في إطار المجتمع الكُردي عموما من جهة أخرى. ولم يكن الصراع على الإمارة بين العوائل الأيزيدية أو على المراكز الأخرى بين العائلات الثلاث المعروفة في المجتمع الأيزيدي لمجرد الوثوب على المركز الديني (أو) والدنيوي الرئيسي الذي يراد الاستحواذ عليه أو على بقية المراكز الحيوية فحسب, بل ومن أجل أن يكون لهؤلاء المستحوذين على تلك المراكز موقع الصدارة في المدخولات الريعية التي ترد لهم ولعائلاتهم من كادحي الأيزيدية. ولدى الباحث إحساس بأن هذه المسألة لم تبحث بما فيه الكفاية من جانب العناصر الديمقراطية والتقدمية في المجتمع الأيزيدي بسبب كونهم كانوا وما زالوا يواجهون التمييز الديني والقومي والتعنت في التعامل معهم بعيدا عن الحق الكامل في المساواة في الحقوق والواجبات مع بقية المواطنين, إضافة إلى حساسيتها والعلاقة العضوية القائمة بين المراكز الدينية والدنيوية في الديانة الأيزيدية. إن هذا التداخل يعقد هذه العملية كما هو الحال في مفهوم الأصوليين للإسلام الذين يعتقدون بوحدة الدين والدولة ويرفضون الفصل بينهما. ومع ذلك أرى بأن القوى الديمقراطية الأيزيدية تتحمل مسؤولية مواجهة الإشكاليات الراهنة بذهنية متفتحة وحديثة تمارس النقد الموضوعي لبعض مضامين أو طقوس وتقاليد أو التراتبية الجارية وما ينشأ عنها من استغلال للكادحين من الأيزيديين أو المريدين في الديانة الأيزيدية, كما يفترض أن يحصل هذا مع بقية الأديان, أيا كانت التسمية التي تصبغها هذه الديانة أو تلك على نفسها. وهذا الموقف العلماني لا يتناقض مع إبداء الاحترام التام للأديان ولكل المؤمنين بها من جهة, ولا مع حق المؤمنين بتلك الأديان بمزاولة طقوسهم الدينية بكل حرية وعلنية.

6. تشترك غالبية الأديان في الموقف من الزواج داخل الجماعة الدينية وإزاء الخارج. فالزواج عند الأيزيدية يخضع لقاعدتين هما:

أ. الزواج على أساس التراتبية الدينية والاجتماعية, أي القاعدة التي تمنع الزواج بين التراتبيات الدينية الاجتماعية المختلفة؛

ب. منع الزواج على المرأة والرجل من خارج الجماعة الأيزيدية. وهذه الظاهرة ليست جديدة بالنسبة للديانات القديمة, كما يمكن ملاحظته في بعض مناطق الهند أو لدى الصابئة في العراق مثلا, فأن من المناسب على الباحثين الشباب الجدد والجماعات الدينية ذاته أن تدرس هذه الظاهرة مجددا وتتحرى عن العوامل التي دعت غليها وكيف يمكن تطويعها

لصالح الجماعة الأيزيدية ذاته أمن النواحي المختلفة, بما فيها القضايا الصحية وتطور النسل. أما المسألة الثانية المرتبطة بالزواج من خارج الجماعة الأيزيدية فتخضع لعوامل غير قليلة, منها الخوف الذي يبدو في أحيان غير قليلة مشروعاً نتيجة الاضطهاد الذي تعرضت له هذه الجماعة ونتيجة الادعاء بكونهم من المسلمين المرتدين, وبالتالي, تشعر بأن هناك جهوداً محمومة لتصفيتها من خلال الزواج بنساء ورجال الأيزيديين من جانب المسلمين والمسيحيين. فالخشية والدفاع عن النفس واحدا من بين الأسباب التي تدفع بهذا العامل إلى المقدمة. ومثل هذا التحريم نجده عند أديان أخرى أيضاً وأن اختلف في صرامته أو إطلاقه. أي أن التحريم لا نجده عند جماعة الديانة الأيزيدية فحسب, بل تشترك معها جماعات بعض الأديان الأخرى, ومنها الديانة الإسلامية والصابئة أو المسيحية قبل عملية التنوير. فالدين الإسلامي يرفض زواج الرجل بامرأة مسيحية أو من أتباع ديانات أخرى ما لم تتحول المرأة إلى الديانة الإسلامية, وكذا الحال بالنسبة للمرأة المسلمة, إذ لا يحق لها أن تتزوج برجل مسيحي أو أيزيدي أو يهودي مثلا قبل أن يتحول إلى الديانة الإسلامية. وأن رفض هذا الموقف فسيكون الزواج, كما عند الشيعة منقطعا ولفترة زمنية يحددها الطرفان. ومن هنا فأن لدى الأيزيديين خشية من أن الزواج بجماعات من أديان أخرى يمكن أن يفرض عليهم التخلي عن دينهم, والذي يمكن أن يقود بدوره إلى تقلص في أتباع الديانة الأيزيدية أو حتى ضمور الجماعة تدريجا. كما أن الديانة الأيزيدية ليست ديانة تبشيرية, وبالتالي, فمن غير الممكن تحول أتباع ديانات أخرى إلى الديانة الأيزيدية. وعلى أية حال فأن قضايا الزواج هي من المسائل الداخلية التي يفترض في الأيزيديين أنفسهم معالجتها, خاصة وأن وجود نسبة مهمة منهم في الخارج ستقود بهم إلى الزواج بنساء من أديان أخرى أو النساء برجال من أديان أخرى. كما يفترض في المسلمين والصابئة وغيرهم التفكير بهذا التحريم أيضاً. وعلينا جميعاً احترام القواعد التي تعمل بها, ولكن هذا لا يعني عدم إبداء الملاحظات الإيجابية أو السلبية بشأنها. إذ بدون مثل هذا النقد لما تطورت بعض الأديان ولما حصلت تلك التحولات فيها على مدى التاريخ المنصرم, وأن كانت التغيرات بطيئة وبطيئة جدا بالنسبة إلى كل الأديان على حد سواء تقريباً.

الفصل الرابع

الأيزيديون في العراق الحديث

المبحث الأول: الأيزيديون في العهد الملكي

أصبح العراقيون جميعا, سواء كانوا من العرب والكُرد, أم من التركمان والآشوريين والكلدان, مواطنات ومواطنين في الدولة العراقية الحديثة, التي تشكلت في العام 1921 والتي أصبح فيها الأمير فيصل بن الحسين شريف مكة, ملكاً على العراق. وأعترف القانون الأساسي العراقي (الدستور), الذي أقر في آذار/مارت من عام 1925, بأن الدين الرسمي للدولة العراقية هو الإسلام, ولكنه يضع في الوقت نفسه على الدولة مسؤولية احترام بقية الأديان وضمان ممارسة شعائرها بحرية تامة. فقد نصَّت المادة الثالثة عشرة على ما يلي:

"الإسلام دين الدولة الرسمي, وحرية القيام بشعائره المألوفة في العراق على اختلاف مذاهبه محترمة لا تمس, وتضمن لجميع ساكني البلاد حرية الاعتقاد التامة, وحرية القيام بشعائر العبادة وفقا لعاداتهم ما لم تكن مخلة بالأمن والنظام, وما لم تناف الآداب العامة"[110].

وكان هذا النص ينطلق من مواقع الربط بين الدين والدولة, وبالتالي لا يضع الدولة في موقع الحياد بين الأديان, إذ أنه ومن الناحية العملية يفسح في المجال بانحياز الدولة إلى جانب الإسلام والمسلمين وبالضد من الأديان والجماعات الدينية الأخرى. رغم أن النص يتضمن حق الديانات الأخرى, كالمسيحية واليهودية والمندائية والأيزيدية أو الطوائف الدينية الأخرى, بما فيها الكاكائية والشبكية والبابية والبهائية وغيرها, في ممارسة طقوسها

110الحسني, عبد الرزاق. تاريخ الوزارات العراقية. الجزء الأول. مطبعة دار الكتب. بيروت. 1974. ص 320.

وشعائرها الدينية وتقاليدها بكل حرية, وأن القانون الأساسي يفرض على المشرع سن قوانين تستجيب لهذا المضمون وتتناغم معه, أي أن توضع في ضوئه وأن تصون وتحرس هذا الحق. ولكن تجارب الماضي الطويل والواقع العملي قد دلل بما لا يقبل الشك بأن عدم فصل الدين عن الدولة كان من أبرز العوامل في ما تعرضت له الأديان والطوائف المختلفة من تمييز في التعامل اليومي وفي حرية ممارسة أتباع تلك الديانات لطقوسها الدينية وشعائرها وتقاليدها المختلفة. ولهذا فلا غرابة من أن يطرح الإنسان السؤال التالي: كيف كان وضع الأيزيديين, وهم جماعة دينية صغيرة ومستقلة عن الأديان الأخرى في العراق الحديث؟ وكيف كان تعامل الدولة وبقية المواطنين مع الأيزيديين؟

لقد تميزت علاقات الناس في العراق القديم بحرية العبادة والاعتراف المتبادل بالأديان والآلهة والابتعاد عن الإساءة لها, رغم أنها وفي فترات متأخرة قد تعرض بعض نصب الآلهة للتمييز والمصادرة في أعقاب حرب خاسرة مثلا. وفي فترات مختلفة من العهود التالية التي سادت العراق شهدت تلك العلاقات الدينية تفاوتا في المعاملة المتسمة بالتسامح أحيانا والتمييز المحدود أحيانا أخرى وبالتمييز الصارخ والمتعصب في أحايين أخرى غير قليلة. ولكن المشرع للقانون الأساسي العراقي لم يتعظ من هذه التجارب فأصر على أن يكون دين الدولة العراقية الرسمي هو الإسلام, على أن يتم الاعتراف ببقية الأديان والطوائف صغيرها وكبيرها على حد سواء واحترام حقها الكامل في ممارسة طقوسها وشعائرها. كما أنه أشار بشكل غير مناسب بأن **"حرية القيام بشعائر العبادة وفقا لعاداتهم" يجب أن لا تكون "مخلة بالأمن والنظام", كما يفترض أن لا تكون منافية للآداب العامة. إذ أن** مثل هذه الصيغة تمنح الحكومة, وهي هنا حكومة مسلمة في أغلبيتها وفي دولة تلتزم بالإسلام دينا رسمياً لها على الأقل من الناحية الدستورية, الحق بالتدخل في شؤون الأديان الأخرى أو منعها من أداء شعائرها وتقاليدها الدينية بحجة مخالفتها للأمن والنظام العام أو أنها تتنافى مع الآداب العامة.

وعلى العموم فأن هذا الموقف المتحيز الذي التزم به الدستور العراقي رسمياً, رغم ما فيه من مواد تؤكد طبيعته المدنية, قد أوجد أساسا لمشكلات قادمة كان في مقدوره تجاوزها لو ابتعد عن هذا الربط غير المطلوب بين الدين والدولة. ومن حيث المبدأ والممارسة العملية مُنحت إذن كافة الجماعات الدينية العراقية, وهي كثيرة, الحق في العبادة وممارسة طقوسها الدينية دون أن يجري أي اعتراض أو تعرض مباشر لها. ولكنها كانت ابتداء لا تجد تمثيلا

لها لا في المنطقة التي تعيش فيها الجماعة الأيزيدية ولا على نطاق الحكم في العراق. وإذا كانت الحكومات العراقية المتعاقبة تراعي في تكوينها وجود وزير أو وزيرين من الشيعة ووزير من المسيحيين وآخر من اليهود, إضافة إلى وزير أو وزيرين من الكُرد, فأنها لم تبرز في المجالات الأخرى, كما لم تجد الأقليات الدينية الأخرى أي دور لها في أجهزة الدولة والإدارات المحلية. وبعد سن القانون الأساسي بدأت الحكومات العراقية المتعاقبة بممارسة أسلوب جديد ومفيد يمكن معه منح الأقليات الدينية حق ممارسة بعض الشؤون الإدارية الدينية أو الخاصة بالجماعة وبالشؤون الدينية واستناداً إلى قانون العشائر في مناطقهم. ومن هذا المنطلق أوحت الإدارة في الموصل بإمكانية تكوين المجلس الروحاني للجماعة الدينية الأيزيدية ابتداء من عام 1928, كما هو حال بقية الأديان. وكان الصراع بين عائلتين من بيت الإمارة الأيزيدية على مركز الإمارة قد تفاقم واتخذ أبعادا مضرة بالجماعة الدينية ذاتها, أي الصراع على الإمارة بين عائلة حسين بك وعائلة سعيد بك, إضافة إلى اشتداد الصراع بين العشائر الأيزيدية السنجارية وبيت الإمارة عموما. وإذا اعتبر تشكيل المجلس الروحاني للجماعة الأيزيدية مسألة مفيدة حقا بحيث يمكن بلورة وتوحيد مواقفها ومهماتها ومطالبها إزاء الحكومة أو القوى الأخرى, فأن الأمر قد تضمن في حينها إشكالية ذات ثلاثة أبعاد أو وجهات نظر, يمكن تلخيصها في المواقف التالية:

- رغبة الحكومة العراقية في أن تبدو للعالم الخارجي على إنها تحترم الأديان والجماعات والأقليات الدينية المختلفة ليسهل لها إنهاء الانتداب عليها وولوجها عصبة الأمم, وأن تستفيد من هذا المجلس من خلال علاقتها بالأمير الذي يترأس المجلس لتأمين علاقة اعتيادية مع الجماعة الدينية وبعيدا عن احتمال الاستفادة من مواقفهم من جانب القوى الفرنسية في سوريا التي كانت لا تريد جعل الموصل جزءا من العراق, حيث كان الصراع على الموصل بين البريطانيين والفرنسيين والأتراك على أوجه حينذاك. وكانت الإشكالية الأساسية تتلخص في الإجابة عن السؤال التالي: هل تصبح ولاية الموصل جزءا من العراق أم من سوريا أم من تركيا؟ وكان أمر الحفاظ على علاقة جيدة مع أمير الأيزيديين بالتجاوب مع مصالحه الخاصة يساعد الحكومة العراقية, كما كانت تعتقد, على ضمان السيطرة على الأيزيديين جميعا أو التدخل في شؤونهم الداخلية عبر الأمير. ومع أن الحكومات العراقية قد تسنى لها تحقيق بعض ما تريد, إلا إنها لم تكن في كل الأحوال قادرة في الوصول إلى ما تريد, إذ أن الأمير

والمجلس الروحاني عجزا طويلا عن فرض هيمنتهم على جميع الأيزيديين, وهو ما برهنت عليه الأحداث اللاحقة التي تلت تشكيل هذا المجلس.

- وكانت هناك رغبة لدى الأوساط الشعبية, سواء كان لها دور في تشكيل المجلس أم لم تشترك في انتخاب أعضاء المجلس لاحقا, ولا في تعيين من تراه مناسبا, ولا في إقرار نظامه الداخلي وقواعد عمله, في أن ترى وجود مجلس روحاني يدافع عن مصالحها الدينية ويتبنى قضاياها الحيوية ويقلل من التمييز والتخلف الذي كانت تعاني منه منطقة الأيزيديين. وكانت هناك مجموعة من الروحانيين تتطلع هي الأخرى إلى نفس هذا الهدف والتي كانت ترى ضرورة وضع المجلس في خدمة المجتمع الأيزيدي وليس في خدمة الحكومة أو مصالح الأمير والنخبة القائدة في الطبقات الدينية العليا المهيمنة على المجتمع الأيزيدي اجتماعيا واقتصادياً ودينياً.
- وكانت هناك أخيراً رغبة الأمير والعائلة المهيمنة على مقادير الأيزيديين في أن المجلس يمكن أن يوفر لهم عدة مكاسب جوهرية:

1) تمثيل الأيزيديين إزاء الحكومة العراقية والمسؤولين في ولاية الموصل وضمان أفضل العلاقات مع الإدارة الحكومية لصالح الأمير وعائلته؛

2) تأمين الربط بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية وفرضها على الأيزيديين عمليا من خلال الأمير الذي سيكون رئيسا للمجلس الروحاني؛

3)) تأمين قواعد عمل ومواد قانونية في النظام الداخلي للمجلس يمكنها المساهمة والمساعدة في إغناء الأمير وعائلته مالياً ومادياً على حساب القاعدة الأساسية للجماعة الدينية الواسعة والفقيرة؛

4) تأمين حصول المجلس الروحاني, ومن خلاله لعائلة الأمير, على ما يصل للمزارات الأيزيدية من موارد مالية وهدايا؛

5) إضافة إلى حسم الصراع داخل البيت الأميري لصالح الأمير سعيد بك وعلى حساب حسين بك. 111 ويؤكد الباحث العلمي الأيزيدي الدكتور خليل جندي على أن الأمير كانت له حقا مثل تلك الأهداف من خلال الإطلاع على وثيقة سرية رفعها قائمقام الشيخان إلى

---

111 جندي, خليل, د. الأيزيدية في الوثائق السرية للحكومة العراقية 128-1930. مقال منشور في مجل روژ. العدد 8/7- أيلول/ سبتمبر 1999. تصدر عن مركز الأيزيدية خارج الوطن. ص 35/34.

متصرفية لواء الموصل في الثالث من تموز/ يوليو عام 1928 تطرح مطالب الأمير بوضع تشريع يسمح للأمير بممارسة جملة من الأمور من جهة, ويقدم للمتصرف رأيه بما يريده الأمير من جهة ثانية.

وقد لخص القائمقام بصواب أهداف الأمير الأيزيدي من تشكيل المجلس الروحاني ومهماته حين كتب يقول:

"ومن جملة الفوائد التي كان سعيد بك يتوخاها من هذا المجلس هي:-

أ. على كل يزيدي الذي يخطف بنتا باكرة بقصد التزوج بها أن يعطي إلى سعيد بك ثور أو عشر النقدية التي يستحقها وارثها.

ب. على كل يزيدي يخطف امرأة متزوجة بقصد التزوج بها أن يعطي إلى سعيد بك بغلا وعشر النقدية التي يستحقها زوجها السابق.

ج. كل يزيدي يتوفى من غير ذرية فلسعيد بك أن يستورثه باسم الوقف وإلى غير ذلك من الرسوم والغرامات التي يستحقها ملك البلاد باسم القانون."[112].

ومن يقرأ هذه المواد يتذكر ما كانت تتضمنه شريعة حمورابي وغيرها من شرائع العراق القديم في هذا الحقل, لا من حيث الغرامات فحسب, بل من حيث اللغة أو الطريقة المستخدمة في التعبير عن النص التشريعي. كما أنها كانت تعبر عن الواقع الذي كانت تمارسه كثرة من الأيزيديين عمليا في هذا الصدد, إلا أن الأمير كان يريد تثبيت تلك "الحقوق" له وحده فقط عبر تشريعها وجعلها ملزمة لجميع الأيزيديين وأن يبعد وصاية المجلس الروحاني عليها وعن سلطته في هذا الصدد, إضافة إلى إبعاد تدخل الدولة العراقية في هذا الشأن المدني وليس الديني. وكان موقف القائمقام يتلخص بتجاوز هذه المطالب باعتبارها مضرة بالجماعة الأيزيدية عموما, كما يمكنها أن تعمق الانشقاق الذي كان قائما أصلا بين العشائر الأيزيدية وبين الأمير وجماعات سنجار[113]. وكان القائمقام على حق في ذلك.

---

112 نفس المصدر السابق. وثيقة رقم 2. ص 42.

113نفس المصدر السابق. ص 36 و42 .

• وإذا كانت الجماعة الدينية في الشيخان وباعذرة قد منحت تأييدها لهذا المجلس, فأن الجماعة الدينية في سنجار لم تمنح تأييدها ولم توقع على العريضة التي طرحت جملة من المطالب لتأسيس المجلس الروحاني. ولهذا لم تكن تشعر بالتزامها الديني إزاء المجلس[114].

ومع ذلك فقد تشكل المجلس منذ عام 1930 وهو ما يزال قائما حتى الوقت الحاضر, وما يزال الأمير يترأسه ومعه مجموعة من رجال الدين الأيزيديين, ولكن الشكوك تدور حول دوره وأهمية ما قدمه للناس حتى الآن. وعندما تشكل المجلس لم يكن الصفاء قد عاد إلى البيت الأميري ولا إلى الناس في سنجار والشيخان وباعذرة, إذ كان البعض الكثير الذي يعتقد بأن الإمارة لا تمثل بشكل صحيح مصالح المجتمع الأيزيدي, بل كانت تعتبر طبقة حاكمة فوقية تستغل المجتمع وتسعى إلى إيجاد مستلزمات قانونية لموأصلة الاستغلال. ولم تكن الإمارة منسجمة تماما مع المجموعات الدينية في سنجار بقدر ما كانت تعبر عن المجموعات الدينية لمناطق الشيخان وباعذرة, وبالتالي فقد كان في مقدور الأمير الضغط على جماعة الشيخان ولم يكن قادرا على فرض إرادته على الجماعات في سنجار.

وكانت الجماعات الأيزيدية تتعرض إلى مضايقات من جانب المسؤولين والسكان المسلمين بصيغ مختلفة, وبخاصة من العشائر القريبة من مناطق سكن الأيزيدية, إذ كان المسؤولون يقفون باستمرار ضد مصالح الأيزيدية وإلى جانب مصالح المسلمين العرب أو الكُرد. وفي عام 1935 حاولت الحكومة فرض قانون الخدمة العسكرية على الأيزيدية أيضاً في إطار تنفيذ "قانون الدفاع الوطني", وبخلاف ما صدر في حينها من قبول الدولة العثمانية بإعفائهم من الخدمة العسكرية مقابل البدل النقدي. ولم يكن الرفض عاما وشاملا, إلا أن مجموعة كبيرة من الأيزيديين بقيادة داود الداود رفضت ذلك. وبدلا من اتخاذ إجراءات سلمية تثقيفية صبورة مع سكان المنطقة تساهم في عملية تنوير ضرورية في المجتمع الأيزيدي الكُردي, عمت الحكومة العراقية, خشية منها من امتداد لهيب الحركة إلى مناطق أخرى, وكانت لتوها قد انتهت من توجيه ضربات شرسة للحركة الآشورية التي اندلعت في عام 1933 بقيادة

---

114 نفس المصدر السابق. ص 40. نشر الدكتور خليل جندي العريضة التي تقدم بها الأمير الأيزيدي سعيد بك ومعه 13 شخصا من رؤساء الأيزيديين إلى الحكومة الملكية العراقية لتشكيل المجلس الروحاني, وهي مؤرخة في 1 تموز/يوليو من عام 1928. ومنها يستدل على أن الرؤساء الذين وقعوا هذه العريضة كانوا من شيخان وباعذرة فقط, ولم يكن بينهم من هو من سنجار. راجع نفس المصدر. وثيقة رقم 1. ص 40.

المار شمعون والتي أطلق عليها ب "ثورة التياريين"[115], استخدام العنف والعسكر لضرب السكان "وتأديبهم!". ولهذا قامت مديرية الشرطة العامة والجيش العراقي, وبإيعاز من وزارة الداخلية وبموافقة الحكومة وبمعرفة بريطانيا, بتنظيم حملة عسكرية واسعة. وجاء في كتاب تاريخ الوزارات العراقية للسيد عبد الرزاق الحسني يقول: "فجردت بعثة قوامها 150 شرطيا خيالا, و400 شرطي من المشاة, مع سبع سيارات مسلحة, ولما ارتؤي تقوية هذه البعثة, تحركت من الموصل في أول تشرين الأول 1935 ثلاث قطعات من الجيش لتجتمع في "معسكر كري عرب", "وهكذا تألفت قوة سنجار بإمرة أمير اللواء حسين فوزي وتم تحشيدها يوم 1935/10/5 في قرية كري عرب وقرية تبة اشكفته", وكان يعزز هذه القوة العسكرية رف من الطائرات العراقية, وكان هدفها "سنجار" فأخذت القوتان مواقعهما الحصينة وطوقت مواقع المتمردين الذين تحصنوا في كهوف وجبال سنجار المعروفة بمناعتها وشموخها ووعورة مسالكها"[116]. ويشير السيد الحسني إلى أن القتال بين الطرفين كان باسلا, رغم التفاوت في عدد القوات والمعدات العسكرية والصنوف التي شاركت فيها والتي كانت في كل الأحوال في غير صالح الأيزيديين وانتهت إلى قتل عدد كبير من الأيزيديين وأسر عدد آخر, إضافة إلى استسلام 224 منهم للقوات الحكومية. وكانت وزارة ياسين الهاشمي هي المسؤولة عن تنظيم هذه الحملة, ولعب وزير الدفاع جعفر العسكري ووزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني دورا بارزا في توجيه هذه الحملة العسكرية الظالمة.

---

115 الحسني, عبد الرزاق. تاريخ الوزارات العراقية. الجزء الثالث. مطبعة دار الكتب. بغداد. 1974.
ص 260-314.
راجع أيضاً: القيسي. عبد المجيد حسيب. هوامش على تاريخ العراق السياسي في رؤية جديدة - تاريخ القضية الآثورية في العراق".
CAN P.O.BOX 3539. Modesto، CA 95352 USA الناشر لم يذكر أسم دار النشر ولا سنة الطبع والنشر، ولكن يبدو من متن المقدمة أنه في عام 1995. ص 52.
راجع أيضاً: فتح الله, جرجيس. رجال ووقائع في الميزان. حوار أجراه ميد طيب وسعيد يحيى. دار ئاراس للطباعة والنشر. أربيل. 2001. ص 250-257.

116 الحسني, عبد الرزاق. تاريخ الوزارات العراقية. الجزء الرابع. مصدر سابق.
ص 152/151.

كما كانوا وراء أحكام الإعدام التي نفذت بحق تسعة منهم وأحكام أخرى صدرت بحق الآخرين من قبل محاكم عسكرية عرفية, إذ خضعت المنطقة في تلك الفترة إلى الأحكام العرفية, وبذلك أوقفت "تنفيذ قانون أصول المحاكمات الجزائية, وقانون إدارة الألوية, وقوانين الجمعيات والاجتماعات والتجمعات, وقانون دعاوى العشائر, وقانون المطبوعات, وقانون انضباط موظفي الدولة, وقانون الخدمة المدنية, وقانون الحكام والقضاة, والقوانين الأخرى بقدر ما لها من المساس بالإجراءات والمحاكمات التي تتطلبها الإدارة العرفية والعسكرية في المناطق المذكورة حسبما يتراءى لآمر المنطقة"[117]. وجاء في تصريحات السيد عمر نظمي متصرف لواء الموصل حينذاك بأن قبائل شمر العربية كانت مستعدة للقيام بغزو مناطق الأيزيدية من أجل السلب والنهب بعد انتهاء القتال مع الجيش العراقي مباشرة, لولا الدور الذي لعبه المتصرف مع الجيش في إبعادهم عن منطقة القتال ومنعهم من القيام بما خططوا له[118]. لقد كانت للحملة العسكرية ضد الأيزيديين آثارها السلبية على المجتمع الكُردي وعلى السكان الأيزيديين على نحو خاص, كما كانت لها أصداء سلبية على الصعيد الدولي, إذ اختلطت الحملة بثلاثة مسائل مهمة هي: العداء للجماعة الدينية الأيزيدية والعداء للأكراد في المنطقة, إضافة إلى الموقف العام من الحركات الشعبية حينذاك التي كانت تواجه بذهنية عسكرية متطرفة, تماما كما حصل بالنسبة لحركة الآشوريين والحركات الفلاحية في مناطق الوسط والجنوب. وكانت الذهنية القومية والعسكرية غير المتفتحة والضيقة والشوفينية والتعصب الديني وراء ممارسة مثل هذه الأساليب في معالجة المشكلات السياسية والقومية والدينية والاجتماعية في العراق حينذاك.[119] ويفترض أن لا ننسى الإشارة إلى أن هذه السياسات العنفية والتعصب القومي والديني كانت جزءا من التراث والتركة الثقيلتين للدولة العثمانية في العراق والتي برزت وتكرست في سلوك الضباط العراقيين الذين تتلمذوا على أيدي الضباط الأتراك من ذوي الذهنية العسكرية والشوفينية المتطرفة وتسلموا زمام الحكم في العراق في أعقاب تشكيل الملكية الدستورية. وتلك السياسات المتشددة تجلت أيضاً

---

117 نفس المصدر السابق. ص 153.

118 نفس المصدر السابق. ص 152. وكذلك الهامس رقم 1 على نفس الصفحة.

119 كان السيد ياسين الهاشمي رئيساً للوزراء والسيد رشيد عالي الكيلاني وزيراً للداخلية والسيد جعفر العسكري وزيراً للدفاع في فترة الحملة العسكرية التي استهدفت الأيزيديين في عام 1933.

في الموقف من حركات سياسية وقومية واجتماعية لاحقة في كردستان العراق أو في المناطق العربية من العراق, مثل حركات البارزانيين وغيرهم من الكُرد والحركات الفلاحية في جنوب العراق ووسطه. ويفترض أن يقارن الإنسان بين ما كانت تمارسه السلطات العثمانية إزاء مثل هذه الحركات الشعبية ذات المطالب العادلة, وبين إجراءات جيل الضباط والسياسيين العراقيين الذين تربوا وتتلمذوا على أيدي المحتل العثماني للعراق وتخرجوا من مدارسها العسكرية في اسطنبول. فوفق المعلومات التي أوردها السيد عبد الرزاق الحسني, وهي معلومات رسمية, غالباً ما كانت تسعى إلى التقليل من أرقام ضحايا الحملات العسكرية, كانت حصيلة المحاكمات على النحو الآتي: "بلغ عدد المحكومين بالإعدام أحد عشر شخصاً, نفذ الحكم في تسعة منهم, وأبدل بعقوبة السجن المؤبد في شخصين, وبلغ عدد الذين حكموا بالسجن لمدد مختلفة 326 نسمة, والذين حكم عليهم بالإبعاد 49 نسمة, والذين حكم عليهم بالسجن الأصلاحي ثلاثة فيكون المجموع العام لعدد المحكومين 389 نسمة. وقد قبض على سبعة أشخاص بعد انتهاء الأحكام العرفية فأرسلوا إلى محاكم الجزاء لإجراء محاكمتهم فيها"[120].

وكان الاضطهاد الذي تتعرض له الجماعة الأيزيدية ناجم عن كونها أقلية دينية ذات ديانة قديمة تعود إلى ماض إنساني وكردي وعراقي قديم جدا وتختلف في ديانتها والتقاليد أو الطقوس التي تمارسها عن المعهود في الديانات الأخرى, وبسبب كونها من القومية الكُردية المضطهدة عموما في العراق من جانب الحكومات العراقية المتعاقبة, إضافة إلى كونها تشكل جزءا من الشعب العراقي الذي كان يعاني من اضطهاد تلك الحكومات الملكية المتعاقبة, أو حتى فيما بعد, أي في ظل الحكم الجمهوري. ولا شك في أن الجماعة الدينية الأيزيدية كانت تتعرض لعدم ارتياح لا من الحكومات فحسب, بل ومن جانب كثرة من سكان الغالبية المسلمة ومن كثرة من جانب الأقلية المسيحية أيضا, بسبب الدعايات التي روجت عنهم والإساءات التي لحقت بهم من خلال ما روجه جملة من

120 الحسني, عبد الرزاق. تاريخ الوزارات العراقية. الجزء الرابع. ط 4 موسعة. مطبعة دار الكتب. بغداد. 1974. ص 155. هامش رقم 1.

رجال الدين وأتباع الديانات الأخرى والمغرضين ضدهم. ولكن لا شك في أن القوى الديمقراطية العراقية, عربية كانت أم كردية أم غيرها, كانت تتفهم المحنة التي كان فيها الأيزيديون, وكانت تناضل مع الأيزيديين في سبيل التمتع بحقوقهم الدينية المشروعة.

المبحث الثاني: الأيزيديون في العهد الجمهوري

ساهمت مجموعات غير قليلة من الأيزيديين في النضال الذي خاضه الشعب العراقي في سبيل حريته واستقلاله وخلاصه من الهيمنة البريطانية والحكم الملكي الإقطاعي الرجعي, كما ساهمت مجموعات غير قليلة في النضال الذي خاضه الشعب الكُردي في سبيل حقوقه القومية العادلة. وسقط لهم شهداء على هذا الطريق. وكان لهم دورهم أيضا في انتصار ثورة تموز عام 1958, كما كانوا ينتظرون منها الإسهام في تغيير أوضاع التخلف في إقليم كردستان عموما وأوضاعهم المزرية والأكثر سوءاً على نحو خاص. ولكن الثورة لم تعجز عن تحقيق تلك الطموحات المشروعة للشعب الكُردي وللأقلية الأيزيدية فحسب, بل دفعت بالمسالة الكُردية وقضايا التخلف في كردستان العراق والحرية الدينية إلى أمام وفرضت على القوى السياسية المختلفة أخذها بنظر الاعتبار, من خلال المعارك التي بدأت في عام 1961 ضد القوى الكُردية في الإقليم, ثم توالت الانقلابات العسكرية. وتحمل الأيزيديون قسطهم الثقيل من جراء وعواقب تلك الانقلابات المتلاحقة التي وقعت في العراق طيلة العهد الجمهوري, كما تحملوا الكثير بسبب السياسات القومية الشوفينية والتعصب الديني التي مارستها قيادات البعث والنظم الدكتاتورية التي توالت منذ نجاح الانقلاب الدموي في العراق في الثامن من شباط عام 1963 منذ أكثر من أربعة عقود.

إن واقع الحياة السياسية للأيزيديين يشير إلى أن مجموعات غير قليلة من الشباب الأيزيدي قد ساهم بشكل فعال وملموس في النضال ضد الحكم الاستبدادي القائم, ولم ينعزل عن نشاط وفعاليات القوى السياسية العراقية والكُردستانية العراقية وفي حركة البيشمركة للأحزاب القومية الكُردية وحركة الأنصار الشيوعيين في كردستان العراق التي ناهضت الحكم الدكتاتوري في سنوات العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين. وقد أحتل العديد من المناضلين الأيزيديين مراكز قيادية في فصائل الأنصار الشيوعيين على المستويين العسكري والسياسي, إلى جانب دورهم في التنظيمات المدنية للحزب الشيوعي العراقي, وكذلك نشاطهم في قوات البيشمركة (الأنصار) الكُردية والتنظيمات السياسية للحزب الديمقراطي الكُردستاني والاتحاد الوطني الكُردستاني وبقية التنظيمات السياسية الكُردية في

كردستان العراق, إذ قدموا نماذج جيدة ومقدامة في النضال الذي كانوا يخوضونه مع رفاقهم وأخوتهم من الكُرد والعرب والتركمان والآشوريين والكلدان والصابئة المندائيين. ولا شك في أن قسماً من هؤلاء الذي شارك في النضال لم يكن منتمياً إلى حزب معين إذ أن الذي المحرك الأساسي في هذا النضال تمثل في وجود النظام الدكتاتوري المناهض لكل ما هو خير وديمقراطي وإنساني في العراق. ومن هنا أيضاً تزايدت معاناة الأيزيديين حيث شردوا من مناطقهم ووضعوا في مستوطنات خاصة أقيمت لهم, كما هو الحال لعدد كبير من السكان الكُرد في إقليم كردستان العراق.

إن الإشكالية المركزية في الموقف القومي الشوفيني والديني المتعصب للحزب الحاكم والحكم القائم في العراق إزاء الأيزيديين الكُرد تكمن في إصرار الحكم البعثي وحزب البعث الحاكم والمستبد صدام حسين على اعتبار:[121]

1. أن الأيزيديين ليسوا أكرادا بل هم من أصل عربي وقطنوا تلك المنطقة منذ القدم, ولذلك فهم عرب**!**؛

2. أنهم من الناحية الدينية ليسوا سوى فرقة من فرق المسلمين الكثيرة التي انشقت عن الإسلام ودخلت عليها الكثير من البدع, وأن عليهم العودة إلى حظيرة الإسلام.

واستنادا إلى هذا الموقف الشوفيني والديني المتعصب والمنافي لحقائق ووقائع وضع الأيزيديين القومي والديني اتخذت الحكومات العراقية البعثية المتعاقبة مجموعة من الإجراءات الظالمة والقاسية بحق الأيزيديين, نشير فيما يلي إلى بعضها, على سبيل المثال لا الحصر:

- إبعاد السكان عن مناطق أراضيهم وممتلكاتهم ودور سكناهم ووضعهم في مجمعات سكنية أقيمت لهذا الغرض؛
- رفض تعليمهم باللغة الكُردية والإصرار على تعليمهم باللغة العربية؛
- إقامة جوامع في المجمعات الجديدة حيث يسكن الأيزيديون, علما بأنهم ليسوا من المسلمين؛

---

121 راجع في هذا الصدد: جندي, خليل د. الأيزيديون في الوضع الراهن. مقالة من 7 صفحات مع مرفقات. نشرت المقالة باللغة الألمانية في مجلة روژ , العدد 4 و5 / أبريل/ نيسان 1998. هانوفر. ص 75-98.

- نزع أسلحتهم كاملة, رغم أن الفلاحين الأيزيديين لا يمكنهم العيش دون سلاح في تلك المناطق الريفية والقرى والمدن الصغيرة حيث ينعدم الأمن والاستقرار وتزداد تحرشات المسلمين المتطرفين بهم عموما وبالنساء بشكل خاص؛
- الإكثار من الجواسيس والعيون التي تراقب تحركات الأيزيديين, إضافة إلى فرض انتماء الناس إلى الحزب الحاكم قسرا.
- اعتقال مستمر لعدد غير قليل من أبناء الأيزيديين بحجج كثيرة بما فيها العمل في صفوف البيشمركة أو الأنصار الشيوعيين حينذاك أو الانتماء للأحزاب المعارضة العراقية أو رفض الانتماء إلى صفوف حزب البعث الحاكم أو إلى منظماته "المهنية".
- وضع جمهرة عوائل الأيزيديين تحت الضغط المستمر من أجل ابتزاز بعض بنات وأبناء تلك العوائل لتحويلهم إلى وكلاء يعملون في صفوف القوى السياسية المعارضة لصالحهم. وأن رفض هؤلاء أو هربوا إلى مواقع أخرى فأن عوائلهم هي التي ستعاني من المحاربة بالرزق والسجن والتعذيب والتنكيل المتنوع أو حتى القيام بعمليات القتل ضد بعض أو جميع أفراد العائلة. ولم تقتصر هذه الظاهرة على عوائل الأيزيدية بل شملت العوائل المسيحية والمسلمة في مختلف مناطق العراق.

ويشير الدكتور خليل جندي إلى موضوع الإسكان القسري في المجمعات السكنية في مقالته المذكورة سابقا فيقول: "بعد فشل الحركة القومية الكُردية المسلحة عام 1975 وبالضبط في 1975/5/9 أصدرت الحكومة العراقية أمرا بترحيل جميع سكان القرى الأيزيدية في منطقة سنجار والبالغ عددها أكثر من (160) مائة وستين قرية وجمعها بشكل قسري في (12)أثني عشر مجمعاً سكنياً, سبعة منها في شمال سنجار و(5) الخمسة الباقية في جنوب الجبل, علماً بأن السلطة البعثية وضمن سياسة التعريب (صهر القوميات غير العربية وإسكان العرب في مواقع سكناهم), إذ سميت المجمعات الأيزيدية بأسماء عربية..., هذا إضافة إلى مركز قضاء سنجار حيث رحل الأيزيديون منه قسرا إلى الشمال والجنوب"[122].

وفي بداية عام 1975 ارتكب الحكم البعثي جريمة كبيرة راح ضحيتها 1000 طفل من أطفال الأيزيديين بسبب الظروف المناخية القاسية بعد أن قامت أجهزة الحكم بتهديم قرى الفلاحين وطمر عيون المياه الجوفية والآبار ودفعوا بالسكان إلى أراض جرداء قاحلة

---

122 نفس المصدر السابق. ص 2.

للانتقام غير المبرر منهم, بسبب مشاركة البعض منهم في الحركة المسلحة الكُردية أو خشية مشاركتهم فيها[123].

وجريا مع الادعاء الشوفيني القائل بأن أصل الأيزيديين عربي وإسلامي أموي أيضا, عمد الحكم إلى فتح مكتب سمي بالمكتب الأموي في بغداد يهتم بشؤون الأيزيديين بالرغم منهم. وبعد كل هذا وذاك اتخذ الحكم الاستبدادي العراقي في يناير/ كانون الثاني من عام 1995 قرارا يقضي بترحيل أهالي قضاء سنجار إلى الحضر قرب الموصل لتأمين تعريبهم وتحويلهم عن دينهم نحو الإسلام والقضاء على هويتهم الكُردية الأيزيدية بعيدا عن كل القيم والمعايير الواردة في لائحة حقوق الإنسان التي اعترف بها ووقع عليها العراق, وكذلك ضد بنود القانون الأساسي العراقي الأول[124].

ولم تكن الإجراءات التي اتخذت ضد الأيزيديين مقتصرة على أهالي سنجار فحسب, بل شملت أهالي الشيخان أيضا. فقد قامت وفي فترات مختلفة وابتداء من عام 1975 بترحيل سكان الكثير من القرى الأيزيدية في منطقة الشيخان وأسكناهم في مجمعات خاصة بنيت لهذا الغرض. ولم يكتف الحكم بذلك, بل أصدر مجلس قيادة الثورة قرارا برقم 358 في 16 آذار 1978 يقضي بمصادرة جميع الأراضي العائدة للأيزيديين في منطقة الشيخان وتوزيعها على العرب فيها[125] بعد أن رحلوا عنها عنوة أيضاً. ولا شك في أن العرب قد رحلوا إليها عنوة أيضاً.

وما تزال طرية أحداث الأنفال التي نفذها الحكم العراقي ضد بنات وأبناء الشعب الكُردي حيث راح ضحيتها عشرات ألوف الناس الأبرياء, حيث تتراوح التقديرات بين 100000-180000 نسمة ماتوا بسبب تلك العمليات العسكرية. ورغم استسلام الكثير من السكان الكُرد إلى الحكومة العراقية, فأنها قامت بقتل الغالبية العظمى من هؤلاء الناس. وكان بينهم حسب المعلومات التي يشير إليها الأيزيديون 235 شخصا أيزيديا, غالبيتهم الساحقة من الأطفال والنساء والشيوخ المسنين, ولم يعرف مصيرهم حتى الآن, رغم أن الدلائل تشير إلى موتهم على أيدي الذين قاموا بتنفيذ جريمة الأنفال البشعة[126].

---

123 نفس المصدر السابق. ص 3.

124 نفس المصدر السابق. ص 4.

125 نفس المصدر السابق. ص 5.

126 نفس المصدر. ص 5.

إن الاضطهاد السياسي والديني من جهة, والإرهاب الدموي ضد الشعب الكُردي, وعمليات التعريب القسرية والإسكان القسري في مجمعات بعيدة عن مناطق الأيزيديين وعن أماكنهم المقدسة من جهة ثانية, والتخلف العام الذي يواجه المنطقة وسكانها بشكل عام من جهة ثالثة, دفع بأعداد متزايدة منهم, من النساء والرجال, أو عوائل بكاملها إلى ترك العراق والهجرة إلى البلدان الأوربية وغيرها حيثما أمكن للحصول على منطقة أكثر أمنا وسلاما لهم. ولهذا فقد ازداد عدد الأيزيديين الذين تركوا العراق خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين وبلغ أكثر من 60 ألف إنسان يقيمون في مختلف أنحاء أوربا وفي أمريكا واستراليا. ويقدر عدد الأيزيديين في ألمانيا وحدها بحوالي 35 ألف إنسان. ويفترض أن لا ينسى الإنسان بأن الأيزيديين الذين يقطنون أوربا لا ينحدرون من العراق وحدها, بل من تركيا وسوريا أيضا. ويجب أن نشير هنا إلى أن بقايا الأيزيديين من سكان تركيا قد عانوا الأمرين في العقدين المنصرمين على نحو خاص, حتى أضطر أغلبهم إلى ترك موطنه والهجرة إلى أوربا . حيث يقال أن عدد المتبقين منهم ضئيل جدا, وهي نتيجة منطقية للسياسات الشوفينية والدينية المتعصبة التي تمارسها الطغمة العسكرية الحاكمة عملياً في تركيا, رغم وجود مجلس نيابي وحكومة مدنية, إذ أن السلطة الفعلية بيد الجيش.

المبحث الثالث

أوضاع المرأة في المجتمع الكردي الأيزيدي

تواجه المرأة في المجتمع الأيزيدي الكردي أوضاعاً مماثلة للمرأة الكردية المسلمة, وفي بعض جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية, إضافة إلى العلاقات في إطار العائلة ومع المؤسسة الدينية. ورغم تعدد الأديان والمذاهب والقوميات, فأن المشكلات التي كانت وما تزال تعاني منها المرأة العراقية هي في جوهرها واحدة وتمس جميع النساء, فأوضاع المرأة الأيزيدية لا تختلف بكثير أو قليل من حيث الجوهر عن أوضاع المرأة المسلمة أو المسيحية أو اليهودية قبل ذاك حين كان اليهود يعيشون في العراق وفي كردستان العراق حتى منتصف الخمسينات من القرن الماضي. فالمرأة الأيزيدية كانت تعيش مثل بقية النساء العراقيات في مجتمع ذكوري تام لا مكان للمرأة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية أو العسكرية. فالمرأة, بالنسبة للذاكرة الجمعية في المجتمع العراقي, إنسان ناقصة العقل والقدرة على إنجاز واجبات المواطنة كالرجل. وقد سادت هذه الحالة لمئات وآلاف السنين الخوالي.

ومنذ فترة وجيزة, وبالتحديد في أعقاب ثورة تموز في العام 1958 برزت إمكانية انخراط البنات الأيزيدية في المدارس الابتدائية, كما بدأ قبل ذاك بفترة غير طويلة تعلم الأولاد أيضا, إذ كانت المؤسسة الدينية, وليس الدين الأيزيدي السمح, يحرم على الأيزيديين تعلم القراءة والكتابة, والبدء بتثقيف الذات وتطوير معارف الإنسان الأيزيدي والخروج من دائرة المحرمات.

وفي الوقت الذي حرمت المرأة الأيزيدية من كل حقوقها سابقاً, والكثير من حقوقها حالياً, يثقل عليها بأعباء كثيرة, بواجبات والتزامات ثقيلة دون أن يحس الرجل بالعبء الذي يضعه على عاتق أمه وزوجته وابنته وأخته وعمته وخالته أو على جميع النساء. إنها لمشكلة محيرة هذا الموقف الظالم للرجل إزاء المرأة لا في المؤسسة الدينية الأيزيدية فحسب, بل في جميع

المؤسسات في الأديان الأخرى التي يهيمن عليها الرجل دون المرأة وفي ظل علاقات المجتمع الإقطاعي المتخلف. إنها المحنة التي تواجه المرأة والتي يفترض أن تتصدى لها وتعالجها. وإزاء هذا الواقع, ورغم التحسن النسبي البسيط الذي تمر به المرأة الكردستانية, فأن واجبات المرأة الأيزيدية كثيرة جداً وأثقل بكثير من واجبات الرجل. فما هي الواجبات اليومية التي تتحملها المرأة الأيزيدية؟

كل الدلائل التي تحت تصرفنا تشير إلى أن المرأة الأيزيدية تمارس الأعمال التالية:

- حضانة وتربية الأطفال في البيت.
- الطبخ وغسل الأوعية وتنظيف الدار وخياطة الملابس وغسلها وكل ما يمت للعمل المنزلي بصلة, بما في ذلك وأحياناً غير قليلة التسوق.
- العمل في الحقل في مواسم الحصاد أو في مواسم جني الزيتون أو قطف الفواكه أو في العمليات الزراعية الأخرى, إضافة إلى تربية الدواجن ورعي الماشية وجمع الأحطاب وصنع الخبز في البيت وتحضير الماء وعصر الزيتون وخزنه.
- المشاركة الواسعة في التهيئة للأعياد والمناسبات المختلفة والطبخ في معبد لالش بالنسبة للمرأة التي تعمل في المعبد دون أن تكون لها وظيفة دينية معينة, بل عليها الكد في المعبد كغسل وتنظيف المعبد وتهيئة الطعام وطبخ الحنطة وتحضير الماء وزيت الزيتون وخزنه وتنقيع فتائل القطن بالزيت لأغراض الإضاءة وتوزيعها في العيد وإنارة وإطفاء المصابيح.
- لا تحتل المرأة مكانة مرموقة في المجتمع الأيزيدي, بل هي مساوية لبقية النسوة في العراق, وإذا كان لهن الحق في العمل , كما كان عليه الحال في بابل, إلا أن موقع المرأة في المعابد البابلية كان أفضل من موقعها في المعبد الأيزيدي, فهي لا تحمل أي لقب ديني, بل من واجبها تنظيف وخدمة رجال الدين والزائرين في المعبد لا غير. والمرأة الأيزيدية الكاهنة لا يحق لها الزواج, كما لا يحق للكاهن, وأعني به هنا بابا جاويش, الزواج أيضاً. وهم في ذلك اقرب إلى المذهب الكاثوليكي في الديانة المسيحية.
- تتعرض المرأة الأيزيدية, كما تتعرض المرأة في باقي أنحاء العراق, إلى الكثير من العادات والتقاليد الجمعية في المجتمع العراقي, فهي, من حيث المبدأ وبالنسبة للذكور, وكأنها ولدت لأغراض ممارسة الجنس معها ولعملية إعادة إنتاج البشر, أي للتوليد. ووهي بهذا

وسيلة ترفيه وسعادة الرجل ووسيلة إنتاج البشر لا غير. وهو أمر مخالف لطبيعتها الإنسانية وكونها مساوية للرجل في كل شيء, ويفترض أن تكون كذلك.

- المرأة الأيزيدية تعاني من الاختطاف والانتقام والثأر وغسل العار واستعادة الشرف وما إلى لك من عادات وتقاليد بالية ما تزال سارية في العراق كله.
- ورغم أن النساء عموماً يعانين من الوضع الاجتماعي المتخلف السائد في المجتمع الأيزيدي, إلا أن الفارق بين المستويات الترابية المختلفة يجد تجلياته في العلاقات ما بين النسوة من هذه المراتب الدينية المختلفة أولاً, وبين الفقيرات والغنيات منهن ثانياً, وفي ما بين المرأة الأيزيدية والمسلمة ثالثاً, وهو ما يفترض الكفاح ضده.
- والمشكلة الأكثر بروزاً في المجتمع الأيزيدي تتجلى في الموقف من تحريم الزواج بين الجماعات التراتبية الدينية والاجتماعية المختلفة. فمن لا يستطيع الزواج, أو لا يجد في جماعته الدينية والاجتماعية من يتزوجها, لا يتزوج أبداً, والعكس بالنسبة للمرأة صحيح أيضاً. وهو أمر لا بد من التفكير في سبل تجاوزه والعالم على أعتاب القرن الحادي والعشرين والحضارة البشرية في تقدم مستمر والأديان تتلاقح في ما بينها وتصبح أكثر تسامحاً في ما يخص الكثير من القواعد والعقائد الموروثة. وبالتالي لا بد من معالجة هذه المسالة داخل أتباع الديانة الواحدة, خاصة وأن أحد مفكري ومثقفي الديانة الأيزيدية, الأستاذ شمدين خدر, يؤكد بأن في الديانة الأيزيدية مجال للتجديد والتطوير والإغناء.

يفترض ان تتصدى المرأة الأيزيدية للواقع الذي تعيش فيه, وأن تعمل على تجاوز الصعاب التي تضعها المؤسسة الدينية وليس الدين ذاته, والرجال بشكل خاص, في طريق تحرير المرأة من عبودية الرجل وهيمنته التامة وتسخيره المرأة لصالحه لا غير.

أن المرأة الأيزيدية, وكذا المرأة الكردية والعراقية عموماً, يفترض أن تشق طريقها في التعليم وموأصلته إلى الدراسات العليا والمهنية والفنية, وإلى وظائف الدولة والعمل في القطاع الخاص, الإنتاجي والخدمي, وفي مختلف القطاعات الاقتصادية كالصناعة والزراعة الحديثة والتجارة والنقل والخدمات, بما فيها الاتصالات, وغيرها.

إن المرأة الأيزيدية تحتاج إلى تحررها وإلى تنوير ديني واجتماعي كالرجل, لتتيقن من أن الدين لا يقف حجر عثرة في طريق تعلمها وتثقفها وتطوير معارفها, كما لا يقف في طريق رقيها وسعادتها, ولكن عليها أن تأخذ أمر تحريرها بيديها, إذ أن الرجل ما يزال يعاني من تحرره بالذات, فلو كان الرجل حراً لما استعبد المرأة بأي حال.

إن نضال المرأة الأيزيدية يفترض أن يرتبط بنضال المرأة الكُردية والعربية والكلد آشورية والتركمانية على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية, فهو الدرب الذي يحقق أمل المرأة في التحرر من عبودية المجتمع والذكور على نحو خاص, والذي سيساعد على ضمان وحدتها لانتزاع حقوقها المشروعة والعادلة والمغتصبة منها منذ قرون وقرون.

إن نضال المرأة الأيزيدية في سبيل التخلص من بقايا عبودية المرأة في فترة الإقطاع لا يتعارض بأي حال مع أسس ومبادئ الديانة الأيزيدية التي تميل في عباداتها نحو الطبيعة, نحو الحياة الحرة والحرية الفردية, نحو الشمس والسماء, نحو الإنسان سواء أكان امرأة أم رجلا. ولهذا يفترض أن لا تقع المرأة الأيزيدية في فخ الخديعة الشائعة والقائلة: أن الديانة الأيزيدية, أو أي ديانة أخرى, تسلب المرأة حقوقها, فحقوقها مسلوبة من المجتمع والنظام الاجتماعي والذكور ومن المؤسسة الدينية أولاً وقبل كل شي.

أين يفترض أن يتوجه نضال المرأة؟ أدرك صعوبة الخوض في هذا المجال, ولكن أدرك أيضاً أهمية خوضه, لأنه الطريق الوحيد للمشاركة في عملية تنوير المرأة العراقية, سواء أكانت أيزيدية أم مسلمة أم مسيحية أم صابئية مندائية, وسواء أكانت عربية أم كردية أم كلدانية آشورية أم تركمانية. ولهذا يفترض أن تناضل المرأة في العراق عموماً وفي كردستان في سبيل:

- تطبيق مبادئ الدستور العراقي الذي تضمن جملة من المبادئ التي يمكن الاستفادة منها لتحقيق مصالح المرأة, خاصة تأكيده على عدم وضع قوانين تتعارض مع حقق الإنسان, والمرأة مشمولة بجميع حقوق الإنسان في ضوء اللائحة الدولية لحقوق الإنسان والعهود والمواثيق الأخرى الصادرة عن الأمم المتحدة وعن المنظمات الحقوقية الدولية والإقليمية والعراقية الخاصة بحقوق الإنسان. كما يفترض أن يتجنب الدستور الكردستاني المطبات والتناقضات والضبابية التي نجدها في الدستور العراقي الجديد, بسبب وجود رؤية أكثر وضوحاً وعلمانية في كردستان إزاء الكثير من القضايا الأساسية وخاصة في الموقف من المرأة رغم عدم تجلي ذلك في الحياة السياسية وفي قيادات الأحزاب والمناصب العليا للإقليم والوزارات والمناصب الحكومية المختلفة.
- المطالبة بحق المرأة في تحديد نسبة تصل إلى 50 % من القبول في الجامعات والكليات والمعاهد وفي جيمع مجالات العمل في حالة توفر العدد الضروري من النساء

للتقديم, خاصة وأن المرأة قد خسرت الكثير من الحقوق والفرص, كما أنها لا تزال غير متمتعة بالكثير من الحقوق الأساسية وفرص العمل حتى الآن.

- دعم نضال المرأة في سبيل الاستقلال الاقتصادي وحقها في المشاركة في جميع النشاطات الاقتصادية والاجتماعية.
- دعم نضال المرأة في سبيل اعتلاء جميع المناصب والمراكز في الدولة والمجتمع, ومنها وزارة الخارجية والسلك الدبلوماسي ووزارة الداخلية والأمن الوطني والتعليم والنقابات والمنظمات غير الحكومية والتدريس في الجامعات والعمل في القضاء وفي أعلى مستوياته وعدم الاكتفاء بقول ذلك بل بتنفيذه.
- رفض وتحريم التمييز بين المرأة العراقية أياً كانت قوميتها أو دينها أو مذهبها أو اتجاه تفكيرها ومواقفها السياسية, وسن القوانين بهذا الصدد والمعاقبة على مرتكبي التمييز.
- ويفترض أن تتمتع المرأة بحقها الكامل في الزواج والطلاق وحضانة الأطفال إلى سن 18 سنة, ومسؤولية الأم في إعاشة الأطفال مالياً إلى سن الثامنة عشر.
- ويفترض التحريم المطلق لعمليات الاختطاف لفرض الزواج على المرأة أو قتلها لأخذ الثأر وما يسمى بغسل الشرف ولأي سبب آخر, وسن القوانين الضرورية وإنزال أشد العقوبات بمرتكبي تلك الجرائم.
- النضال من أجل حق بنات وأبناء الأيزيدية الزواج بغض النظر عن التراتبية الاجتماعية التي فرضتها المؤسسة الدينية وليس الدين ذاته. وأملي أن يلقى هذا المطلب عناية ودعم المثقفين الكرد الذين يدركون سلبيات مثل هذا الوضع القائم حالياً, فليس هناك تمييز بين البشر والموافقة على استمرار ذلك مخالف لمبادئ حقوق الإنسان. إن مبادئ حقوق الإنسان سلة متكاملة من الحقوق والواجبات ولا يجوز قبول بعضها ورفض البعض الآخر. وبالتالي فمن واجب من يناضل من أجل حقوق الإنسان أن يساند هذا المطلب أيضاً ويناضل من أجله.

الخاتمة

تؤكد جملة من المصادر التاريخية التي تبحث في أصل الديانة الأيزيدية أو الديانات القديمة عموماً إلى أن هذه الديانة تعتبر من بين أقدم الديانات التي ظهرت في العراق وإيران أو في الشرق عموماً. وتتجلى أو تلتقي في هذه الديانة طقوس وشعائر وتقاليد غير قليلة لأديان قديمة وأخرى "سماوية" حديثة نسبياً, بحيث أصبحت وكأنها الوعاء الذي استوعب الطارئ وأخذ به دون أن يغير من جوهر الديانة الأساسي, من علاقته بتصورات ومخاوف ورغبات الإنسان القديمة إزاء الطبيعة وظواهرها وعلاقته بها. والعهود المديدة التي مرت على هذه الديانة قد فرضت عليها تحت وطأة عوامل كثيرة جدا أن تأخذ ببعض تقاليد وطقوس الأديان الأخرى, وأن تدخل تحويرات على بعضها أو تتوقف عن أداء بعضها ولكنها لم تتخل عن طقوسها الأساسية. وقد عانى الأيزيديون لا من ضغط كهنة وأتباع الديانات الأخرى فحسب, بل ومن إرهاب العديد من أتباع الديانات الأخرى, سواء كانت غير سماوية, أم سماوية, لأسباب عديدة, في مقدمتها الاعتقاد بامتلاك الحقيقة المطلقة من هذه المجموعة أو تلك, وأن البقية كل البقية على خطأ كبير, وبالتالي ما ينشأ عن ذلك من إصرار على "الأنا" وعدم اعتراف بالآخر أو رفض له, ثم يتحول ذلك إلى خلافات حادة وصراعات ونزاعات دموية تقود إلى مظالم غير قليلة تتراكم مع الزمن ويصعب إزالتها من ذاكرة الإنسان المتوارثة, من ميثولوجيا هذه المجموعة البشرية أو تلك.

مرّت على العراق عبر تاريخه الطويل الكثير من القبائل والشعوب والأقوام التي حطّت فيه واستوطنته وتفاعلت مع سكانه الأصليين وتركت بصماتها على عاداته وتقاليده وتراثه وثقافته ومجمل حضارته, سواء تلك التي استمرت في إقامتها فيه أو التي غادرته ثانية, وسواء تلك التي حافظت على هويتها التي جاءت بها أو تلك التي اندمجت بالمجتمع المتنوع الذي أقام فيه وأغنته بما جاءت به. والعراق اليوم الذي هو حصيلة هذا الماضي الطويل تعيش فيه مجموعات بشرية ذات انتماءات وارتباطات قومية وثقافية ودينية متعددة تضيف إليه الكثير من جماليات التنوع في الطبيعة ذاتها, حاضنة الإنسان, وتسمح له بمزيد من التفاعل والتأثير المتبادل والاغتناء المستمر, ولكنها تترك على أرض الواقع

عبء خلافات وصراعات ونزاعات الماضي أيضاً التي يفترض أن يعمل الإنسان الحديث على إزالتها والعودة إلى ما هو إنساني فيه. وهذا لا يعني خلق مجتمع دون اختلافات وخلافات وتناقضات وصراعات ونزاعات, إذ لا يمكن أن نحلم بمجتمع دون تناقضات, بل الإمكانية ستكون متاحة لخلق آليات ديمقراطية لحل تلك الخلافات قبل أو حتى عند وصولها إلى درجة النزاعات بين المجموعات البشرية القاطنة فيه أو الجديدة التي ستقدم إليه. وهو ما يفترض أن نسعى إليه, رغم الليل المظلم, النفق المعتم الطويل, الذي يعيش فيه ويقطعه العراق في المرحلة الراهنة في ظل الاستبداد الذي تجاوز كل أشكال الاستبداد المنصرمة التي عرفها هذا البلد في تاريخه الطويل. وإذ كانت الأديان قد نشأت في رأس الإنسان, في تصوراته وفكره, لتساعده في التغلب على مخاوفه ومشكلاته وزيادة أوجه أمنه واستقراره وإشباع حاجاته اليومية, فإنها, وفي فترات مختلفة وطويلة, استغلت أيضاً في غير صالح الإنسان واستخدمت كأداة في الصراعات في ما بين المجموعات البشرية. وهكذا عانت الكثير من الجماعات البشرية, لا في العراق وحده, بل في سائر أرجاء العالم, بسبب دينها أو قوميتها أو عاداتها وتقاليدها وطقوسها, أو بسبب شكلها وشعر رأسها ولون بشرتها, أو بسبب لغتها, أو ما في أرضها من موارد أولية غنية كانت مطمعاً للأقوياء والمستعمرين ... الخ. ولم ينته هذا الألم الذي تعاني منه الكثير من الشعوب, بل ما يزال مستمراً للكثير منها حتى الوقت الحاضر وسيبقى لفترة قادمة أيضاً حتى تتغير الكثير من أسس المجتمعات التي نعيش ومن الأحكام المسبقة والتصورات الخاطئة إزاء الأخر والتصور الخاطئ بامتلاك الحقيقة كلها دون الآخرين. وقد كانت المجموعة البشرية الأيزيدية من تلك المجموعات البشرية التي عانت كثيرا بسبب دينها, إضافة إلى معاناتها بسبب القومية الكُردية التي تنتمي إليها.

وإذا كان أتباع الديانة الأيزيدية كافة, ومهما كانت مواقعهم التراتبية أو الطبقية, قد عانوا من التمييز العنصري والديني من جهات مختلفةً, فأن الكادحين منهم على نحو خاص كانوا وما زالوا يعانون لا من ظلم واضطهاد أتباع الديانات الأخرى فحسب, بل وكذلك من أتباع نفس الجماعة الأيزيدية بسبب تباين التراتبية الاجتماعية-الدينية المفروضة على المجتمع الأيزيدي, أي من الفئة المهيمنة على المجتمع دينياً ودنيوياً. وهي مسألة, كما تبدو للباحث, لا تنفرد بها, أو لا تقتصر على الجماعة الدينية الأيزيدية وحدها, بل

تشاركها جماعات دينية أخرى غير قليلة, بسبب علاقات الإنتاج السائدة في المجتمع العراقي.

إن الجماعات المتنورة في المجتمع الأيزيدي التي كانت وما تزال تلعب دورا مهماً في عملية التنوير والتثقيف العام لإخراج المجتمع من عزلته ومن الإشكاليات التي يعاني منها, بحاجة إلى التحري بعمق عن الكيفية التي يمكن بموجبها التخلص من الظواهر السلبية التي كانت وما تزال تعاني منها الجماعة الدينية الأيزيدية في العراق. ونشير في أدناه إلى بعض ابرز القضايا التي يفترض أن تكون مدار حوار في المجتمع الأيزيدي, إذ ستكون لمعالجتها نتائج إيجابية على الأيزيديين جميعاً:

- إثارة الحوار حول إشكالية التنوير الديني التي يفترض أن تمارس على الديانة الأيزيدية في المجتمع الأيزيدي, إذ إنها تعتبر من الحاجات الماسة لجميع الأديان التي لم تمر بعد بمثل هذه العملية التنويرية المطلوبة التي مرت بها أوروبا منذ قرون.
- ويفترض أن تمس العملية التنويرية مسألة الفصل بين الدين والدولة أو بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية, وكذلك دور المرأة في المجتمع الأيزيدي.
- التحرر من جملة من الأوهام والخرافات والأساطير غير المجدية والمضرة التي رافقت تطور الديانة والمجتمع الأيزيديين وعلقت بهما وتعيق تطور المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وحضارياً.
- إثارة الحوار الدؤوب والمسؤول من أجل التخلص من التراتبية الاجتماعية (الطبقية الدينية والدنيوية) الراهنة التي فرضت نفسها على المجتمع الأيزيدي منذ قرون, والتي لم تنفصل عن السلطة أو القوة الاقتصادية التي كانت وما تزال الفئات المالكة لوسائل الإنتاج والسلطة ممارستها في المجتمع الأيزيدي.
- التخلص من بقايا العلاقات الأبوية البالية وإحلال الجديد من العلاقات الاجتماعية في المجتمع. إلا أن هذه المسألة لا تنفصل بأي حال عن العلاقات القائمة في المجتمع الكُردي خصوصاً والمجتمع العراقي بشكل عام. وهذا يتطلب وحدة النضال ضد العلاقات الأبوية والإقطاعية السائدة في المجتمع العراقي والتي كرّسها النظام العراقي المخلوع ولم تستطع الحكومات الكُردية في الإقليم والحكومة العراقية الجديدة, التخلص منها, إذ إنها ما تزال هي السائدة. ويتمنى الإنسان بعد تشكيل حكومة الوحدة

الوطنية في إقليم كردستان وحكومة الوحدة الوطنية في العراق أن تتحرك هذه المسائل وتعالج لصالح الإنسان العراقي ومستقبله المشرق المنشود

- العمل من أجل البحث الدائم والدؤوب في التراث الثقافي والحضاري للمجتمع الأيزيدي ضمن إطار المجتمع الكُردي والعراقي, أو ما هو مستقل ومتميز عنهما من أجل مساعدة المجتمع على السير بخطوات قوية نحو الديمقراطية والتقدم الاجتماعي والتخلص من أعباء الماضي السلبية. إن الانفتاح على العالم الجديد في ظل العولمة الموضوعية التي تعيشها البشرية, وهي التي تفرض على الأيزيديين أن يجدوا لهم مكاناً في هذا العالم الجديد بعيدا عن التقوقع والانعزال. إذ لم يعد ممكناً ولا متماشياً مع العالم الجديد تلك التقاليد التي تفرض على الإنسان الابتعاد عن الزواج بامرأة أو رجل من شعب أو دين آخر, بل حتى من نساء ورجال الأيزيديين بسبب كونهم ينحدرون من عوائل معينة أو تراتبية معينة. إن هذه الظاهرة ذات المضمون الإثني الضيق هي التي يمكن أن تنشط أفكاراً عديدة عند الآخرين بما فيها تصور العنصرية والتمييز العنصري والديني الذي يفترض أن لا يسود في المجتمعات الحديثة بغض النظر عن الدين الذي يؤمن به هذا الإنسان أو ذاك.
- إن أتباع الديانة الأيزيدية وهم يناضلون من أجل التمتع بحقوق الإنسان كاملة غير منقوصة, كما هي واردة في شرعة حقوق الإنسان, أي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية, بما فيها الدينية, يفترض أن يناضلوا أيضاً من أجل أن يتمتع أتباع الديانة الأيزيدية ذاتها بحقوقهم المشروعة وأن يمارسوها في إطار مجتمعهم ذاته ولصالح أفراده. فحقوق الإنسان أخذ وعطاء, إنها شارع بمسارين ولا يمكن أن يكون مفتوحا من جانب ومسدودا من جانب آخر. ويشمل هذا الموقف مختلف الجوانب التي يفترض في الإنسان الأيزيدي أن يفكر بها لصالح تطوره وتطور المجتمع الذي يعيش فيه. ولا شك في أن إشكالية حقوق الإنسان لا تقتصر على أتباع الديانة الأيزيدية فحسب, بل تمس أيضاً أتباع بقية الديانات التي ترى أن من حقها أن تأخذ من حقوق الإنسان ما تريد وترفض ما تريد بحجة الخصائص المميزة لدينها وشعبها, في حين أن لحقوق الإنسان طابع إنساني شمولي وعام في آن واحد. وقد تجلى التباين في وجهات النظر حول الموقف من حقوق الإنسان في المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان الذي عقد في حزيران/يونيو من عام 1993 في العاصمة النمساوية, فيينا. وقد تبلور

الاختلاف في العديد من النقاط, ولكن على نحو خاص في الموضوع من المرأة ومن الدين على سبيل المثال لا الحصر. وقد برز هذا بشكل واضح في مواقف العديد من الدول الإسلامية وكذلك في تصورات أصحاب الديانات والفلسفات القديمة في الهند والصين وفي غيرها من بلدان العالم.

الملاحق

ملحق رقم 1: التمييز ضد أتباع الأديان الأخرى في العراق

تعرض المسيحيون, وكذا اليهود, وهم أهل كتاب ومن أهل الذمة, في فترات مختلفة إلى التمييز والمعاملة القاسية وإلى اضطهاد وتعسف كبيرين على أيدي الحكام المسلمين. وكان الموقف من أهل الذمة متبايناً وفق فترات الحكم وسياسة وسلوك الخلفاء. كما كان موقع الوزير الأول أو أمير الأمراء أو السلطان يلعب دوراً مهماً, وفي أحيانٍ كثيرة أساسياً, في الموقف من أهل الذمة. فمع تمتع الغالبية العظمى من أتباع الديانة المسيحية أو اليهودية أو الصابئة بحرية الدين والعبادة, فأن ظاهرة التمييز الديني بين المسلمين وبقية السكان من أصحاب الديانات الأخرى كانت ملموسة جدا ومضرة بالعلاقات الاجتماعية ومؤذية لهؤلاء الناس وغير عادلة أساساً. وكان التمييز الديني ضد أهل الذمة أو غيرهم ممن لم تدخل ديانتهم ضمن ديانات أهل كتاب, أي أن المسلمين رفضوا الاعتراف بهم على أنهم من أهل الذمة, مثل الديانة الأيزيدية, بل اعتبروهم من المسلمين المرتدين مثلاً, يظهر صارخا ومقرفا في عدد من الأمور, منها على سبيل المثال لا الحصر:

- إلزام غير المسلمين بارتداء أزياء خاصة لتمييزهم عن المسلمين. ففي سنة خمس وثلاثين ومائتين هجرية أصدر الخليفة العباسي المتوكل (847-861 ميلادية), كما جاء في كتاب "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لمؤلفه أبي الفلا عبد الحي ابن العماد الحنبلي, أمرا يقضي بهذا التمييز في الملبس حيث كتب ما يلي: "... أمر المتوكل بأخذ أهل الذمة بلبس الطيالس العسلية والزنانير وترك ركوب السروج ونهي أن يستعان بهم في الدواوين وان يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين ولا يعلمهم مسلم"[127]. ثم يسجل نفس الكاتب عن "سنة تسع وثلاثين ومائتين فيها على ما قاله في الشذور أخذ المتوكل أهل الذمة بلبس رقعتين

---

127 أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب, الجزء الثاني, دار أحياء التراث العربي, بيروت
ص 82

عسليتين على الأقبية والدراريع وان يضع النساء مقانعهن عسليات وان يقتصروا على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين"[128]. وفي السنة اللاحقة فرض المتوكل أمرا جديدا يقضي, كما جاء في نفس المصدر بأن على "أهل الذمة بتعليم أولادهم العبرانية والسريانية ومنعوا من العربية ونادى المنادي بذلك فأسلم منهم خلق كبير"[129]؛

- منعهم من ارتياد محلات معينة والسماح لهم بارتياد محلات محددة فقط؛

- إلزامهم بواجبات معينة أو حرمانهم من بعض الواجبات, مثل الاشتراك في الجهاد والحصول على سهم في الغنائم, إضافة إلى فرض دفع الخراج والجزية عليهم, وهما في جوهرهما إتاوتين يهدف منهما التمييز بين الذمي الحر والمسلم الحر.[130] وجدير بالإشارة إلى أن دافعي هاتين الإتاوتين كانوا لا يتمتعون بمردودهما بل يتمتع بها المسلمون فقط . ومن هنا يأتي رفض احمد صادق سعد اعتبارهما ضريبتين على الأرض والرأس[131]. لقد فقد أتباع الديانات الأخرى الكثير من الحقوق الأساسية التي يفترض أن يتمتع بها كل الذين ولدوا في الدولة العباسية أو جاءوا غليها وأصبحوا من رعاياها, وفق تعابير تلك الفترة. فعلى جميع الناس واجبات كما لهم حقوق, في حين أنها كانت في الحالتين منقوصة أو مسلوبة. وممارسة مثل هذه السياسة تعتبر إساءة كبيرة للإنسان وحقوقه المشروعة وتمييزا مصحوبا بالتعصب لدين معين ضد الأديان الأخرى أو حتى الإثنية دون أخرى. وأصبح هذا الواقع غير الطبيعي أحد العوامل الأساسية في ضعف الدولة العباسية.

ورغم ما يملكه الدكتور عبد العزيز الدوري من حس مرهف للكلمة, فأنه لم ينتبه ولم يشر إلى الموقف التمييزي المجحف والصارخ الذي تجلى في خطاب علي بن عيسى والذي كان يمارس من قبل الحكام حينذاك, وكأن التمييز بين المسلمين وغير المسلمين مسالة طبيعية واعتيادية حتى في مجال العلاج الطبي. ويؤكد هذا النص الموقف الديني المتزمت للوزير

---

128 نفس المصدر السابق, ص 91

البرذن = الفرس

129 نفس المصدر السابق, ص 92

130أحمد صادق سعد: دراسات في المفاهيم الاقتصادية لدى المفكرين الإسلاميين - كتاب الخراج لأبي يوسف, دار الفارابي - دار الثقافة الجديدة, بيروت - القاهرة 1988, ص 107

131 نفس المصدر السابق, ص 107, الهامش رقم 84

على بن عيسى إزاء أهل الذمة أولاً, وإزاء أتباع الديانات الأخرى ممن لا ينضوون تحت قاعدة أهل الذمة ثانياً, إذ أنه وضع أهل الذمة في طبقة تقع بين المسلمين والبهائم, بدلا من أن يكتب إليه مشيرا بأن المعالجة تتم لمن هو أكثر حاجة إليها من البشر القاطنين في السواد, سواءا كانوا من المسلمين أم من غير المسلمين, وسواءا كانوا من أهل الذمة أم من غير أهل الذمة, فهم جميعاً من البشر ورعايا في الدولة العباسية. فمن يقرأ النص يلاحظ بوضوح ما يلي:

1- أن علي بن عيسى قد وضع أهل الذمة مع البهائم بقوله: "ليس بيننا خلاف في أن معالجة أهل الذمة والبهائم صواب", في حين أن سنان لم يسأل عن البهائم وأشار في رسالته إلى أن البيمارستان يعالج للملي والذمي" على حد سواء؛

2- وفضل علي بن محمد بين المسلمين وأهل الذمة, وكانوا يهودا, معالجة المسلمين أولا, ثم معالجة الذميين تاليا, ثم البهائم, في حين كان تصرف البيمارستان سليما حين كان يعالج الجميع دون تمييز؛

3- وقد اعتبر علي بن محمد في رسالته أن المسلمين هم من الطبقة الأولى والأعلى, ثم تليهم طبقة الذميين, فالطبقة التي تليهم وهي طبقة البهائم؛

4- ويبدو أن معالجة المرضى من غير المسلمين وأهل الذمة والبهائم غير واردة أصلا في عرف علي بن عيسى أو الدولة العباسية عموماً.

ولست هنا في معرض المقارنة بين ما قام به الحكام المسيحيون إزاء المسلمين أو إزاء أتباع الديانات الأخرى من مظالم مع ما قام به الحكام المسلمون إزاء المسيحيين أو إزاء أتباع الديانات الأخرى من مظالم , إذ أن البحث الموضوعي يقتضي الإشارة إلى المظالم التي تعرض لها أتباع الديانات الأخرى على أيدي الحكام المسلمين في الفترات التي نبحث فيها, لكي لا ينصرف ذهن القارئ إلى الاعتقاد بوجود محاولة للإساءة إلى الدين الإسلامي أو لأي دين آخر, بقدر ما يراد إبراز أن التعصب الديني والتزمت المذهبي, دع عنك الإثني, يقودان دون أدنى ريب إلى المصائب والآلام والضحايا. فتاريخ الحكام المسيحيين في أسبانيا إزاء المسلمين أو إزاء اليهود أو حتى إزاء المسيحيين ذاتهم معروف للجميع ولا يحتاج الإنسان إلى كثير عناء للبرهنة عليها أو الحديث عنها في هذا المجال. وما تزال ذكرى أحداث وجرائم محاكم التفتيش الجائرة طرية في أذهان الناس في كل مكان, بمن فيهم الناس في

أوروبا, إذ أنها كانت من أبشع النماذج في التعصب الديني والمذهبي والقومي[132]. كما لا تزال في الذاكرة الأعمال الوحشية التي ارتكبتها النازية الألمانية بحق جماعات من البشر في ألمانيا وفي الأراضي التي احتلت من قبل قواتها العسكرية, سواء كانت بسبب ديني, كما هو الموقف من السامية, واليهود على نحو خاص, أم إزاء الغجر, بسبب قومي عنصري, أو إزاء المسيحيين لاختلافهم معهم أو بسبب فكري, كما في الموقف من الشيوعيين والاشتراكيين والديمقراطيين عموماً.

132 - الشالجي, عبود. موسوعة العذاب. كتاب في سبعة أجزاء. الدار العربية للموسوعات. بيروت ولندن. بدون تاريخ.
-العلوي, هادي. فصول من تاريخ الإسلام السياسي. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي. نيقوسيا/قبرص. 1995.
- ياسين, باقر. تاريخ العنف الدموي في العراق. دار الكنوز الأدبية. بيروت. ط 1. 1999.

ملحق رقم 2 : حول الشعب وما نسب للشيخ آدي بن مسافر

جاء في القصيدة التي نشرها الدكتور فرانك, صاحب كتاب "الشيخ آدي, المقدس الكبير عند أتباع الديانة الأيزيدية", ما يؤكد بأنها لأحمد بن الرفاعي, التي تحاول تمجيد الشيخ آدي وتنسبه إلى نجد, وبالتالي تريد تأكيد كونه أموي النسب, وأنها في الغالب الأعم ليست من نظم الشيخ آدي بن مسافر, بعكس ما يراه الدكتور فرانك. وإليك بعض مقاطع من هذه القصيدة الطويلة[133].

شربت بكأس الحب من قبل نَشأتي — سكرت بها من قبل توجد خلقتي
نَعم نشأتي في الحب من قبل آدم — وسري على الأكوان من قبل نشأتي
رفعت على من إدّعا الحب في الهوا — وقربني المولى ففزت بقربتي
سقاني وحيّاني وأضحا مُنادمي — وأضحا جليسي من أحب بخلوتي
وحكّمني جمع الدِنان وما حوت — فأصبحت جيوش الحب تحت مشيّتي
نِلت العلوم ونلت العز للأبد — بعون مولى كريم واحد أحدِ
وكنت في بطن أمي مذ خُلِقتُ أنا — مؤدبا حين نادي الشيخ يامّ عدي
فردّت الوالدة علشيخ مسرعة — لمن تنادي وما في القوم أم عدي
فقال لها الشيخ يزدا لك أقول أنا — إذا وضعت عدي عيذيه بالصمد
واقري السلام عليه مني وقولي له — الحق عقيلا ولا تبدي ولا تعد
سمعته وأنا في البطن مُضَّجَع — فقلت عيي تكلم وهو في المهد
وأصبحت سلطانا على كل عابد — وكل ملوك الأرض يأتوا بذلتي
وجالت خيولي في الأراضي جميعا — لي دقت الكوسات في كل وجهتي
وشاويش ملكي صاح شرقا ومغربا — كل الأراضي لم تُكمل خطوتي
وفي خانتي ادخل ترا الكاس دائرا — وما شرب العشاق إلا بقيتي

---

133 Frank, Rudolf Dr. Scheich “Adis” der grosse Heilige der Mueller. Berlin. 1911. Jezidis. Mayer & S.107-112.

وكل رجال الله طافوا بجمعهم وأما البيت يأتي قاصدا لزيارتي
أنا الفارس النجدي والاسم لي غدا لى سائر الاقطاب حقت ولايتي
مريدي تمسك بي وكن لي واثقا أنا سيف هذا الكون لكل عظمتي
مريدي لكل البُشرا بذي العز والهنا عتق من النار لازم طريقتي
مريدي سر شرقا وغربا وقبلة وبرا وبحرا في الأراضي بسطوتي
أنا صاحب التصريف سلطان الولا وكل ملوك العالمين رعيتي
أنا صاحب الناموس في الكون حاكم غياثا لملهوف وحامي مكّتي
أنا كنت في العليا ونور محمد وفي قاب قوسين اجتماع الأحبتي
وطفت جنان الخلد شرقا ومغربا وقد دمعت عيناي حسن الوسيلتي
فصحت ألا إني الرفاعي أخمد فلبيك أو سعديك قطب البريتي
فصحت ألا إني الرفاعي أحمد فلبيك يا سلطاننا في القيامة

إن قراءة هذه القصيدة تؤكد بأنها لم تكتب في فترة الشيخ آدي بن مسافر, حيث كانت الثقافة متقدمة واللغة العربية متميزة, كما يقرأها الإنسان في كتابات العديد من مثقفي ورجال دين تلك الفترة, إذ كما يبدو إنها كتبت في فترة الانحطاط الثقافي واللغوي في العراق وفي عدد من البلدان العربية حينذاك, أي في العهد العثماني, إذ أن اللغة التي كتبت بها القصيدة ركيكة جدا تخلط بين العامية والعربية, إضافة إلى افتقادها للوزن الشعري المطلوب في قصيدة عمودية. كما لم تجر الإشارة إلى أنها قد ترجمت عن اللغة الكُردية, بل قيل إنها كتبت بالعربية أصلاً.

ملحق رقم 3: قائمة بأسماء شهداء أتباع الديانة الأيزيدية في كردستان العراق أثناء حملات الأنفال ومجازرها ضد الإنسانية في العام 1988

أدت الحملة إلى استشهاد ما يزيد عن 182 ألف إنسان من الكرد, كما شمل العشرات من قوميات أخرى شاركوا في المعارك ضد عمليات الأنفال. وأثناء عمليات الأنفال تمت أيضاً مجزرة الكيماوي في حلبجة التي راح ضحيتها 5000 شهيد وما يزيد عن هذا العدد من الجرحى والمعوقين.

قائمة بأسماء العوائل والأشخاص الذين اعتقلوا وغيبوا في عمليات الأنفال (الثامنة) المشؤومة التي جرت في كردستان العراق (منطقة بهدينان) من قبل النظام العراقي منذ شهر أيلول (سبتمبر) عام 1988 *

	الاسم الثلاثي	المواليد	الجنس	المهنة	محل الاقامة والسكن	
	عائلة علي حاول بكو					
	كوزي خواستي عبدو	1912	انثى	ربة بيت	مجمّع خانك . قضاء سيميل . محافظة دهوك	امرأة كبيرة ال
	نفية خدر جندي	1960	انثى	ربة بيت	= = =	زوجة عا
	جمال علي حاول بكو	1980	ذكر	طالب	= = =	
	جلال علي حاول بكو	1983	ذكر	طفل	= = =	
	فهد علي حاول بكو	1985	ذكر	طفل	= = =	
	سهام علي حاول بكو	1987	انثى	طفلة	= = =	
	..... علي حاول بكو	1988	ذكر	رضيع	= = =	

	عائلة عيدو حاول بكو					
	عيدو حاول بكو	1950	ذكر	فلاح	مجمّع خانك . قضاء سيميل . محافظة دهوك	
	كورجي خمو عبدو	1955	انثى	ربة بيت	= = =	
	جميل عيدو حاول بكو	1974	ذكر	طالب	= = =	
	فرحان عيدو حاول بكو	1976	ذكر	طالب	= = =	
	صباح عيدو حاول بكو	1978	ذكر	طالب	= = =	
	مدينة عيدو حاول بكو	1980	انثى	طالبة	= = =	
	ماجد عيدو حاول بكو	1982	ذكر	طالب	= = =	
	رشيد عيدو حاول بكو	1983	ذكر	طفل	= = =	
	حامد عيدو حاول بكو	1985	ذكر	طفل	= = =	
	مسعود عيدو حاول بكو	1988	ذكر	رضيع	= = =	
	عائلة خدر حاول بكو					
	كوجر خلف حمي	1955	انثى	ربة بيت	= = =	
	فرحة خدر حاول بكو	1986	انثى	طفلة	= = =	
	فرهاد خدر حاول بكو	1988	ذكر	رضيع	= = =	ولد
	عائلة خواستي حاول بكو					
	خواستي حاول بكو	1940	ذكر	فلاح	= = =	

	بتي حمي عمر	1945	انثى	ربة بيت	=	=	=
	عابد خواستي حاول بكو	1972	ذكر	طالب	=	=	=
	سعيد خواستي حاول بكو	1975	ذكر	طالب	=	=	=
	عائلة يزدين حاول بكو						
	بيريفان عبو عاشور	1955	انثى	ربة بيت	=	=	= زوجة يز
	هاجر خدر شلال	1962	انثى	ربة بيت	=	=	= زوجة
	جليلة يزدين حاول بكو	1987	انثى	طفلة	=	=	=

	عائلة ع					
	عبدال حيدر درويش	1929	ذكر	فلاح	مجمّع شاريا . قضاء سيميل . محافظة دهوك	رب ا
	موري علي حسن	1935	انثى	ربة بيت	= = =	
	ميرزا عبدال حيدر درويش	1967	ذكر	فلاح	= = =	
	حيدر عبدال حيدر درويش	1973	ذكر	طالب	= = =	
	بيبون عبدال حيدر درويش	1975	انثى	طالبة	= = =	
	شمو الياس	1967	ذكر	فلاح	= = =	
	عائلة اليا					
	الياس عبدال درويش	1953	ذكر	عامل	مجمّع شاريا . قضاء سيميل . محافظة دهوك	
	بسمة خديدا مراد	1963	انثى	ربة بيت	= = =	
	غالية الياس درويش	1978	انثى	طالبة	= = =	
	سلمان الياس درويش	1981	ذكر	طالب	= = =	

صديق الياس درويش	1984	ذكر	طفل	= = =		
بَيمان الياس درويش	1985	انثى	طفلة	= = =		
عائلة ص						
آسيا عثمان خدر	1954	انثى	ربة بيت	قرية بحزاني . ناحية بعشيقة . محافظة نينوى		ز
سَربَست صبحي حجو	1971	ذكر	طالب	= = =		
سندس صبحي حجو	1978	انثى	طالبة	= = =		
رَفين صبحي حجو	1988	انثى	رضيعة	= = =		كا
منيف غانم حجو	1965	ذكر	عامل	= = =		
عائلة .						
غزالي علي قوال	1917	انثى	ربة بيت	قرية بحزاني . ناحية بعشيقة . محافظة نينوى		والدة حس و
بكية حجي كنجي	1943	انثى	ربة بيت	= = =		ش
غالية حجي الياس	1950	انثى	ربة بيت	= = =		ز
مناضل حسين كنجي	1973	ذكر	طالب	= = =		
بسيم حسين كنجي	1975	ذكر	طالب	= = =		
لينا حسين كنجي	1977	انثى	طالبة	= = =		
عاصف حسين كنجي	1978	ذكر	طالب	= = =		
جمعة حسين كنجي	1987	ذكر	طفل	= = =		
عاصفة حسين كنجي	1988	انثى	رضيعة	= = =		
عائلة جمعة حجي كنجي						
ونسة بشار رشو	1937	انثى	ربة بيت	قرية بحزاني . ناحية بعشيقة . محافظة نينوى		ا
خيري جمعة كنجي	1967	ذكر	خريج معهد	= = =		
شامل جمعة كنجي	1968	ذكر	عاطل	= = =		
اميل جمعة كنجي	1969	ذكر	خريج إ	= = =		
عائلة خليل جمعة حمو						
نمشة خدر الراعي	1935	انثى	ربة بيت	قرية بحزاني . ناحية بعشيقة . محافظة نينوى		

	ماشو درويش جلو	1964	انثى	ربة بيت	= = =	
	هوزان خليل حمو	1987	ذكر	رضيع	= = =	
	متفرقة 1					
	حسين علي حسين	1965	ذكر	معلم	قرية بحزاني . ناحية بعشيقة . محافظة نينوى	
	تحسين عيسى حمو	1954	ذكر	موظف	= = =	
	حسين خلف كانون	1963	ذكر	خريج معهد	= = =	
	عائلة دخيل سلو خدر					
	دخيل سلو خدر	1942	ذكر	ع متقاعد	ناحية بعشيقة . محافظة نينوى	
	تفاحة خدر جمعة	1949	انثى	ربة بيت	= =	
	ميديا دخيل سلو خدر	1987	انثى	رضيعة	= =	
	عائلة حسين خرتو سينو					
كان مصا با	حسين خرتو سينو	1957	ذكر	مُدرّس	ناحية بعشيقة. محافظة نينوى	
ز	ليلى نون برو	1962	انثى	ربة بيت	= =	
سلم بعد ال	خديدا طيبان عمر	1940	ذكر	معلم	= =	
	طيبان خديدا عمر	1967	ذكر	عامل	= =	
	عائلة خيري درمان حجي					
ز	شيرين ميرزا عرب	1954	انثى	ربة بيت	قرية ختارة كبير . قضاء تلكيف . محافظة نينوى	
	لينا خيري حجي	1972	انثى	طالبة	= = =	
	تانيا خيري حجي	1974	انثى	طالبة	= = =	
	فيان خيري حجي	1985	انثى	طفلة	= = =	
	سيبَل خيري حجي	1987	انثى	رضيعة	= = =	
ش	امين درمان حجي	1966	ذكر	عامل	= = =	
	عائلة خديدا حسين فليبوس					
	روزا خديدا فليبوس	1978	انثى	طالبة	قرية ختارة كبير . قضاء تلكيف . محافظة نينوى	
	جيزن خديدا فليبوس	1983	انثى	طفلة	= = =	
	زفين خديدا فليبوس	1984	ذكر	طفل	= = =	

	زيان خديدا فليبوس	1985	انثى	طفلة	= = =	= = =	

(4)

	الاسم الكامل	المواليد	الجنس	المهنة	محل الاقامة والسكن	ال
	عائلة جوقي سعدون حكيم					
	شيرين خدر مراد	1951	انثى	ربة بيت	قرية دوغات . قضاء تلكيف . محافظة نينوى	ارملة ، قا
	وفاء جوقي حكيم	1978	انثى	طالبة	= = =	الكيمياوي
	سلمان جوقي حكيم	1979	ذكر	طالب	= = =	زيوة منطة
	سورياز جوقي حكيم	1985	انثى	طفلة	= = =	
	عائلة شمو سليمان سعدون					
	شمو سليمان سعدون	1954	ذكر	عامل	قرية دوغات . قضاء تلكيف . محافظة نينوى	سلم
	شيرين شمو سليمان	1956	انثى	ربة بيت	= = =	ز
	برجين شمو سعدون	1984	انثى	طفلة	= = =	
	بَروَر شمو سعدون	1986	ذكر	طفل	= = =	
	عائلة عادل عيسى خليل حجي					
	سينم الياس درويش	1966	انثى	ربة بيت	قرية دوغات . قضاء تلكيف . محافظة نينوى	زوجة
	ألند عادل عيسى حجي	1987	ذكر	طفل	= = =	
	يَلماز عادل عيسى حجي	1988	انثى	رضيعة	= = =	
	عائلة عيسى خليل حجي					
	عيسى خليل حجي	1925	ذكر	فلاح	قرية دوغات . قضاء تلكيف . محافظة نينوى	رب
	بَفري مراد سلو	1935	انثى	ربة بيت	= = =	كبي
	كامل عيسى حجي	1970	ذكر	عامل	= = =	
	شيرين عيسى حجي	1965	انثى	عاملة	= = =	
	نبراس عيسى حجي	1975	انثى	طالبة	= = =	

	خمي عيسى حجي	1980	انثى	طالبة	= = =		
	خيال عيسى حجي	1980	انثى	طالبة	= = =		
	كوثر عيسى حجي	1982	انثى	طالبة	= = =		
	عائلة جلال خليل حجي						
	جلال خليل حجي	1950	ذكر	عامل	قرية دوغات . قضاء تلكيف . محافظة نينوى		سلم بعـ
	ميرم الياس درويش	1956	انثى	ربة بيت	= = =		
	شيرزاد جلال حجي	1980	ذكر	طالب	= = =		
	فهد جلال حجي	1984	ذكر	طفل	= = =		
	ميلاد جلال حجي	1984	انثى	طفلة	= = =		
	فرهاد جلال حجي	1986	ذكر	طفل	= = =		
	نارين جلال حجي	1988	انثى	رضيعة	= = =		
	عائلة علي خليل حجي						
	بهار ابراهيم	1917	انثى	ربة بيت	قرية دوغات . قضاء تلكيف . محافظة نينوى		والدة علي
	عمشة الياس درويش	1948	انثى	ربة بيت	= = =		ز
	بَسي علي حجي	1966	انثى	ربة بيت	= = =		
	فائزة علي حجي	1972	انثى	طالبة	= = =		
	زخاروف علي حجي	1974	ذكر	طالب	= = =		
	خليل علي حجي	1976	ذكر	طالب	= = =		
	ديمتروف علي حجي	1978	ذكر	طالب	= = =		
	عائلة عيدو عبدي ناصر						
	عيدو عبدي ناصر	1937	ذكر	فلاح	قرية دوغات . قضاء تلكيف.محافظة نينوى		
	دزوار عيدو ناصر	1966	انثى	ربة بيت	= = =		
	سيسي عيدو ناصر	1970	انثى	عاملة	= = =		
	فهيمة عيدو ناصر	1975	انثى	طالبة	= = =		
	مهند عيدو ناصر	1978	ذكر	طالب	= = =		
	فوزية عيدو ناصر	1979	انثى	طالبة	= = =		
	حلمي عيدو ناصر	1980	ذكر	طالب	= = =		
	هفانا عيدو ناصر	1982	انثى	طالبة	= = =		
	عائلة خلات رشيد بوزاني						
	خلات رشيد بوزاني	1963	ذكر	عامل	قرية بوزان . قضاء تلكيف.محافظة نينوى		
	عيدي شمو	1965	انثى				
	ماجد رشيد بوزاني	1980	ذكر	طالب	= = =		
	بهجت رشيد بوزاني	1984	ذكر	طفل	= = =		

	سَيران رشيد بوزاني	1986	انثى	طفلة	= = =	= = =	
	آفوك رشيد بوزاني	1988	انثى	رضيعة	= = =	= = =	
	عائلة هادي علي حسين						
	هادي علي حسين	1964	ذكر	عامل	قرية بوزان . قضاء تلكيف.محافظة نينوى		
	جيرو عمر سعدو	1968	انثى	ربة بيت	= = =	= = =	ز
	باسم شاكر كولاني	1970	ذكر	عامل	= = =	= = =	ا
	نجيم خرمش مراد	1968	ذكر	عامل	= = =	= = =	ا
	عائلة خديدا خدر يزدين						
	خديدا خدر يزدين	1960	ذكر	خريج جامعة	قرية خورزان. قضاء تلكيف. محافظة نينوى		سلم نفسة عن طر
	بيروز حسن رشو	1965	انثى	ربة بيت	= = =	= = =	
	كاوة خدر يزدين	1986	ذكر	طفل	= = =	= = =	
	نسرين خدر يزدين	1987	انثى	رضيعة	= = =	= = =	
	عائلة خورشيد عمر سعدو						
	خورشيد عمر سعدو	1968	ذكر	عامل	قرية خورزان. قضاء تلكيف.محافظة نينوى		
	مهور شمو سعدو	1970	انثى	ربة بيت	= = =	= = =	
	نوروز خورشيد سعدو	1988	انثى	رضيعة	= = =	= = =	
	عائلة حيدر سليمان زرّاق						
	حيدر سليمان زرّاق	1957	ذكر	عامل	قرية خورزان. قضاء تلكيف.محافظة نينوى		
	كني حيدر	1960	انثى	ربة بيت	= = =	= = =	
	سربست حيدر زرّاق	1982	ذكر	طالب	= = =	= = =	
	مهدي حيدر زرّاق	1984	ذكر	طفل	= = =	= = =	
	سَركَفت حيدر زرّاق	1986	ذكر	طفل	= = =	= = =	

(6)

التسلسل	الأسم الثلاثي	المواليد	الجنس	المهنة	محل الإقامة والسكن	الملاحظات
29	عائلة حسين سيسو					

144	حسين سيسو كافان	1956	ذكر	عامل	كرسافا/قضاء تلكيف/ نينوى	
145	ليلى حمد سنجاري	1957	انثى	ربة بيت	كرسافا/قضاء تلكيف/ نينوى	
146	سردار حسين كافان	1979	ذكر	طالب	كرسافا/قضاء تلكيف/ نينوى	
147	دلوفان حسين كافان	1980	ذكر	طالب	كرسافا/قضاء تلكيف/ نينوى	
148	قيدار حسين كافان	1981	ذكر	طالب	كرسافا/قضاء تلكيف/ نينوى	
149	نازي حسين كافان	1984	انثى	طفلة	كرسافا/قضاء تلكيف/ نينوى	
150	.... حسين كافان	1988	انثى	رضيعة	كرسافا/قضاء تلكيف/ نينوى	طفلة غير مسماة
151	بيبو قوجي	1938	ذكر	فلاح	كرسافا/قضاء تلكيف/ نينوى	عاجز ومريض
30	عائلة درويش صالح					
152	درويش صالح داكي	1950	ذكر	فلاح	داكا/قضاء تلكيف/ نينوى	
153	سيفي.....	1955	انثى	ربة بيت	داكا/قضاء تلكيف/ نينوى	
154	... درويش صالح	...			داكا/قضاء تلكيف/ نينوى	
155	.... درويش صالح	...			داكا/قضاء تلكيف/ نينوى	
156	... درويش صالح	...			داكا/قضاء تلكيف/ نينوى	
157	مصطو صالح داكي	1955	ذكر	عامل	داكا/قضاء تلكيف/ نينوى	
158	زوجة مصطو	...	انثى	ربة بيت	داكا/قضاء تلكيف/ نينوى	
31	عائلة خديدا محمود					
159	خديدا محمود	1930	ذكر	فلاح	بيوس عليا/قضاء الشيخان/نينوى	عاجز ومريض
160	باران شمو	1940	انثى	ربة بيت	بيوس عليا/قضاء	

					الشيخان/نينوى	
161	ميسون خديدا محمود	1975	انثى	عاملة	بيوس عليا/قضاء الشيخان/نينوى	
162	حبيب خديدا محمود	1982	ذكر	طالب	بيوس عليا/قضاء الشيخان/نينوى	
163	رزكار خديدا محمود	1984	ذكر	طفل	بيوس عليا/قضاء الشيخان/نينوى	

(7)

32	عائلة هرمز خوشابا					
164	جوليت داود شمعون	1952	انثى	ربة بيت	عين بقرة/قضاء الشيخان/ نينوى	أرملة. قتل زوجها من قبل عملاء النظام في قرية شيخكا/ ألقوش عام 1987
165	نصير خوشابا	1972	ذكر	طالب	عين بقرة/قضاء الشيخان/ نينوى	
166	فيدل خوشبا	1974	ذكر	طالب	عين بقرة/قضاء الشيخان/ نينوى	
167	ماجد خوشابا	1976	ذكر	طالب	عين بقرة/قضاء الشيخان/ نينوى	
168	ماجدة خوشابا	1978	انثى	طالبة	عين بقرة/قضاء الشيخان/ نينوى	
169	فؤاد خوشابا	1980	ذكر	طالب	عين بقرة/قضاء الشيخان/ نينوى	
170	زوزك خوشابا	1982	انثى	طالبة	عين بقرة/قضاء الشيخان/ نينوى	
171	أنصار خوشابا	1984	انثى	طفلة	عين بقرة/قضاء الشيخان/ نينوى	
33	عائلة الياس شرو					

172	الياش شرو	1907	ذكر	فلاح	ايسيان/قضاء الشيخان/ نينوى	عاجز ومريض
173	شمسى عبيد	1922	انثى	ربة بيت	ايسيان/قضاء الشيخان/ نينوى	عاجزة ومريضة
174	حجي الياس شرو	1965	ذكر	عامل	ايسيان/قضاء الشيخان/ نينوى	
34	متفرقة (2)					
175	عارف الياس كرتان	1969	ذكر	عامل	باعذره/ قضاء الشيخان/ نينوى	
176	نائف ردو	1969	ذكر	عامل	باعذره/ قضاء الشيخان/ نينوى	
177	أرجان ماري حسن	1958	ذكر	عامل	باعذره/ قضاء الشيخان/ نينوى	أجرت جريدة الثورة
178	فريد ماري حسن	1960	ذكر	خريج جامعة	باعذره/ قضاء الشيخان/ نينوى	مقابلة معه بعد العفو
179	صبري محمود خدر	1985	ذكر	موظف	عين سفني/قضاء الشيخان/ نينوى	أخذ بعد شهر من العفو من مجمع بحركي/أربيل
180	اسماعيل بابا شيخ	1960	ذكر	عامل	عين سفني/قضاء الشيخان/ نينوى	سلم نفسه بعد العفو باسبوع في قرية باعذره
181	شيرين شمعون البازي	1932	انثى	ربة بيت	عين سفني/قضاء الشيخان/ نينوى	عاجزة ومريضة
35	عائلة خدر حمد صالح					
182	خدر حمد صالح	1953	ذكر	فلاح	مجمع الجزيرة/سنجار / نينوى	
التسلسل	الأسم الثلاثي	المواليد	الجنس	المهنة	محل الإقامة والسكن	
183	نعام الياس	1960	انثى	ربة بيت	مجمع الجزيرة/سنجار /	

					نينوى	
184	وضحه خدر صالح	1977	انثى	عاملة	مجمـع الجزيـرة/سـنجار / نينوى	
185	شيرين خدر صالح	1980	انثى	طالبة	مجمـع الجزيـرة/سـنجار / نينوى	
186	دخيل خدر صالح	1982	ذكر	طالب	مجمـع الجزيـرة/سـنجار / نينوى	
187	وحيدة خدر صالح	1984	انثى	طفلة	مجمـع الجزيـرة/سـنجار / نينوى	
188	وحيد خدر صالح	1986	ذكر	طفل	مجمـع الجزيـرة/سـنجار / نينوى	
36	عائلة سعيد كيجو					
189	سعيد سلو كيجو	1956	ذكر	فلاح	مجمـع الجزيـرة/سـنجار / نينوى	
190	زوجة سعيد سلو	1960	انثى	ربة بيت	مجمـع الجزيـرة/سـنجار / نينوى	
191	أديبة سعيد كيجو	1981	انثى	طالبة	مجمـع الجزيـرة/سـنجار / نينوى	
192	عيشان سعيد كيجو	1985	انثى	طفلة	مجمـع الجزيـرة/سـنجار / نينوى	
193	سرمد سعيد كيجو	1987	ذكر	رضيع	مجمـع الجزيـرة/سـنجار / نينوى	
37	متفرقة (3)					
194	بدل سليمان عمر	1943	ذكر	فلاح	مجمـع تـل عزيـز/سـنجار/ نينوى	
195	خديدا عيدو	1965	ذكر	عامل	بـــوزان/قـــضاء تلكيـــف/ نينوى	

جدول يظهر الفئات العمرية لضحايا الأنفال الواردة أسمائهم أعلاه

	رجال	نساء	رضع	أطفال	أحداث	شباب	شابات	المجموع
المجمـــوع الكلي	25	40	17	65	16	26	6	195

* ملاحظة: أعد قائمة المغيبين والمفقودين الشهداء الكرد الأيزيديين المواطن الكردي الأيزيدي المناضل السيد صبحي حجو المقيم في ألمانيا, وكان في حينها يعيش في كردستان وضمن الحركة الأنصارية المناهضة لنظام البعث الدكتاتوري وفقد جميع أفراد عائلته.

الملحق رقم 4: مع كاظم حبيب في جولته بين الأيزيدية[134]

بقلم صباح كنجي

عن دار الحكمة في لندن صدرت للكاتب والشخصية الوطنية المعروفة في ميدان السياسة وحقوق الإنسان كتاب (الأيزيدية ديانة تقاوم نوائب الزمان) عام 2003 والكتاب من (178) صفحة من القطع المتوسط يحوي أربعة فصول مع مقدمة وتقديم من الدكتور خليل جندي ومدعوم بالصور وقد أهداه لعشاق الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والى المناضلين ضد الاستبداد والجور والاستغلال والفقر والحرب في العالم .

وفي كلمة الشكر التي وجهها للذين ساعدوه في انجاز العمل يقول حبيب : (برز اهتمامي بالجماعة الدينية الكردية الأيزيدية عندما كنت في كردستان العراق وقضيت فيها ما يقرب خمس سنوات من سني العقد التاسع من القرن العشرين حيث شاركت في حركة الأنصار المناهضة للحكم الدكتاتوري في العراق. وخلال هذه الفترة التقيت بعددٍ غير قليلٍ من الأكرادِ الأيزيديين الأنصار المناضلين في صفوف الحركة . وتسنى لي أن استفسر عن وأحاور حول بعض جوانب هذا الدين محاولاً فهم حقيقته ومقارناً ما أسمعه منهم بما قرأته عنهم من كتاباتٍ لمحررين

134 ملاحظة: كانت وما تزال تهمني ملاحظات وكتابات أبناء وبنات أتباع الديانة الأيزيدية, إذ أنهم أدرى بديانتهم منجهة, ويسعون للاطلاع على أطثر الأمور حداثة أو تطرقاً لقضية دينهم. ومن هذا المنطلق, وبعد أن نشر السيد صباح كنجي مقالته النقدية حول كتابي في طبعتيه الأولى والثانية, اتصلت بالأخ كنجي وسألته إن كان راغباً في نشر مقاله كملحق في الطبعة الجديدة لكتاب التي أبدت مؤسسة حمدي للطباعة والنشر في السليمانية إعادة طبعه. فرحب بذلك كل الترحيب. ورغم وجود ملاحظات لدي حول بعض ما جاء في المقال, أنشره دون تعليق, إذ أن من المهم أن نتعود على ممارسة النقد ونقبل به بغض النظر عن مدى اتفاقنا أو عدم اتفاقنا مع ملاحظات هذا الكاتب أو ذاك. ,ارجو أن يكون نشر الملحق في هذا الكتاب مفيداً للقراء, إذ أنه يقدم رؤية من داخل الدين. ك. حبيب

مسلمينَ بالدرجةِ الأساسية. وزاد اهتمامي بهم عندما قررت أنْ ابدأ بمحاولةِ إنجاز كتابٍ تحتَ عنوان (لمحات من عراق القرن العشرين) .

وفي معرض حديثه عن اصل الأكراد الأيزيدية يتطرق إلى مطالعته لكتاب (دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960) الذي أعد من مجموعة خبراء ومتخصصين لها اعتبارها في الثقافة العراقية والمجتمع العراقي وفي مقدمتهم الأستاذ الفاضل والراحل العلامة الدكتور مصطفى جواد حيث ورد فيه بشأن اصل الأكراد الأيزيدية ما يلي :

(أصلهم وتسميتهم – لا يعلم عن اصل اليزيديين شيء، ويقول البارون مكس فون أوبنهيم الألماني { أنهم امراداً اشداء البنية سكنوا جبل سنجار منذ أكثر من قرنين} ويجوز أنهم هاجروا إلى العراق مع الأكراد من الشمال وانفردوا عن بني جلدتهم بالجبال خوفاً ممن يجاورهم فاحتفظوا بدينهم القديم وشيدوا أكثر معابدهم في قضائي الشيخان وسنجار(لواء الموصل) وهم إنما يسمون أنفسهم باليزيدية نسبة إلى يزيد بن معاوية ثاني الخلفاء الأمويين . ويقول المستر لوك (إن هذه القبائل كانت تدعى بالأصل- داسناي - أما اليزيدية فهو اسم أطلقه عليهم جيرانهم) ..الخ .
ويعرب حبيب عن استغرابه من هذا الأمر ويؤكد (إذ أن الغريب في هذا الأمر هو ان الأستاذ الدكتور مصطفى جواد ، المتخصص باللغة والتاريخ ، يشارك كاتباً أخر بالقول بأن اليزيدية سكنوا هذه المنطقة منذ قرنين لا أكثر . وهي مغالطة كبيرة ، إذ إن كتب التاريخ العربية والكتب الأخرى التي تتحدث عن الأيزيدية تشير وجودهم في هذه المنطقة التي أصبحت جزء من العراق الحديث منذ فترة الأمويين والعباسيين) ص9.
ويسعى حبيب حسبما ورد في تأكيده لمسعاهُ من تأليف الكتاب إلى (أرجو أن يشارك هذا الكتاب في توضيح بعض الأمور عن الأكراد الأيزيديين الذين ينتمون إلى هذه المنطقة منذ قرون طويلة وأنهم يشكلون جزء من الشعب أو الأمة الكردية الموزعة على دول عديدة منها العراق وتركيا وايران وسوريا) .

وكان من الأفضل للدكتور حبيب لو ذهب إلى التاريخ السحيق للعراق القديم وغاص في أعماقه منذ العهد السومري حيثُ معبد ايزيدا الذي اكتشف في بابل وغيرها من معطيات التاريخ العريق لسكان وادي الرافدين، الذي يسبق التواجد العربي والكتابة العربية في هذه المنطقة .

أما عن تواجدهم الجغرافي فيمتد إلى ابعد من الدول الأربعة التي ذكرها حيث يتواجد الكرد الأيزيديين في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة وبالذات في جمهوريات أرمينيا وجورجيا وأذربيجان وكذلك يسطر التاريخ تواجدهم في لبنان وفي بعلبك مدينة الشمس التي ينسب بعض المؤرخين (آدي) إليها .

إن التسمية الداسنية للأيزيدية بحدِ ذاتها تعكس عراقة هذا التواجد لأنها كلمة سريانية تعني عبدة الإله سن الذي هو إلهُ القمر، والسريان لا يطلقون تسمية (ايزيدية) على معتنقي هذا الدين اليوم بل يستخدمون مفردة (دسنايْ) كتسمية للأيزيديين و على الكرد تسمية (قرذايا) والتواجد السرياني ورديفه الكلداني هو امتداد للحقبة البابلية الآشورية التي سبقت العرب في التواجد والتدوين كان من الضروري الرجوع اليها من الكاتب حبيب في محاولته لتأريخ التواجد الأيزيدي في هذه المنطقة ، ويمكنه أن يستفيد وهو الباحث المتمرس والضليع في أكثر من مجال وبحكم معرفته للعديد من اللغات في استقصاء المزيد من المعطيات عن التسمية والأصل من خلال الرجوع إلى تاريخ القفقاس وحركة انتشار الأجناس البشرية من حوض بحر قزوين نحو الشرق والغرب وامتداد تلك الثقافة الأم على المرادفات المشتركة في العربية والكردية والفارسية والروسية والالمانية والأنكليزية التي يتقنها الدكتور حبيب ويستطيع أن يتوصل إلى معلومات ادق وأهم عن اصل الأيزيدية من خلال استقرائه لبعض المرادفات منها على سبيل المثال في اللغة الروسية حيث يطلق على دين الأجداد اوالدين القديم كلمة (يزدجي) وهي امتداد لأيزيد عند الأيزيدية وايسيس أو ايزيس أو ايزيريس الفرعونية وزيوس عند الأغريق واليونانيين والآزتيك في المكسيك ويزد عند الفرس و والعزة اوالعزيز عند العرب قبل الإسلام وفي الألمانية تطلق على اسم الإله الأُنثى(الأم) في التاريخ الألماني تسمية توتسن أو طوتسن

وهي مرادفة للفظ التاؤوس وتيئوس وتموز في العديد من ثقافات العالم القديمة والعريقة ومنها الأيزيدية حيث للطاؤوس مكانة مقدسة في سلم الملائكة بل هو كبيرهم وقد تركت لنا الآثار في الجبال العديد من النقوش التي لم تدرس من قبل المعنيين ومن ضمن ذلك النقش المهم في جبل عفرين في حلب على بوابة كنيسة قديمة تعود لمعبد أقدم وهو عبارة عن رسمين متقابلين لطائر الطاووس في قرية كيمار . هذا بخصوص التسمية أصولها التي ترجع إلى عهد أقدم مما وضعه الأستاذ حبيب كسقف زمني يرجع إليه من خلال المصادر العربية الإسلامية . وهي مهمة المؤرخين الذين وجه لهم النقد من قبل الدكتور حبيب وسعى واجتهد والمجال مازال مفتوحاً للمزيد من المساهمات في السعي للوصول إلى جذور الأيزيدية وأصولها كدين وتسمية وهناك الجديد في هذا المجال وقد بدأت مع محاولات الراحل جورج حبيب في منتصف السبعينات حينما طبع كتابه المهم عن الأيزيدية وكان بعنوان (اليزيدية بقايا دين عريق) لكن وزارة الأعلام البعثية التي كان يديرها آنذاك طارق عزيز اعترضت على العنوان فحوله إلى اليزيدية بقايا دين قديم وقد مُنع من التداول وكان أول محاولة علمية لربط الايزيدية بالعهد البابلي وبالإله نابو .

وفي المقدمة يشير الدكتور حبيب إلى (كانت المنطقتان اللتان تسميان اليوم بمنطقتي الشرق الأدنى والأوسط ثم صعوداً باتجاه أفغانستان وشبه القارة الهندية أو وادي حوض السند والصين تعتبران من أهم مراكز الحضارة البشرية القديمة ومن أغنى الثقافات ومهداً للكثير من التصورات والديانات والفلسفات والأساطير والحكايات والخرافات. وكانت تلك الثقافات والديانات كجزء أساسي منها، تتفاعل فيما بينها ،يتأثر بعضها بالبعض الآخر وتبدو في الكثير من قيمها وتقاليدها وعاداتها والطقوس التي تمارسها متقاربة جداً ومتوارثة أحياناً كثيرة مع وجود بعض الاختلافات، رغم بعد المسافات التي كانت تفصل بين تلك الجماعات البشرية والبلدان في تلك الأزمان) ص11

ويضيف (والدراسات الحديثة تشير إلى أن بعض تلك الديانات القديمة قد انقرض وحلت محلها ديانات أو معتقدات أخرى ، وبعضها الآخر ما زال قائماً أو طرأت

عليه تغييرات وتطورات وتحويرات غير قليلة، ولكنه حافظ على قاعدته الأساسية،بغض النظر عن حجم المجموعات البشرية المؤمنة بتلك الديانات) ص12

وفي الصفحة التالية يؤكد (ولم تكن تلك الديانات متقاطعة، بل كانت متقاربة جداً وأحياناً منسلخ بعضها عن البعض الآخر أو منشق عليه.... ومن يعود إلى حوض وادي السند أو الصين أو إلى بلاد فارس أو إلى بلاد الرافدين (مابين النهرين)، سيجد أمامه تشابكاً وتفاعلاً واقعياً مقبولاً من سكان تلك الحقب الزمنية بين الديانة السومرية والديانات الأكدية والبابلية والآشورية والكلدانية ودخول أسماء الآلهة المشتركة بلغاتِ تلك الشعوب والحضارات ، كما هو الحال بالنسبة لآلهة السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين والكلدانيين.)ص13

وإذ يشير الدكتور حبيب لهذه الحقيقة الميثولوجية - التاريخية أراه قد اكتشف ما يمكن وصفه بنصف الحقيقة فنفس المفهوم ينطبق على العلاقة بين هذه المكونات والأسماء التي ذكرها وبين مكونات وثقافات تجمعات بشرية سكنت الغرب في مناطق الإغريق واليونان والرومان والمناطق الاسكندافية والبلقان وقد بينت الدراسات الأحدث في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين ومع التقدم الحاصل في مجال علم الآثار ومكتشفاته وكذلك ما أنتجه علم فقه اللغات من معطيات مذهلة تؤكد وجود صلات وروابط مشتركه لتاريخ الأجناس والقبائل البشرية في الشرق الأدنى والأقصى والمجموعات التي استقرت في الغرب والمراجع العلمية تؤكد وجود صلة مشتركة للغاتِ العالم تجمع بين اللغات الشرقية القديمة والحديثة من جهة وهي{السومرية والكلدانية والسريانية والآشورية والفارسية والعبرية والعربية والفرعونية والفارسية والكردية والتركية والمندائية والأرامية} وبين اللغات الأوربية { الإنكليزية والألمانية والفرنسية والهولندية} وكذلك بين ثقافات هذه الأجناس وديانتها القديمة منذ عبادة ظواهر الطبيعة والقمر والشمس والتسميات المتقاربة بينها، وعلى سبيل المثال لو طبقنا قوانين الفونوطيقيا وتحولات الأحرف التي تدخل في قوام هذا العلم الحديث لوصلنا إلى استنتاج مذهل يعطي نتيجة مشتركة ومتطابقة لأسم الله من خلال مفردة (خدا) والكوت (gott).

(فالخاء) تتحول إلى(كا) و(الدال)تتحول إلى (تاء) أو (طاء) فينتج المفردات التالية حسب الأقوام وتلفضها للحروف وتقلباتها، خودا، خودي، خداي، خوتي، كودي، كوديا، كوت، كود، كوط، كَـَتْ، وفي اللغة الهولندية التي هي أم اللغات الألمانية والإنكليزية يقال لله خود، خوط . وقد أكد احد الباحثين الأنكليز مؤخراً حسبما أوردت الخبر عنه قناة الفيحاء من خلال الدكتور هاشم العقابي إن اطروحة دكتوراة جديدة لطالب بريطاني قد أثبتت إن 80% من مفردات المصطلحات الثقافية الإنكليزية المعاصرة تعود إلى اللغة السومرية .

وهناك كتاب مهم للجنابي، مقدم برامج حالياً في قناة المستقلة ، عن جذور اللغة الإنكليزية وعلاقتها بالعربية وكذلك هناك كتاب في الهولندية حول الكلمات المشتركة بين العربية والهولندية وأيضاً كتاب جديد عن المشتركات بين اللغة الفرنسية والعربية وهي مقدمة لدراساتٍ اشمل واهم لاحقاً في مجال فقه اللغة الذي ما زال متخلفاً في بلدان الشرق.

ويذهب الدكتور حبيب إلى أن (ورغم الاختلافات التي ظهرت في النظريات التي قامت بتفسير الأديان ودورها وأهميتها ومحاولة معرفة تطورها التاريخي منذ بدايات بروزِ هذهِ الظاهرة الإنسانية،فأن الأديان كانت وما تزال تجسد في حقيقة الأمر صورة محرفة للوعي وللواقع في آن،إذ كان الإنسان القديم يحتاجها في حياته اليومية وفي مواجهة المشكلات والمصاعب التي كان يعجز عن السيطرة عليها بمفرده..... كما أنها تعتبر صورة محرفة ومقاربة لتاريخ تطور المجتمعات البشرية نفسها، إذ أن الأديان لا تجسد الواقع القائم بحذافيره وليست انعكاساً دقيقاً له.... فالدين كما يرى إنجلز يحتفظ دائما باحتياط معين من التخيلات الموروثة عن الأزمنة السابقة) ص15-16

ويستنتج (فعند دراسة الديانات القديمة في هذه المنطقة من العالم يجد الإنسان أمامه بعض الأسس المشتركة كما يجد بعض الفوارق المهمة . فالديانة الفرعونية في مصر ، التي استندت إلى ما أوجدته حياة وظروف عمل ومحيط وخصوبة خيال وتصورات الإنسان الفرعوني والمجتمع، حيث لم تعرف مصر حينذاك تلك الموجات البشرية العديدة التي عرفها وادي الرافدين أو ميسوبوتاميا، وبالتالي كانت للفراعنة ديانة واحدة متميزة بذاتها ولها خصائص معينة،كانت تختلف عن الديانات العديدة في وادي الرافدين، تلك الديانات الميسوبوتامية المتداخلة والمتفاعلة فيما بينها بحيث كان

يصعب التمييز بينها،إذ كان ما هو مشترك بينها أكثر بكثير مما مختلف فيها ، إضافة إلى اعتماد الأكديين والبابليين على ذات الآلهة الأساسية للسومريين مع منحهم أسماء إضافية أو أسماء مزدوجة}18

ويمضي إلى{ والتشابك بين الديانة السومرية -غير الساميه، أو الهندو- آرية ، كما يراها البعض من الباحثين دون أن تكون هناك أدلة كافية تثبت ذلك، وبين الديانات - السامية كالأكدية أو البابلية والاشورية والكلدانية.... والفارق الآخر الذي جرى تشخيصه من قبل الباحثين في هذه الديانات يبرز في أن آلهة الفراعنة كانت ذات نمط ايجابي. فهي آلهة الشمس المشرقة دوماً.... وفي ضوء ذلك فأن القرابين أو الضحايا التي كانت تقدم للآلهة كان يراد بها الحصول على المزيد من ذلك الخصب والنماء والخير... في حين كانت آلهة منطقة وادي الرافدين تمثل القوى المتنوعة والمتضاربة والمتصارعة للطبيعة، تمثل القوى الخيرة والقوى الشريرة في آن واحد، بسبب خصائص الطبيعة والمناخ والفيضانات التي كانت تواجهها شعوب منطقة ميسوبوتاميا وما جاورها، وكانت القرابين أو الضحايا التي تقدم للآلهة في هذه المنطقة ذات اتجاهين، أحد هما يستهدف الحصول على مزيد من الخير والنماء والصحة والسعادة، والآخر يطمح إلى إيقاف الشر أو الجدب والبؤس أو الأمراض أو مختلف الآفات. فالرؤية للآلهة كانت متباينة والعبادة كانت لِلْقوَتين، لقوة الخير من اجل المزيد من العطاء والخصب والنماء، ولقوة الشر من اجل إيقاف أو تخفيف وتقليل أفعال الطبيعة وعواقبها المدمرة والمهلكة للبشر .) ص19.

ويضيف (أي إن الآلهة القديمة لدى السومريين والأكديين والبابليين وكذلك الآشوريين والكلديين لم تكن آلهة خير فقط، بل آلهة شر أيضاً، وبالتالي فقد كان على الرعية تقديم آيات التقديس والاحترام والقرابين لا إلى آلهة الخير فحسب، بل والى آلهة شر أيضاً)ص20.

وهنا يسعى للتأكيد على ارتباط الإيزيدية بالماضي حيث يقول : (واستنادا إلى واقع التفاعل بين الشعوب (السامية) والهندو- أوروبية في الجانب الحضاري العام وفي الديانة بشكل خاص يمكن مسك بعض خيوط التماثل والتقارب الواقعي بين الديانة الإيزيدية من جهة ، والديانات السومرية والبابلية والأكدية والآشورية والكلدانية من جهة أخرى ، أو بين الإيزيدية والزرفانية، أو فيما بعد بين الزرادشتية والمانية

أو بين المانية المثرائية القديمة، أو بين الأيزيدية والمثرائية، أو بين الأيزيدية والمانية أو غيرها من الديانات القديمة التي كانت قائمة في المجتمعات الزراعية . إذ إن هذه الديانات كانت تمتلك من حيث المبدأ نفس الأساس المادي الذي اعتمد ظواهر الطبيعة مشفوعة بجملة كبيرة من نتائج وعواقب وآثار فعل الطبيعة التي كانت تخدم الإنسان أو تسبب في هلاكه وفي تدمير ما حوله) ص 22.

ويحدد قناعته من خلال تأكيده (والديانة الأيزيدية،كما تبدو لي ، واحدة من تلك الديانات العريقة في القدم، كما هو حال بعض الديانات ذات النكهة الميسوبوتامية أو العراقية، مثل المانية أو المندائية ، والتي يمكن من خلال التعرف عليها الحصول على صورة واقعية عن الأقلية الأيزيدية إلى جانب الجماعات الدينية الأخرى في المجتمع الكردي) ص25.

وفي الفصل الأول المخصص للبحث عن اصل الديانة الأيزيدية يقول الدكتور حبيب :(تواجه الباحث العلمي في اصل وطقوس وتقاليد الديانة الأيزيدية مصاعب جمة ناجمة عن عدة عوامل رئيسية هي :

- أن هذه الديانة اعتمدت ولقرون طويلة على توارث الطقوس والتقاليد من جيل إلى جيل دون أن يتم تسجيل تلك الطقوس واصل الديانة والسبل والتغييرات التي طرأت عليها عبر السنين.

- قلة التحريات الأرخيولوجية في مناطق توطن وعيش الإيزيديين،أو المناطق التي اضطروا للهجرة إليها... ويؤكد ولا شك إن باب البحث في هذا الصدد سيبقى مفتوحاً.

- ولا شك في إن عدم وجود كتب دينية قديمة، سواء عدم وجودها فعلا، أي عدم تسجيلها، أو ضياعها أو عدم الرغبة في تسجيلها أصلاً خشية وقوعها بأيدي الآخرين.

- ولا شك إن غياب الاعتراف المتبادل بالأديان وضعف التسامح الديني.... ساهم بقسط كبير في تشويه سمعة الأديان المختلفة أو المخالفة لدين الأكثرية أو الدين الرسمي في الدولة أو المنطقة المعينة .

وهنا يشير الدكتور كاظم إلى حقيقة تاريخية مهمة من خلال عودته للماضي حيث يؤكد (ويفترض أن لا ينسى الإنسان من الإشارة إلى إن الديانات القديمة في بلاد ما بين النهرين أو في أعالي الفرات كانت أكثر اعترافاً ببعضها وأكثر تسامحاً

فيما بينها أو حتى أكثر قرباً لبعضها، في حين تغيرت هذه الحالة فيما بعد وأصبحت في القرون الأخيرة ، وبشكل خاص بعد سقوط الدولة الكلدانية (539ق.م) واحتلال بابل من قبل الفرس الأخمينيين في عهد كورش، حيث برزت محاولات تريد فرض ديانة على جماعات من ديانات أخرى، ومنها مثلاً محاولة فرض الديانة الفارسية على سكان هذه المناطق والتي قوبلت بالمقاومة والرفض....) ص29-30

ولا يغفل (الدور الذي لعبته الأقلية الدينية الإيزيدية ذاتها في هذا المجال من خلال عدم كشفها عن أسرار الديانة الإيزيدية واتجاهها العام ومواقفها المختلفة وطقوسها...)ص30 ويضيف... إن استمرار وجود الديانة الإيزيدية لمئات السنين بالرغم من كل المحن والمصائب والإرهاب التي تعرض لها أتباعها يعبر عن حقيقتين مهمتين، لولا هما لمات هذا الدين أيضا كما ماتت أديان كثيرة قديمة أخرى.. وهما :

1- امتلاك الديانة الإيزيدية قدرة فعلية، أو ديناميكية ذاتية، ساعدتها على البقاء والتواصل...و الاستعداد النسبي للتكيف وإجراء التعديلات...
2- ويدلل على وجود أدعية وطقوس ليست قديمة... إن هذا التشوش الكبير حول اصل الديانة الإيزيدية وطقوسها وتقاليدها وعادات الناس المؤمنين بها ساهم في بروز وتبلور ثلاث نظريات أو فرضيات متباينة حول اصل هذه الديانة ومبادئها الأساسية وطقوسها .

ويستعرض الدكتور حبيب الفرضيات المهمة عن اصل الأيزيدين ويبدأ بالتي تذهب إلى مقارنتهم بالديانات العراقية القديمة في العهود السومرية والأكدية والبابلية والآشورية والكلدانية ويقارن بينها وبين الأيزيدية (باعتبار إن الديانة الأيزيدية واحدة من أقدم الديانات في هذه المنطقة الخصبة والمتميزة جداً في إنتاج الديانات . ويتطرق إلى رمز الطاووس و يوم الأربعاء المقدس ورأس السنة الذي يختلف عن 21آذار الذي يعتبر رأس السنة عند الكرد والفرس والى تقديس الثور والأسد والإله سن والأفعى وثنائية الخير والشر التي تنبعث من مصدر واحد موحد وتحريم لحم الخنزير ويقارن هذه الاحتفالات مع أعياد ننجر سو و آنو و أنليل و نابو يشير إلى وجود تقارب مع الديانة الإيزيدية ومشتركات معها بحكم التقارب الجغرافي والمعايشة المشتركة.

وهنا لا بد من أن انوه إلى أن الأستاذ حبيب قد اعتبر تحريم لحم الخنزير لدى الأيزيدية عادة جديدة أو مكتسبة من غيرهم حيث يقول :(وفي الوقت الحاضر لا يأكل الأيزيديون لحم الخنزير، ولكن لحم الخنزير غير محرم في ديانتهم، بل جاء الامتناع عن أكله بسبب معايشتهم الطويلة والمتداخلة مع الأكراد المسلمين في كردستان العراق أو في المناطق الأخرى) ص36

إن موضوع المحرمات عند اليزيدية هو موضوع معقد للغاية وترجع أصول التحريم لغالبية المأكولات النباتية والحيوانية إلى المرحلة الطوطمية حيث يعتبر أكل الخس من المحرمات الكبيرة وكذلك لحم الخنزير ولبس اللون الأزرق ويدخل في باب المحرمات العامة أي يحرم على جميع الأيزيديين أكلها وحسب المعلومات المؤكدة إن العراقيين الأوائل في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد قد حرموا أكل وزراعة الخس وقد نوه إلى هذه الحقيقة الباحث والمؤرخ سامي سعيد الأحمد مؤكداً على أهمية تحريم الخس لدى الأيزيدية في الاستدلال على عراقتهم وقدمهم ، وكذلك يذكر الباحث نبيل فياض في كتابه رسالة عبدة الأوثان وهو احد أجزاء التلمود البابلي الذي سعى نبيل لترجمته ضمن مشروع مقارنة الأديان الذي بدأه منذ أكثر من عشر سنوات في الصفحة78 على ما اضن لأني افتقدت الكتاب للأسف يحرم أكل وزراعة الخس عند العراقيين منذ الألف الرابعة قبل الميلاد....

وكذلك الحال بالنسبة إلى لحم الخنزير الذي حرم في بعض مناطق العراق القديم منذ الألف الرابعة قبل الميلاد ، ويعود سبب التحريم إلى قناعات ميثولوجية تجسد الصراع بين اله الخير والشر وقد جعلت الأساطير الشرقية اله الشر على هيئة خنزير.

في مصر الفرعونية (الصراع بين- حورس - وست الذي تجَسدَ وأخفى نَفسَه في هيئة خنزير) .

وعند الكنعانيين تتشابه الأسطورة حيث يقتل كبير الآلهة – آدون- من قبل خنزير وحشي.

وعند الإغريق يلاقي (أدونيس) مقتله من قبل خنزير متوحش.

وفي فرجينيا يصل الإله - آتيس- إلى نفس المصير ويُصرع من قبل خنزير.
لذلك نستطيع أن نؤكد إن الكراهية و الاحتقار للخنزير في منطقة الشرق عموماً من أقصاه إلى أدناه وكذلك عند الشعوب المجاورة لهم تعود لأسباب ميثولوجية جعلت من الخنزير رمزاً للشر واتهمته بقتل اله الخير ، وقد تكرست هذه الكراهية لدى مختلف الديانات القديمة بمن فيها الصابئة والايزيديين وغيرهم من الديانات التي حرمت أكل الخنزير قبل ظهور الديانات الكتابية التي استمرت في تحريمه مع وجود أعذار أو أسباب جديدة تتوافق مع مفاهيم دياناتها ، وهكذا حرمته اليهودية ايظاً وعمرها 2700سنه للآن، ومن بعدها الإسلام وقد أردت من هذا التوضيح عن تحريم لحم الخنزير الرجوع للأصل لأن البعض من الكتاب يستند عليها في إرجاع اصل الأيزيدية إلى الإسلام وهذا ما يرفضه الدكتور حبيب ونفس الشيء ينطبق على الختان الذي هو عادة سومرية ومصرية قديمة مارسها الفراعنة وسكان العراق الأوائل قبل اليهودية والإسلام ، ويوجد من يستند في كتاباته لربط الايزيدية بالإسلام عليها كعادة إسلامية متناسياً أو غير مدركاً لعمقها وامتدادها التاريخي السابق للإسلام ، أما بقية المحرمات فهي عادات طوطمية حيث يحرم أكل الأرنب لدى بعض القبائل الأيزيدية ومحلل لدى أخرى ،كذلك بالنسبة للحم الديك وبعض النباتات الأخرى أي أنها محرمه جزئياً وعند قبائل محددة ، ولا يفوتني أن انوه إلى أن هذه المحرمات تسري لدى بقية الأيزيدية في أرمينيا وأذربيجان وجيورجيا وتركيا وبنفس المواصفات ولا تقتصر على الأيزيديين في العراق وسوريا.

ويستعرض الفرضية الثانية التي تحاول إرجاع أصولهم إلى مدينة يزد الإيرانية وتبعا لذلك يرى وجود لصلة لها مع المثرائية التي انتشرت في مناطق عراقية ومنها الحضر التي كانت موطنا للزرادشتية مؤكداً (بما لا يقبل الشك بان الأكراد قبل دخولهم الإسلام كانوا من أتباع الزرادشتية أو الميثرائية أو أنها كانت قريبة منها) ص39
وهذا الرأي يحتاج للتدقيق لأن الديانات الفارسية قد انتشرت بين سكان العراق القدامى بشكل طبيعي ضمن سياق التسامح الديني التي تحدث عنه حبيب في فقرات سابقة وقد انتشرت الزرادشتية بين العرب قبل الإسلام وهناك قصائد شعر عربية تتحدث عن

احتفالات النوروز عند العرب قبل الإسلام وهذه من الحقائق البديهية الآن ، لكن الموضوع الأهم عندي هو التداخل اللغوي بين ما نسميها العربية ووجودها كمفردات في تكوين اللغات الفارسية والتركية والشركسية والهندية والكردية والأرمنية والآشورية والكلدانية والعبرية والسريانية والعديد من اللهجات في شمال تركيا وكردستان ، منها لغة زاوة ولهجة الزازائيين ولغة بعشيقة المختلطة من الكردية والعربية ألا تلفتُ النظر وتستوجب التوقف ازاؤها من لدن الأستاذ حبيب الذي يجيد أكثر من لغة يمكنه من خلالها المساهمة في الإجابة على بعض إشكاليات التسمية والأصل لدى الأيزيدية ، ألا تبعث مفردة لالش الذي يوصف بالنوراني لدى الأستاذ حبيب إلى المقارنة مع مفردة ليشت الألمانية التي تعني الضياء هذا على سبيل المثال لا الحصر وأستطيع أن اعدد المئات من المرادفات المشتركه بين الإنكليزية والألمانية والهولندية والعربية والكردية والهندية والسومرية ..الخ.

هنا في جذور هذه اللغات ينبغي أن نبحث عن الأصول المشتركة للغة الأم التي وزعت مفرداتها بين هذه الأقوام والأجناس التي كانت تعيش في حوض بحر قزوين والتي نزحت منه إلى الغرب والى الشرق وهنا بالذات نرى وجه التشابه والتقارب بين لغات وثقافات الشعوب وما يوحدها ويفرقها فيما بعد مع تطور الديانات وتحديد مفاهيمها تبعا لتطور التشكيلات الإقتصادية من مرحلة الصيد والرعي مرورا بالزراعة ، ومن خلال ذلك فقط نستطيع أن نرى المشتركات بين الأيزيدية وبقية الديانات من العهد السومري وانتهاء بالإسلام مع تتبع عبادة القمر والشمس والثور التي مازالت الأيزيدية متمسكة بها وهي ذات الديانات وان اختلفت تسمياتها لدى الآشوريين والبابليين والفرس والعرب وغيرهم في تلك الأزمان الغابرة والتي تواصلت مظاهرها في أوربا من خلال عيد تلوين البيض وغيرها من المناسبات رغم انتشار اليهودية والمسيحية والإسلام فقد بقيت هذه العادات تؤكد الأصل والجذر المشترك لهذه القبائل والأجناس ويمكن اعتبار الأيزيدية النموذج الأبرز ، من هذا القديم الذي مازال حياً ومتواصلاً رغم نوائب الزمان كما يقول في عنوان كتابه حبيب وهو على حق.

ويستعرض الفرضية الثالثة التي ترجعهم إلى أصول إسلامية ويخطئها ويرفضها ويعتبر الدراسات قد تجاوزتها بحكم المعطيات الجديدة عن الأيزيدية ، ويسهب في

تعداد المظالم التي لحقت بالأيزيدية والقهر الذي لحق بهم في العهود الإسلامية من جراء هذه المفاهيم الخاطئة .

ويحسم رأيه بالتأكيد على (أن مراجعة ما كتب حتى الآن حول الديانة الأيزيدية تسمح لي بتأكيد الافتراض الأول والقسم الأول من الافتراض الثاني باعتبارها اقرب إلى الحقيقة والوقائع التاريخية والتحليل العلمي والمنطقي لبنية الديانة الأيزيدية)ص46.

ويضيف (وكما يبدو لي فأن الفرضيتين الأولى والثانية تستندان إلى أرضية أكثر صلابة وواقعية في تشخيص اصل الأيزيدية) ص47.

ويواصل توضيح قناعاته من خلال (إن البحث في اصل اليزيدية يرشدنا إلى إن الأكراد بشكل عام كانوا على احتكاك مستمر بشعوب المنطقة، سواء كانت تلك الشعوب سومرية وأكدية وبابلية وآشورية ام كانت من الشعوب الإيرانية والهندية بحضاراتها وثقافاتها وأديانها المختلفة) ص52.

ولست ادري إن كان الدكتور حبيب قد أطلع على رأي الدكتور لويس عوض في الأصل المشترك لهذه الشعوب من خلال كتابه المعنون : مقدمة في فقه اللغة العربية الذي كتبه عام 1982 ومنعه الأزهر وهو يحمل رأي ونظرية جديدة عن اصل الشعوب والحضارات والأديان وأصولها ومنبعها المشترك الذي يعطي إجابة منطقية لكل هذا التداخل الثقافي بين هذه الأجناس والأماكن وتفسيراً للترابط بينها رغم البعد الزماني والمكاني وهو رأي ينطبق أول ما ينطبق على الأيزيدية وأصولها وأماكن انتشارها ولغتها وعاداتها التي تجمع بين طياتها تطبيقات حية لنظرية عوض وتستحق أن تؤخذ كمثل تطبيقي في الدراسات القادمة وهو أمر لم تنتبه له الجامعات الشرقية للأسف الشديد .

وفي الفصل الثاني يواصل الدكتور حبيب مسعاه لـ (تقديم بعض الحقائق التي يركن إليها نسبياً عن هذه المجموعة البشرية الدينية التي تعتبر من بين أقدم سكان هذه المنطقة) ص68.

رغم قناعته (يصعب على المرء القطع برأي معين بصدد الديانة الأيزيدية. فالبحث في الديانة الأيزيدية حديث العهد ، خاصة بين أبنائه العارفين بأصوله وطقوسه وتقاليده)ص67.

و(البحث في الديانة الأيزيدية يفترض أن يستند إلى معرفة واسعة بنظريات نشوء الأديان والعوامل الكامنة وراء ظهورها واتجاهات تطور الأديان القديمة)ص67.
لذلك يعفي نفسه من (الخوض في عملية بحث متكاملة وتفصيلية عن الديانة الأيزيدية وعن الأيزيديين)ص 68.
لكنه يوضح (من الثابت والمعروف بان الديانات عند الشعوب لم تتكون دفعة واحدة بل مرت بمراحل تاريخية عديدة وشهدت عمليات كثيرة من الحذف والإضافات أو التغيير) ص69 وبمرور الزمن (اتخذ هذا الدين أو ذاك، بهذا القدر أو ذاك ، خصائص وسمات تعبر عن هذا الشعب أو هذه الطائفة الدينية أو تلك) ص70.
و(هذه الحقيقة لا تنفي بطبيعة الحال حقيقة إن الأديان والثقافات وبالتالي الحضارات غير منفصلة عن بعضها وتشكل مجتمعة الحضارة البشرية) ص70.
و (في مقدور متتبع الديانة الأيزيدية، كما يبدو لي، أن يحدد تطورها بثلاث مراحل أساسية) ص71 هي حسب ما ورد في الكتاب المرحلة التي سبقت الشيخ عدي بن مسافر والشيخ حسن ويصفها بالفترة التي كانت الأيزيدية قائمة على أساس طقوس وتقاليد وعادات أو ميثولوجيا غير مسجلة أو غير مكتوبة بل محفوظة بالصدر ومتوارثة والمرحلة الثانية مع بدء نشاط الشيخ عدي بن مسافر والشيخ حسن الذي يرمز للقمر والشيخ شمس الدين الذي يرمز للشمس، ويعزو لهم بوضع وتسجيل القواعد وتثبيت الطقوس الدينية وتكريس نظام الطبقات أو المراتبية الاجتماعية السارية بينهم في الوقت الحاضر في كتب تعتبر مقدسة ، والمرحلة الثالثة وهي الجديدة ويحددها مع منتصف القرن العشرين التي اتسمت بكسر القيود التي كانت تفرض على الأيزيدية التي رافقها بروز مجموعة من الشباب الذي قرر البحث في الديانة الأيزيدية والتحري عن تطورها التاريخي وأسسها ونشر ما توصل إليه لتوسيع رقعة المعلومات والمتطلعين على هذه الديانة بتفاصيل غير قليلة ومهمة.
وارى إن لجوء الدكتور حبيب إلى هذا التقسيم الذي حدده وفق ما جاء في الكتاب غير دقيق وكان بالإمكان للدكتور حبيب أن يعود لنظرية نشوء الأديان وتطور المعبودات التي بدأت بظواهر الطبيعة ومنها القمر كأساس متفق عليه في علم الأديان المقارن وكذلك بالنسبة إلى تاريخ الأديان أيضاً وبعدها تأتي المرحلة المزدوجة بين القمر والشمس التي تلتها مرحلة انتصار الشمس على القمر ، وهي

تثبت في ذات الوقت عبادة العجل المرادفة لطبيعة الدين في مرحلة تأليه القمر وقيادة الأنثى ضمن مرحلة ديانات الأمومة التي تعود لمرحلة القنص والرعي .

أما الشمس التي ارتبط بها الأسد كمرادف فهي تعكس مرحلة انتصار الشمس على القمر وهي في ذات الوقت تشكل بداية استلام واستحواذ الرجل وقيادته لدفة الدين والمجتمع مع انتقال الإنسان للمرحلة الزراعية واستقراره في الأرض ، وتفترض هذه التطورات الميثولوجية متغيرات وصفية ودلالات رمزية تتجسد بالصراع غير المتكافئ بين الثور والأسد والذي صور في المنحوتات التي تبين مصرع الثور من قبل الأسد ، أي انتصار إله الشمس على القمر.

ومن هنا بدأت فكرة التضحية بالثور بعد أن كان مقدساً في المرحلة التي سبقتها ، أي في مرحلة عبادة القمر، ومع وجود حالات بقاء القمر معبوداً في الكثير من المدن السومرية والبابلية بعد تفوق اله الشمس ظهرت الرموز التي تجمع بين الإلهين جنباً إلى جنب في العديد من المدن المهمة ، ومن هنا يمكن تفسير التسامح الذي يبديه الأيزيديون مع غيرهم من الأديان ووجود رموز لبعض الشخصيات غير الأيزيدية في دينهم الذي تقبل وجودها لأسباب شتى من بينها التخلص من القمع الذي تعرضوا له أو تخفيفه والذي جرى تفسيره بشكل خاطئ من لدن بعض الكتاب في العصر الحديث .

أما التسمية بخصوص لالش وما أورده من جهد للباحث عبد الرحمن المزوري فأنه يستحق الإشادة بما كتبه عن الأيزيدية ولا ينفي أهمية أن نبحث في العلاقة بين كلمة لالش التي ترمز للنور والضوء وكلمة ليشت الألمانية licht-leuchtenفهي ليست مصادفة بل لها ابعاد ميثولوجية مهمة نظراً لأهمية تسمية معبد لالش كركن من أركان الأيزيدية.

وفي الفصل الثالث المعنون ب: الأيزيديون في العهود الإسلامية يتابع الكاتب أوضاع الأيزيدية ومعاناتهم ابتداءً من طريقة انتشار ووصول الإسلام(لمناطق الفرس والأكراد قد تميز بالعنف والمعارك الدموية والمقاومة العنيفة وبسقوط ضحايا كثيرة جدا من الفرس والأكراد، وكذلك من الفاتحين العرب. إذ أن العمليات العسكرية حينذاك لم تكن فتحاً للأرض واحتلالاً لها وحسب، بل اقترنت بعمليات واسعة ومتنوعة استهدفت بإصرار تحقيق التحويل القسري للسكان للفرس والأكراد والأنباط أو العرب

في المنطقة من الديانات المختلفة،بما فيها الزرادشتية أو المانوية أو المثنوية أو الأيزيدية أو المسيحية أو غيرها من ديانات المنطقة إلى الإسلام أيضاً)ص105.

ولست ادري كيف وفق الدكتور حبيب بين هذا النقد الصريح للإسلام وبين استخدامه لمصطلح الفتوحات الإسلامية وهو استخدام غير دقيق في وصف الحالة وهناك من المسلمين من يسميها غزو وهي بلا شك في التعبير العام للعلم السياسي والجغرافي والتاريخي الذي لا يعرف المجاملة ليست فتوحات بل حروب توسعية و احتلال تسبب في تغييرات هائلة في البنية وأوضاع الناس وتركيبة المجتمعات وقد قال عنها ابن خلدون في مقدمته وبعباراته الجريئة (والعرب كما يقول ابن خلدون - إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، والسبب في ذلك أنهم امة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم، فصار لهم خلقا وجلبة ، وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له، فغاية الأحوال العادية عندهم الرحلة والغلبة)*.

وفي نفس السياق يمكن أن نتساءل ومن نفس المنطلق هل يمكن وصف حالة الخسائر بين الطرفين المعتدي والمعتدى عليه بنفس العبارة التي استخدمها الدكتور حبيب(ضحايا) وهل ينطبق وصف الضحايا على معسكر المهاجمين المسلمين في مثل هكذا أعمال حربية تسببت في الكثير من الخراب والدمار التي أسهب حبيب في تفاصيلها على امتداد ذلك الفصل الدامي من كتابه والتي (استمرت طوال ثلاثة قرون تقريباً، حيث استخدمت فيها شتى الأساليب التي ترفضها حتى الأديان السماوية، بما فيها الدين الإسلامي)ص106.

ويستطرد(رغم أن بعض قادة قوات الإسلام استخدمت مختلف الأساليب بعد الفتح لكسب الناس إلى دين الإسلام، فأن توطيد الاحتلال وفرض الهيمنة السياسية والدينية على أبناء المنطقة لم يكن سهلاً وشهد الكثير من الانتفاضات والثورات والتمردات. كما إن جزءً من أبناء المنطقة، سواء كانوا من الكرد أم من أبناء الشعوب الأخرى، رفض الدين الإسلامي وحافظ على ديانته القديمة. وكان الأيزيديون من هذا الجزء الرافض)ص107.

ويواصل تتبع تأثيرات هذا الرفض الطبيعي والمنطقي الذي جرّ عليهم الويلات والمآسي التي اقترنت بصدور فتاوى ضدهم وتكفيرهم واعتبارهم من عبدة إبليس أو اعتبارهم فرقة إسلامية خارجة عن الإسلام ومرتدة عنه في الفترة العباسية وفي العهد

العثماني ويسرد الكثير من الحوادث التي توضح استمرار المأساة الدامية و العديد من المجازر البشرية التي طالتهم مع الأرمن والآشوريين ويوصفها بالبشعة .

وفي الفصل الرابع يتطرق بصيغة مكثفة لأوضاع الأيزيديين في العراق الحديث مع تشكيل الدولة العراقية في عام 1921 التي وضعت دستورها في آذار 1925 الذي اعتبر الدين الرسمي للدولة العراقية هو الإسلام ، لكنة يضع في الوقت نفسه على الدولة مسؤولية احترام بقية الأديان وضمان ممارسة شعائرها بحرية تامة. فقد نصت المادة الثالثة عشر على:

(الإسلام دين الدولة الرسمي ، وحرية القيام بشعائره المألوفة في العراق على اختلاف مذاهبه محترمة لا تمس، وتضمن لجميع سكنة البلاد حرية الاعتقاد التامة، وحرية القيام بشعائر العبادة وفقاً لعاداتهم ما لم تكن مخلة بالأمن والنظام، وما لم تناف الآداب العامة).

ويعلق على هذا بتأكيده إن الربط بين الدولة والدين لا يضع الدولة في موقع الحياد بين الأديان إذ انه من الناحية العملية يفسح في انحياز الدولة إلى جانب الإسلام والمسلمين وبالضد من الأديان والجماعات الدينية الأخرى .. وقد دلل بما لا يقبل الشك بأن عدم فصل الدين عن الدولة كان من ابرز العوامل في ما تعرضت له الأديان والطوائف المختلفة من تمييز في التعامل اليومي وفي حرية ممارسة أتباع تلك الديانات طقوسها الدينية وشعائرها وتقاليدها المختلفة .

ويفسر هذا الموقف في عدم تبوء أي مواطن من معتنقي هذا الدين لموقع وزير أو مسؤولية عامة خلال العقود التي تلته وطرح بديلاً عنه حق ممارسة بعض الشؤون الإدارية أو الخاصة بالجماعة وبالشؤون الدينية استناداً إلى قانون العشائر في مناطقهم الذي استندت عليه إدارة الموصل في تكوين المجلس الروحاني للجماعة الدينية الأيزيدية ابتداءً من عام 1928الذي جاء تجسيداً لمحاولة عكس صورة عن احترام الحكومة للأديان ولتدارك المطالبة بضم الموصل من قبل سوريا إليها بدعم من الفرنسيين ، واعتبر تشكيلة في حينها تلبية لمطالب شعبية كانت تسعى للدفاع عن مصالحها من خلاله وقد استفادت من ذلك العائلة الأميرية حيث ربطت مقاليد الأيزيديين الدينية والدنيوية بين يدها وسعت للاستفادة من ذلك في الحصول على مكاسب ذاتية لها من لدن السلطات واحتكار تمثيلهم أمام الدولة ومؤسساتها.

ويؤكد الدكتور حبيب (إذ كان المسؤولون يقفون باستمرار ضد مصالح الأيزيدية وإلى جانب مصالح المسلمين العرب أو الأكراد)ص140 ويتطرق إلى حوادث عام 1933 والضربات الشرسة التي وجهت للحركة الآشورية التي اندلعت حينها التي أطلق عليها ثورة التياريين ورفض الأيزيدية للانخراط في صفوف الجيش بحجة قانون الدفاع الوطني الذي خالف ما صدر حينها من قبول الدولة العثمانية بإعفائهم من الخدمة العسكرية مقابل البدل النقدي . وما أعقبها من تطورات ينقلها حبيب من تاريخ الوزارات العراقية للسيد عبد الرزاق الحسني (فجردت بعثة قوامها 150 شرطياً خيالاً و400شرطي من المشاة مع سبع سيارات مسلحة... تحركت من الموصل في أول تشرين1930...وهكذا تألفت قوة سنجار بإمرة اللواء حسين فوزي وتم تحشيدها يوم 1935/10/5 في قرية كري عرب.. وكان يعزز هذه القوة رف من الطائرات العراقية ... وانتهت إلى قتل عدد كبير من الأيزيديين وأسر عدد آخر،إضافة إلى استسلام 224منهم للقوات الحكومية... وأحكام إعدام التي نفذت بحق تسعة منهم ، وأحكام أخرى صدرت بحق آخرين من قبل محاكم عسكرية).

وفي ذات الوقت كانت قبيلة شمر قد استعدت للقيام بغزو مناطق الأيزيدية من اجل النهب والسلب حسب تصريح عمر نظمي متصرف لواء الموصل آنذاك . وقد كان للحملة العسكرية ضد الأيزيديين آثارها السلبية على المجتمع الكردي وعلى السكان الأيزيديين على نحو خاص.

ويؤكد حبيب(وكان الاضطهاد الذي تتعرض له الجماعة الأيزيدية ناجم عن كونها أقلية دينية ذات ديانة قديمة تعود إلى ماض إنساني وكردي عراقي قديم جداً)ص145.

ويتطرق إلى مساهمة الأيزيديين في النضال الذي خاضه الشعب العراقي في سبيل الحرية والاستقلال ومساهمتهم في ثورة14 تموز 1958 والدفاع عنها إلى مقاومتهم للاستبداد والقمع والمساهمة في حركة الأنصار وفي صفوف البيشمركة والتضحيات الكبيرة التي قدموها والخراب الذي حصل في مناطقهم والقرى التي هدمت ، بشكل مكثف وسريع وكان من الأجدى والأفضل لو فصل الكاتب في هذا الفصل بحكم تواجد الوثائق بما فيها ضحايا الأنفال الأيزيديين وغالبيتهم من الأطفال والنساء

والمعلومات وتفاصيلها متداولة وسهلة الحصول ومنظمة في قوائم لدى منظمات حقوق الإنسان.

وبهذا الجهد الكبير والمهم من الكتاب القيم في محتواه ومادته يمكن إضافة كتاب الدكتور كاظم حبيب كمصدر مهم من المصادر العلمية عن الأيزيدية وديانتهم ، وهو في ذات الوقت شهادة إنسانية بحقهم من لدن كاتب عربي كرس حياته لخدمة الحقيقة والناس فكان هذا الكتاب - الأيزيدية ديانة تقاوم نوائب الزمان .

كتاب اقترب من الأيزيدية وتتبع نزيف معتنقيها المسالمين وانصفهم بلغة لا تقبل المساومة على حقوق البشر.

صباح كنجي

منتصف حزيران 2006

---

* نقلاً عن فاطمة المحسن.. العنف العراقي طبيعة أم تطبع

ولا ابتغي من اقتباسها إلا التدليل على حجم الخراب الذي حل بالأيزيديه ، وارفض المفهوم العنصري لجوهرها. (ص.ك)

المصادر

أ . المصادر العربية والمترجمة على العربية

- أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب, الجزء الثاني, دار أحياء التراث العربي, بيروت.
- أحمد صادق سعد: دراسات في المفاهيم الاقتصادية لدى المفكرين الإسلاميين - كتاب الخراج لأبي يوسف, دار الفارابي - دار الثقافة الجديدة, بيروت - القاهرة 1988.
- أنجلز, فردريك. لودفيخ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية, المختارات . ج 4 . موسكو. دار التقدم. ص 60.
- بارندر, جيفري (Parrinder, Geoffrey). المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام. سلسلة عالم المعرفة 173. تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت. 1993.
- بريم, عصمت. نظرة تاريخية للديانة الأيزيدية .
- بشور, وديع د. سومر واكاد, دمشق 1981,
- توفيق, زرار صديق. موضوعات حول تاريخ اليزيدية واليزيديين. مجلة لالش. العدد 5/ 1995. دهوك.
- توكاريف, سيرغي أ. . الأديان في تاريخ شعوب العالم. دار الأهالي. دمشق. 1998.
- الجراد, خلف د. اليزيدية واليزيديون. اللاذقية. سوريا. دار الحوار للنشر والتوزيع. 1995.
- جندي, خليل د. نحو معرفة حقيقة الديانة الأيزيدية. رابوون. السويد. 1998. ص 21/20.
- جواد, مصطفى د. ونخبة من الباحثين. دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960. مطبعة التمدن. بغداد. 1961.
- حبيب, جورج. اليزيدية بقايا دين قديم. بغداد. 1977.
- الحسني, عبد الرزاق. تاريخ الوزارات العراقية. الأجزاء من 1-10. مطبعة دار الكتب. بيروت. 1974.

- ساكز, هاري د.(Prof. Dr. Saggs, H. W. F.) عظمة بابل. موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة. ترجمة د. عامر سليمان إبراهيم. جامعة الموصل 1979.
- سامي سعيد الأحمد: الأيزيدية: أحوالهم ومعتقداتهم, الكتاب في جزئين, مطبعة الجامعة, بغداد, 1971, الجزء الأول.
- سباهي, عزيز. أصول الصابئة المندائيين. منشورات المدى -18- دراسات. دمشق. 1996.
- السعدي, سمير. الحسين بن منصور الحلاج: حياته, شعره, نثره. منشورات دار علاء الدين. دمشق. 1996.
- السواح, فراس. كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش. ط 1. دمشق. نيقوسيا - قبرص. سومر للدراسات والنشر. 1987.
- سواح, فراس. مغامرة العقل الأول. دراسة في الأسطورة - سوريا وبلاد الرافدين. دمشق. دار الكندي. ط 2. 1989.
- الشالجي, عبود. موسوعة العذاب. كتاب في سبعة أجزاء. الدار العربية للموسوعات. بيروت ولندن. بدون تاريخ. ص 250-257.
- عبود, زهير كاظم. لمحات عن اليزيدية. بغداد. مكتبة النهضة. 1994. بغداد.
- عبود, زهير كاظم. الأيزيدية حقائق وخفايا وأساطير. أربيل. مركز قنديل للنشر والإعلام. وزارة الثقافة. 2003.
- عبود, زهير كاظم. طاؤوس ملك. رئيس الملائكة لدى الأزيديين. السليمانية. دار سردم للطباعة والنشر. 2005.
- العزاوي, عباس. تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم. بغداد. مطبعة بغداد. منصف الثلاثينات من القرن العشرين.
- العلوي, هادي. فصول من تاريخ الإسلام السياسي. مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي. نيقوسيا/قبرص. 1995.
- علي بن أبي طالب. نهج البلاغة. ط 1. بيروت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. 1993.
- علي, فاضل عبد الواحد د. من سومر إلى التوراة. القاهرة. سينا للنشر. ط2. 1996.
- غازاريان, هايكازن. وثائق تاريخية عن المجازر الأرمنية عام 1915. ترجمة نزار خليلي. سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية. دار الحرية للنشر والتوزيع. حلب/سوريا. ط1. 1995.
- فتاح, شاكر. اليزيديون والديانة الأيزيدية. ط 1. بيروت 1997.

- فتح الله, جرجيس. رجال ووقائع في الميزان. حوار أجراه ميد طيب وسعيد يحيى. دار ئاراس للطباعة والنشر. أربيل. 2001.
- القرآن. مصحف المدينة النبوية. سورة الكافرون. الجزء الثلاثون.
- االقيسي. عبد المجيد حسيب. هوامش على تاريخ العراق السياسي في رؤية جديدة - تاريخ القضية الآثورية في العراق". لم يذكر أسم الناشر دار النشر ولا سنة الطبع والنشر، ولكن يبدو من متن المقدمة أنه في عام 1995. ص 52.
- محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكُرد وكردستان
- محمد عبد الكريم الشهرستاني: كتاب الملل والنحل, 1-2, تخريج: محمد بن فتح الله بدران, مكتبة الأنجلو المصرية , منشورات الشريف الرضي. بدون تاريخ.
- وبنهايم, ليوا. بلاد ما بين النهرين. ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق. ط 2. وزارة الثقافة والإعلام- دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. 1986.
- ياسين, باقر. تاريخ العنف الدموي في العراق. دار الكنوز الأدبية. بيروت. ط 1. 1999.

ب . الصحف والمجلات

1. بغداد. صحيفة حركة الوفاق الوطني العراقي. جريدة شهرية. العدد 435. تشرين الثاني/نوفمبر 2000.
2. روز. مجلة ثقافية دورية تعنى بالشؤون الأيزيدية. يصدرها مركز الأيزيدية في الخارج. الأعداد من 1 12. 1997-2002. هانوفر. ألمانيا.
3. لالش. مجلة ثقافية دورية يصدرها مركز لالش باللغتين الكُردية والعربية. العدد5. دهوك. آب 1995.

ج . المصادر بلغات أجنبية

- Frank, Rudolf Dr. Scheich “Adis” der grosse Heilige der Jezidis. Mayer & S.107-112. Mueller. Berlin. 1911.
- Freydank. Reineke. Schetelich. Thilo. Der Alte Orient in Stichworten. Koechler & Amelang. Leipzig. 1978. Hahn, Istvan Dr. Goetter und Voelker. Budapest. Corvina Buecher. 1977.
- Ilhan Kizilhan: Die Yeziden, Verlag medico international, Frankfurt/M, 1997.
Istvan Hahn: Goetter und Voelker, Corvina Buecher, Budapest, 1968
- K. Marx. Zur Kritik der Hegelschen Rechtsphilosophie. Einleitung. In: Marx/Engels: Bwerke. Bd. 1. Berlin 1961.
- Kizilhan, Ilhan. Die Yeziden. Ftankfurt am Main. Verlag medico international. 1997.
- Kreyenbrock, Philip G. Dr. & Rashow, Khalil Jundi Dr. : God and Sheikh Adi are Perfect. Iranica 9. Wiesbaden. Harrassowitz Verlag: 2005.
- R. H-W. Empsen: The Cult of the Peacock - Angel, London 1928.
- Taufiq Wahby: The Remnants of Mihraism in Hara and Iraqi Kurdistan and its Tracces in Yazidism, The Yazidis are not Devil Worshippers, London, 1962.
- Tokarew, S.A. Die Religion in der Geschichte der Voelker. Berlin. Dietz Verlag. 1978.
- Tokarew, S.A. Die Religion in der Geschichte der Voelker. Berlin. Dietz Verlag. 1978.

ملحق الصور

صورة رقم (1)

وادي لالش في أحد أعياد اليزيديين الكرد في قرية بحزاني التابعة إلى محافظة دهوك في إقليم كردستان.

صورة رقم (2) بوابة مازر لالش المقدس وتبدو على الجانب الأيمن من الباب الحية السوداء التي تحظى باحترام الأزيديين.

صورة رقم (3)

مراسيم تنصيب "الپيشمام" في الديانة الأيزيدية وبجانبه يقف بابا گافان وبابا شيخ

صورة رقم (4)

في المؤتمر العالمي الذي عقد في هانوفر للأيزيديين في العام 2000. ويبدو فيه الأمير تحسين بگ وسماحة الشيخ بابا والمؤلف, إضافة إلى عدد كبير من المشاركين في المؤتمر.

صورةرقم (5)

داخل المزار في لالش

صورة رقم (6) المؤلف أمام لوحة أمام لوحة لمعبد لالش في بحزاني

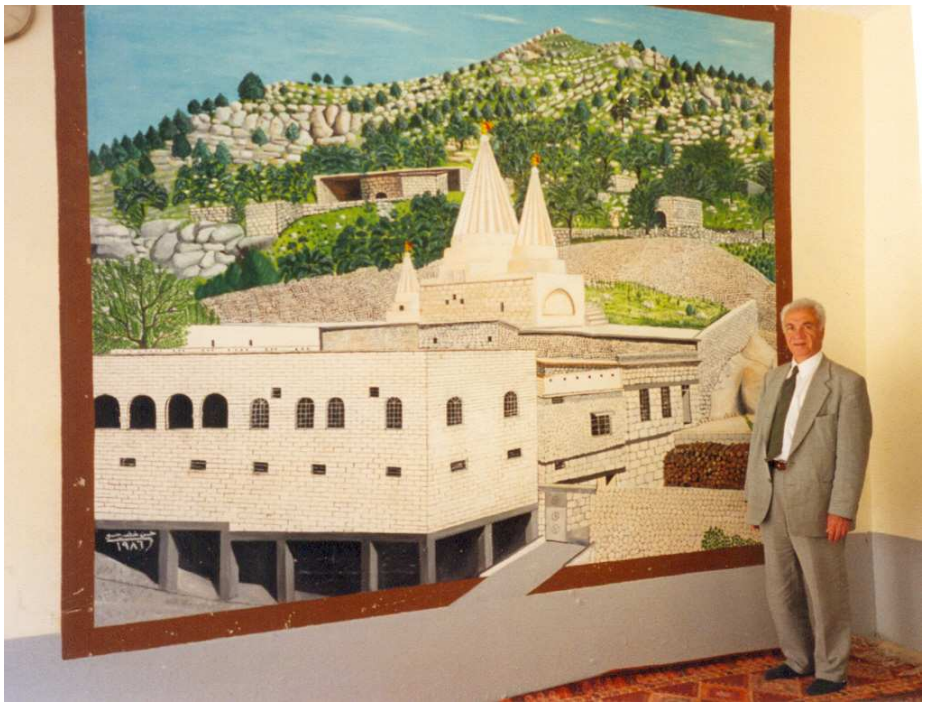

صورة رقم (7) في داخل معبد لالش في قرية بحزاني

صورة رقم (8)

أمام بوابة مزار لالش المقدس المؤلف مع مجموعة من رجال الدين العاملين في المزار

صورة رقم (9)

جانب من الاحتفال بعيد الجماعية الأيزيدي في وادي لالش والذي يصادف الأسبوع الأول من شهر أيلول الشرقي من كل عام.

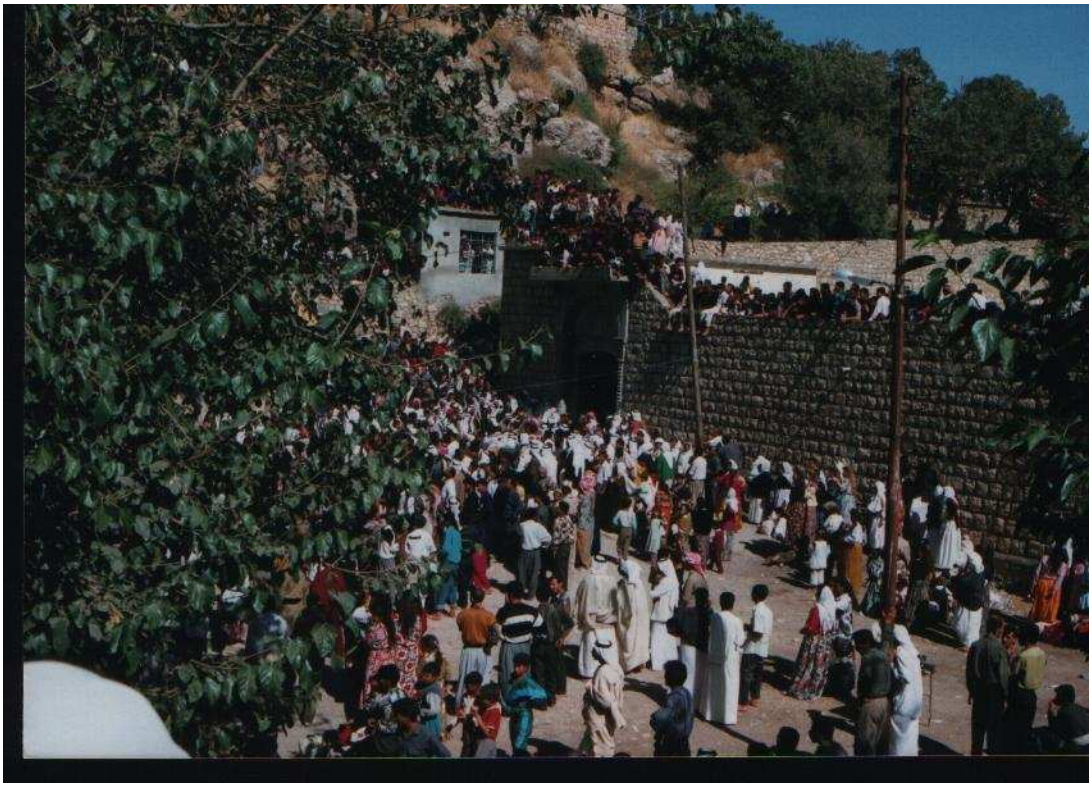

صورة رقم (10)

بعض المقدسات العائدة لأحد بيوت عائلة أيزيدية في تركيا

صورة رقم (11)

هيئة رئاسة المؤتمر الدولي لأتباع الديانة الأيزيدية الذي عقد في هانوفر في العام 2000 م وحضره جمع غفير من الأيزيديين والضيوف

صورة رقم (12)

قوالون أيزيديون يرتلون التراتيل الدينية الأيزيدية

صورة رقم (13)

نساء أيزيديات بملابسهن الكردية التقليدية الخاصة بالأيزيدية في معبد لالش

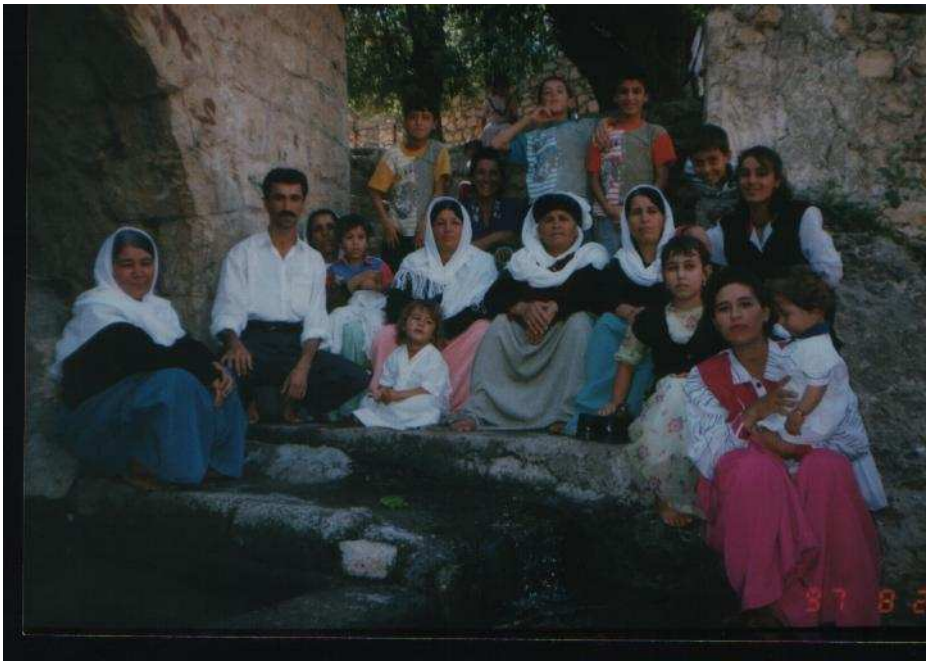

صورة رقم (14)

نساء كرديات أيزيديات شاركن في نضال البيشمركة الأنصار في منطقة بهدينان في إقليم كردستان العراق

صورة رقم 15

أمرأة كردية أيزيدية لملابسها التقليدية في معبد لالش المقدس في قرية بحزاني

ملاحظة:

- الصور المرقمة 1, 13, 14 هي من أرشيف صور الأخ السيد صبحي حجو.

- الصور المرقمة 3, 5, 9, 10 هي من أرشيف صور الأخ الدكتور خليل جندي رشو.

- الصور المرقمة 2, 4, 6, 7, 11, 12, 15 هي من تصوير وأرشيف الدكتور كاظم حبيب.